*كلمة التحرير*

# من هو غي دو موباســـــان ؟

(١٨٥٠ - ١٨٩٣)

*انطوان المقدسي*

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

١٨٧٠ مفصل أساسي من مفاصل تاريخ فرنسا السياسي والاقتصادي والثقافي. بعد التبدلات السريعة التي بدأت مع الثورة الكبرى ١٧٨٩، بعد المغامرة النابليونية العبقرية التي روعت أوربا ونشرت أفكار الثورة ، بعد التردد بين الملكية والامبراطورية والجمهورية، بعد الهزيمة الشنيعة التي منيت بها جيوش نابليون الثالث ١٨٧٠ وأدت إلى إعلان الوحدة الألمانية ١٨٧١ من قصر ملوك فرنسا في فرساي (على مشارف باريس ، هاهي الجمهورية الثالثة تبدأ مترددة ثم تدريجياً تستقر وتمتد حتى بداية الحرب العالمية الثانية ومعها الاقتصاد الليبرالي والنظام البرلماني . كانت الثورة الصناعية في الوقت ذاته تقريباً قد توطدت وأحدثت في بنية مجتمع غرب أوربا تبدلات جذرية ، فثمة التراكم الراسمالي المتسارع وانقسام المجتمع إلى طبقتين متصارعتين على البقاء

(العمال – أرباب العمل ) وقيام الأحـزاب الشيوعية والاشتراكية التي ستطور ايديولوجيتها مع تطور الثورة الصناعية واقتصادياتها. كان في الوقت ذاته تقريباً قد حدث الانعطاف الكبير في الأدب فمن الرومانسية إلى الواقعية (بلزاك) والطبيعية (إميل زولا) وألوان اخرى كثيرة من الرواية اضف الرمزية في الشعر (فيرلن وغيره ) والانطباعية في الفن التشكيلي.

١٨٧٠ هاهو غي دوموباسان وقد بلغ العشرين من عمره ينتسب إلى كلية الحقوق بعد أن تردد بين أكثر من معهد دراسي وأكثر من عمل – وظيفة ، يبحث عن أمه وأبيه يستمر ويتنوع بتنوع الأوساط الاجتماعية التي عاشت وعاش فيها إلى حد التناقض . وهو يحاول أن يستوعبها كلها. فثمة التردد بين دور البغاء وصالونات نساء النبلاء سيستمر حتى نهاية حياته . في هذه الاثناء كانت قد أدركته حرفة الأدب فهو يكتب باسمه وباسماء مستعارة المقالات والقصص ، الشعر والتعليقات السياسية .. وفلوبير صديق الوالدة والذي صار صديق الأسرة يرعاه وسيكون دوماً بالنسبة إليه النموذج الأكمل الذي لايطال للكاتب .

أجل أسرة مفككة فالولد مرتبط بأمه ولكنه يبحث بذاته هنا وهناك عن مستقبله وعن عالمه في مجتمع الراسمالية الجشعة تستخدم الثورة الصناعية آلة هائلة تستولي بها على ثروات الأرض تحولها إلى سلعة تزيد الاستهلاك الذي يستدعي زيادة الانتاج . إلا أنه مجتمع متطور يتفكك ويعيد بناء ذاته .

إثر كل هزة، يسحق الضعيف والمتردد بلاشفقة . إلا أنه وفي الوقت ذاته يذكي في الفرد إرادة الاستمتاع بحياة دوماً جديدة ومتجددة كل يوم وكل ساعة . والويل لك إذا زلت قدمك ولم تتمكن من النهوض في الوقت المناسب . فتفكك البنى الاجتماعية وإعادة تركيبها قوض الأخلاق التقليدية التي كانت سندك كما بدل الأعراف والتقاليد وبدل باستمرار العلائق بين الناس وبالدرجة الأولى العلاقة بين المرأة والرجل. فالفرد الذي ينفصل عن بيئته – وما أكثر هذا النوع من الناس – يصارع بشراً الصراع على البقاء بينهم لايرحم .

لم يكن غي دوموباسان مثقفاً بالمعنى المألوف للكلمة ، رغم أنه تمكن من أن يكون لذاته رصيداً ثقافياً كبيراً جداً لأكاد أقول إنه أحياناً موسوعي . هذا الرصيد سيحسن توظيفه في قصصه ورواياته ومقالاته كما في حياته . كان غي دو موباسان بالأحرى إنساناً حرض فيه وضعه الاجتماعي غرائزه وأحاسيسه كلها . وإن الأدب ، إن الثقافة إلا ضرب من ضروب شهوانية مفترسة تنهشه من الداخل . لقد قرأ ، درس ، رأى وسمع ، .. وعاش بكل جوارحه مايحس ويتعلم . إلا أن كل هذا كان في إطار رصيد سلبي هو وراثة سيئة استفزها الصراع بين أمه وأبيه صراع عاشه وهو بعد طفل . أعصاب مهزوزة – وضعته عند نهاية حياته على مشارف الجنون . أضف السفلس الذي انتقل إليه من البغايا وبدأت أزماته تعذبه منذ عام ١٨٧٦ فثمة الصراع المستمر ، الدوخة، تشوش في الرؤية ، رؤى كابوسية، فترات تتملكه فيها حماسة مفرطة يليها هبوط في التوتر الحياتي ، هلوسة ، اكتئاب .. وأمراض أخرى لاتزال البحوث في

مؤلفاته لمعرفتها مستمرة . فثمة العلاج بالعقاقير القوية (الزئبق والأفيون المخرضات ، الأثير، البرومير وغيرها وغيرها ) كلها تحدث تبدلات في البنية العضوية وفي التوازن الجسدي ، من تلك الأعراض ، جسدياً سقوط الشعر وإعادة ظهوره بسرعة ، ونفسياً التبدل السريع في المزاج

١٨٨٠ ، مفصل أساسي من مفاصل حياة غي دوماباسان ففيه ظهرت قصة "كتلة الشحم [١]

التي قال عنها فلوبير إنها تحفة فنية ومعها بدأت حياة موباسان الأدبية وأخذت شكلها الحقيقي الذي كان يبحث عنه قبل ذلك باستمرار. وتتوالى بعدها المجموعات القصصية والروايات والمقالات السياسية والاجتماعية والأدبية والمقدمات ودراسات في الفنون التشكيلية وغيرها وغيرها. وفي هذا العام بالذات وفاة فلوبير الذي حرر موباسان من وصاية كان من الصعب عليه أن يتحرر منها طالما أن المعلم حي. لن يكون بعد الآن تابعاً لأحد لا لبلزاك ولالزولا ولاللأخوين غونكور.. ولالبول بورجيه وغيره من مدرسة الرواية السيكولوجية . لن ينتمي لأي حزب ولا لأية إيدولوجيا ، لا لأي خط أدبي أو مدرسة أو أي إنسان آخر من الاعلام. سيشق طريقه الخاصة ويسلكها حتى النهاية وفي غضون اثني عشر عاماً (١٨٨٠ -١٨٩٢) سيضع عدداً من

---

(١) هذه القصة نشرتها مع قصص أخرى مختارة وزارة الثقافة في ترجمة للمرحوم إحسان سركيس وظهرت عام ١٩٨٨ مع مقدمة ضافية بقلم المترجم.

التحف الفنية ماتزال حتى الآن تقرأ وتُدرس ويُعاد نشرها وتكتب حولها الدراسات وتنقل الى السينما والمسرح. وغي دوموباسان حي اليوم بأقوى مما كانت حياته في القرن التاسع عشر .

هل حقاً ان دوموباسان عرى البورجوازية كما يقال في الدراسات التي نشرها الاتحاد السوفيتي في أيامه هو والكتلة الشرقية ؟

لا. وليست البيئة البرجوازية هي الأهم في رواياته وفي قصصه حتى ولا في مقالاته بل هي عبارة عن إطار عام لبعض من هذه الروايات والقصص .. وغي دوموباسان كتب النماذج الانسانية والأحداث التي عاشها كما عاشها وكما عاشها المجتمع الذي ظهرت فيه هذه النماذج . إنه مجتمع هش التركيب، الفرد ضمنه في ضياع مستمر . والانسان ذات باستمرار على شفا الانهيار فهويته غير مؤكدة ، مؤلف هو كتلة أحاسيس منها ينطلق لبناء عالمه وإليها يعود . وبين طريق الذهاب وطريق الإياب خيال محموم ، الحمى فيه قد تكون ناراً وقد تكون صقيعاً فهو يكتب لإحدى صديقاته عام ١٨٨١: "أنا أشبه شيء بآلة أحاسيس: ويضيف لتوه وكأنه يشرح كلمة آلة "أحب جسد المرأة حبي للعشب والأنهار والبحر" . وبالمقابل تبدو له الأفكار والانظمة الفكرية واهية بالقياس إلى الجمال فهو يكتب أيضاً إلى الصديقة ذاتها:

"غرائزي ، أفكاري ، أحاسيسي ، عقلي .. كلها تعذبني حتى وأنا بين الناس في قاعة استقبال أرستقراطية.)) ويكتب عام ١٨٩٠ إلى سيدة مجهولة :

"أنا من سلالة الذين سُلخت جلودهم وهم أحياء "

الحياة عند غي دوموباسان ضمان : العملة والمرأة ، كلاهما وسيلة لغاية جُعلا من أجلها : الانفعالات القوية العنيفة ، تحطم الانسان شأنها شأن البرومير والعقاقير الأخرى القوية تسكن الأعصاب الذي صار هيجانها ، المرضي مستمراً .

أجل ، نهم إلى الحياة لا يرتوي ذلك هو موباسان ، يختلف عن الأدباء في نقطة أساسية ؛ فهؤلاء تصلهم الأحاسيس بعد أن تكون قد صقلتها ولطفتها قراءاتهم ، أما هو فالاحساس عنده خام أو كالخمرة الصرف ، بعدها الوحدة والفراغ القاتل . ومع ذلك فهو يعيد . لقد كتب إلى والدته بداية عام ١٨٨١ : (( أنا أعاني البرد لا من وحدتي في البيت بل من وحدتي في الحياة . أحس تيه الموجودات الذي لا حد له ومع ثقل الفراغ .

ARCHIVE

وفي قلب الهزيمة المعممة هذه دماغي واع ، فدية ينتبه لنور اللاشيء الأزلي ، كما يكتب أيضاً إلى صديقة : (( أنا مصاب في غرائزي في أفكاري وفي أحاسيسي وعقلي . وعندي أن القناعات والأفكار والأخلاق في شأن البلهاء )) .

ومع ذلك فهذا الانسان الذي يعبر في رسائله وقصصه ـ في قصصه أكثر من رسائله ـ وفي مواقفه عن غربته ووحدته ، هذا الانسان عاش عصره بكل أبعاده ومشكلاته . فمثلاً زار أقطار المغرب حين كانت جيوش فرنسا تجتاحها غير مكترثة بمعتقدات الناس هناك وأفكارهم

وتقاليدهم لكأن البشر أدوات يستخدمونها لأغراضهم . أما هو فأحبهم ، تعاطف معهم ، وأدوات موقف بلاده منهم في مقالات كانت تنشرها صحف باريس الكبرى حتى الاستعمارية منها .(٢)

وهذا الموقف يذكرني بعبارة الشاعر اللاتيني تيرانس المعروفة : ((أنا انسان فليس ثمة شأن انساني غريب عني )) ، كما أنه عاش آداب عصره كلها وكتب عنها مقالات (٣) . ومقدمات دلل فيها على فهم عميق للأدباء الذين عاصرهم وللأدب الذي تملكه كما تملكته أحاسيسه، وأنت واجد في مقالاته التي جمعت ونشرت ، مواقف انسانية أخلاقية ، أكثر مما هي قوية ، شأنه في ذلك شأنه في موقفه من أرض نورمندي التي هي وطنه الأصل ، فقد كان حبه لها أكثر اخلاصاً بكثير من اخلاصه لعشيقاته اللواتي لم يرَ فيهن على الدوام سوى أداة للذة جسدية يعرف انها عابرة ويقبل عليها مع ذلك بجشع الذي يعاني من جوع القرون .

وموباسان هو أيضاً كما يرى ذاته ، التوازن الهش في صميم اللاتوازن المعمم . فقد لازمته منذ بداياته الحالات العصبية ـ الانفعالية الأكثر غرابةً وشذوذاً ، وما برحت تشتد وهو يصارعها وينتصر عليها حتى السنة قبل الأخيرة من حياته . بعدها توقف سنة كاملة عن الكتابة.

---

(٢) : راجع في هذا العدد موباسان والحرب والسياسة لـ كمال فوزي الشرابي .

(٣) : راجع في هذا العدد ترجمة أربع مقالات عن الأدب وعن الأدباء ممن عرفهم موباسان ، ترجمة رنا خوري .

كانت كتاباته في السنوات العشر الأخيرة قد وفرت له دخلاً مكنه من أن يعيش حياة الأغنياء . فله قصر في باريس وآخر في الريف وخدم وحشم وخيول وعربات ... إلا ان هذا الجو المنعم هو الذي عانى فيه أكثر ما عانى من القلق . وظهرت هذه المعاناة في قصصه هو الذي يعجز عن السيطرة على عالمه ، بلهَ تحويلة إلى حكاية تتحدث إليك وتكشف لك عن زوايا من حياتك تجهلها أهي إذاً أزمة وجدانية ؟ بلى ، أزمة أصابت الجماعة الفرنسيةإثر هزيمتهم عام ١٨٧٠ حيث شعر الناس أن القيم الدينية والأخلاقية سقطت دفعة واحدة . فالانسان متروك لذاته في مواجهة العدم . وفي مجتمع كهذا متعب او مصاب بعصاب جماعي يلجأ إلى ما يشبه الهستيريا الجسدية الأكثر عنفاً . فثمة في قصص موباسان إنسان يقتل حصانه لاعتقاده أن زوجته تعشقه . وإنسان يعتقد أن عشيقته ستأكله وعشيقة تعتقد أن حبيبها سيأكلها .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

في تلك الفترة أي في النصف الثاني من القرن التاسع عشر ساد الاعتقاد بوجود عالم قائم وراء عالمنا أو بعده أو في قلبه هو مصدر تعاستنا. وكثرت الحكايات وعند الجمهور وعند الكتاب تحاول وصف أو تحليل هذا العالم . إلا أن موباسان يختلف عنهم كلهم في أن قصصه الأغرب تبدو لك محتملة الوقوع تارة بذاتها ومرةً أخرى لأن الراوي من مستوى أخلاقي رفيع فقد يكون طبيباً ، محللاً نفسياً ، قاضياً . والأرجح أن موباسان كان يعتقد بوجود مثل هذا العالم كما كان يعتقد قطعاً بـ (وجود المثل ) يشير إلى أن ذاتنا قد صارت ذاتين ، كل منهما ملازماً للآخرى تراقبها ، تحاسبها ، تدفعها في هذا الاتجاه أو ذاك تضغط عليها وله قصص كثيرة أيضاً في هذا الموضوع . كما ساد الاعتقاد في ذلك

العصر بأن المجنون يرى ما يعجز عن رؤيته السليم لكأنه السليم ونحن المرضى . وكذلك كل انسان شاذ أو خارج عن السلوك الاجتماعي المألوف . فبنات الهوى عند موباسان أصح سلوكاً من المرأة المفترض أنها محصنة ( قصة كتلة الشحم ) . والهوية الانسانية عندهم كلهم غير مؤكدة وشخصية الانسان مرشحة دوماً للانهيار .

وربما أن قصة ( الهورلا La HORLA ) التي صارت كلاسيكية هي الأدق تعبيراً عن عالم موباسان الخرافي والسحري . وضعها عام ١٩٨٧ في صورة مذكرات ممتدة على أربعة أشهر بين الصيف والربيع . المكان قصر ريفي محاط بالحدائق ، فالراوي صاحب القصر يشعر بقوة ما غريبة تقلقه ، تنغص عليه حياته . فالنوم غير مريح واليقظة منهكة ، ويوماً يشعر أن جسداً لا مرئياً ولا يخضع لحاسة اللمس الانسانية يمتص طاقته تدريجياً. ويلاحظ ساعة إثر ساعة هبوط هذا الجسد ويتعرف إلى عاداته وطريقته في العمل ويدرك تدريجياً أنه لا يتغذى إلا بالماء والحليب .. ويطلق عليه اسم (( هورلا )) ويتصرف معه كأنه عاقل يحاكم الأمور وسلوكه متماسك . إلا أن الذي ينهكه إلى حد الارهاق واليأس هو أن ((الهورلا)) بامتصاصه طاقة الانسان يحرمه من القدرة على المحاكمة . ولهذا قرر أن يقتله فأعد العدة لذلك وتدريجياً حاصره وحصره في القصر وسدَّ عليه كل المنافذ بمادة قابلة للاحتراق بسرعة . وبالفعل ففي غضون فترة محددة من الزمن صار القصر رماداً . وهاكَ النص الذي يختم به قصته في شكل مختارات مترجمة حرفياً : (( هل مات ؟ ربما ؟ ... وجسده ؟ أهو قابل للدمار ؟

وإذا لم يكن قد مات ؟ .. ربما أن الزمن وحده هو الذي يستطيع القضاء على الكائن اللامرئي والرهيب .

إن تدمير الانسان قبل الأوان هو المخيف في حياتنا . الانسان الذي يموت كل دقيقة ، كل يوم ، كل ساعة ... أما هو فلن يموت إلا في يومه وعندما تدق ساعته لأنه لمس حدود الوجود !

كلا ... كلا ... ما من شك في ذلك ... لم يمت ... إذن عليّ أن أقتل ذاتي .

(( الهورلا )) واحدة من قصص كثيرة تجعلك تعيش عالم المصابين بخلل عصبي - نفسي مزمن غير قابل للشفاء ، قلما نجد له مثيلاً في الآداب العالمية . ونتساءل أهو هذا العالم الغريب الذي جعل موباسان يفرض ذاته وعلى معاصريه ؟ كلا فالكتابة فنيتها وموباسان يحتل بين الأدباء العالميين موقعاً متميزاً بمستواه الرفيع وبالموضوعات التي أضافها إلى التراث العالمي.

لقد أضفنا إلى هذا الملف الطويل عن موباسان قصة طويلة للروائي الفرنسي المعاصر ( لوكليزيو ) وقصيدة مترجمة عن البلغارية ( البحر المحظور ) . النصان يقدمان للقارىء عالماً شعرياً يقابل عالم موباسان . فمن جهة الاضطراب النفسي - الاجتماعي يبلغ أحيانا ذروته ومن جهة أخرى شعرية هادئة تقول عالماً يبعث في النفس الراحة والهدوء .

* *

# غي دو موباســـــان ؟

(١٨٥٠ - ١٨٩٣)

إعداد : ميشيل خوري

ARCHIVE

سيّد من أسياد القصة القصيرة ترك خلال عمره الأدبي الذي لم يتجاوز إثني عشر عاماً أكثر من ثلاثمئة منها ، عدا الروايات وكتب الرحلات والمسرحيات . وهو خارج فرنسة أكثر شهرة منه داخلها . تتلمذ على يد فلوبير وتأثر بزولا وبول بورجيه ويعتبر من أكبر المعجبين بشوبنهاور ، ويتميز نتاجه بتوازن موفق بين التشاؤم والظرف .

ولد غي دي موباسان سنة ١٨٥٠ في قصر ميروسنيل غير بعيد عن فكامب ( مقاطعة السين مارتيم ) من أب عاجز عن أن يملأ دوره كربّ عائلة ، وأم متسلطة عصابية ، سرعان ما انفصلت عن أبيه ، وعاشت وحيدة مع ولدها في إترتا ، وكانت ذات ثقافة واسعة ، وصديقة لغوستاف فلوبير وقد كان يوجهها في تربية وتثقيف ولدها الذي أدخل إلى اكليريكية إيغتيو ثم إلى ثانوية روان ، وعرف منذ فتوته بحبه للبحر ونزهات القوارب

## ☐ غي دو موباسان ☐

على شواطىء النورماندي . شارك في حرب ١٨٧٠ ، وغادر مقاطعته بعد انتهاء الحرب إلى باريس حيث عيّن موظفاً في وزارة البحرية ثم في وزارة المعارف ، وراح يخالط الأوساط الأدبية مدعوماً من فلوبير ، وتعرّف على إميل زولا ، وأخذ يكتب في صحف ذلك العصر (( الفيغارو ، جيل – بلاس، لي غولوا )) وعرف بحكاياته ذات النفس القصير ، واعتبر أحد أدباء المذهب الطبيعي ، وعضواً بارزاً في مجموعة مدّان التي كان يتزعمها أميل زولا ، وقد ظهر لها في العام ١٨٨٠ كتاب باسم أمسيات مدان وهو مجموعة ست قصص تعتبر تظاهرة لأصحاب المذهب الطبيعي وتعبيراً عن أحداث حرب ١٨٧٠ وهذه القصص هي :

الهجوم على الطاحون لإميل زولا

كرة الودك لغي دي موباسان (( أو كتلة الشحم ))

الحقيبة على الظهر ج . ك . هويسمان

المفصّد لهنري جيرار

قضية السبعة لليون هانيك

بعد المعركة ليول الكسيس

اكسبت كرة المودك(١) موباسان الشهيرة ، وخلاصتها أن مسافرين في عربة عامة من روان إلى الهافر خلال حرب ١٨٧٠ يلتقون بدورية المانية تحتجزهم فيطلبون من إحدى المومسات من راكبات العربة الملقبة (( كرة المودك )) أن تقوم بإغراء الضابط البروسي وتقبل على مضض ، ويسمح الضابط للعربة بمتابعة رحلتها ، لكن المومس لا تلقى من رفاق الطريق إلا الإزدراء والسخرية .

## □ غي دو موباسان □

هذه القصة بما لاقته من نجاح خطّت المستقبل الأدبي لموباسان ، وكان قد نشر قبلها بعام أي في ١٨٧٩ مسرحية بعنوان (( حكاية الزمن القديم )) كما نشر في العام ١٨٨٠ محاولات شعرية في ديوان باسم ((أشعار )) لكن لم يحظ شعره ولا مسرحيته بما حظيت به قصصه القصيرة، ـ وقد تعددت في صحف ذلك العصر ـ من استحسان ، كما حرره موت فلوبير المفاجيء في العام ١٨٨٠ من تبعية كانت تثقل عليه فاكتسب اسماً مستقلاً في عالم الأدب وراح يجمع قصصه من الصحف ويصدرها في كتب مستقلة وغدا نجماً لامعاً من نجوم المجتمع تفتح له صالونات النخبة أبوابها ، ويطوف بيخته (( بل آمي Bel Ami )) الصديق الظريف منتجعات النورماندي والريفييرا ويقوم برحلات خارج فرنسة منها رحلة إلى كورسيكة في العام ١٨٨٠ ورحلة الى الجزائر في العام ١٨٨١ ورحلات إلى إيطالية ( ١٨٨٥ و ١٨٨٩ ) ورحلة إلى انكلترة ( ١٨٨٦ ) يستمد من وقائعها ومجريات أحداثها انطباعات نشرها في كتب احتلت أمكنة متميزة في أدب الرحلات وطُرَفها وهي في الشمس ( ١٨٨٤ ) وعلى الماء ( ١٨٨٨ ) وحياة المتشرد ( ١٨٩٠ ) وخاض عالم الرواية فصور له بين عامي ١٨٨٣ و ١٨٩٠ ست روايات طوال .

أما القصص والأقاصيص فتصل إلى ثلاثمئة وقد صدرت بين عامي ١٨٨٠ و ١٨٩٠ في خمسة عشر مجموعة ، ثم تعددت المجموعات وتنوّعت القصص في كل منها وأهمها وفق أعوام النشر .

العام : ١٨٨١ : بيت تليه ـ الآنسة فيفي

□ غي دو موباسان □

١٨٨٣ : حكايات البلهاء ـ الخبز الملعون ـ ضوء القمر ـ قصة فتاة مزرعة

١٨٨٤ : الميراث ـ الأم الشرسة ـ الأخوات روندولي ـ ميس هاريت ـ الحلية ـ ايغيت ـ السرسر ٢٩ .

١٨٨٥ : حكايات النهار والليل ـ حكايات وقصص ـ توان .

١٨٨٦ : روك الصغير ـ روزالي برودن ـ السيد باران .

١٨٨٧ : الهورلا .

١٨٨٨ : شجرة ورد السيدة هوسون .

١٨٨٩ : اليد اليسرى

١٨٩٠ : جمال عديم الجدوى

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

هذا الانتاج الغزير يشكل مجموعة متماسكة دون تصدع ، لا يتغير أسلوب موباسان فيها ولا طرق تعبيره ، رغم الغنى بالعناصر القصصية ، والمواضيع نفسها تتردد دائماً : تفكك العائلة ، وصعوبة التفاهم والاتصال بين الناس ، والحب التعس بين نساء غادرات أو سريعات التأثر ورجال ضعفاء أو متسمين بالخشونة والفظاظة ، وهو حبّ لا يتمكن من أن يرتفع فوق الملّذات الجسدية إلى جانب مواضيع الحرب والوحدة ، والجنون ، والموت ، عدا عن النقد الجارح لبشرية تعمّ فيها الأنانية ، وقصر النظر والنفاق .

تجري الأحداث في أوساط يعرفها موباسان منذ شبابه : أوساط الفلاحين والنبلاء الريفيين النورمانديين ، وعائلات صغار الموظفين ، بل

وعالم المواخير ، والمومسات يكثرن في مؤلفاته حتى العام ١٨٨٤ ، فقصة بيت تليه مثلاً تدور حول نزيلات ماخور يرافقن قوّادتهن إلى احتفال أوّل مناولة فيتذوقن لأوّل مرة أفراح عيد عائلي ، كذلك قصص الآنسة فيفي والسرير ٢٩ ترسم عالم المومسات بمتناقضاته المشينة تصبح بعد ذلك أقل وروداً ويبتعد موباسان عن جو المواخير ليستبدل به صالونات سيدات المجتمع ويغدو التحليل أكثر عمقاً ويتفجّر التناقض حتى اللامعقول وتتعارض قواعد الأخلاق المثالية مع قواعد الأخلاق السائدة كما في الميراث ( ١٨٨٤ ) كما تتعارض العواطف مع الحاجات الحيوية كما في روزالي يُرودن ( ١٨٨٦ ) وقد يغدو الخير والشر مفاهيم غير محددة ، وأكبر المدانين جديراً بالشفقة كما في الأم المتوحشة ( ١٨٨٦ ) وروك الصغيرة ( ١٨٨٦ ) وقد تؤدي الصدفة المسيطرة على الحياة إلى القطعية بين الغاية والنتيجة كما في الحلية ( ١٨٨٤ ) وإيغيت . لكن السخرية تبقى جزءاً مكملاً للطريقة الموضوعية التي تتيح لموباسان التعبير عن انسانية عميقة لكنه لا يعطيها أبداً انطلاقتها .

هذه الانطلاقة وتلك السخرية تظهران بشكل أكثر وضوحاً في رواياته ، وبصورة خاصة في الصديق الظريف ( ١٨٨٥ ) التي يرسم فيها قصة صعود صحفي بدون موهبة ويعطي صورة ساخرة مشوبة بالهجاء للمجتمع الباريس : فالوصولي جورج دوروا مستخدم في سكة الحديد يقضي حياة بائسة في باريس ، لكنه ذو وجه جميل ، وضمير واسع مرن ،

ويعمل صديقه فورستيه الصحفي ، الذي تكتب له زوجته الجميلة مادلين مقالاته ، على ادخاله عالم الصحافة ، ويموت فورستيه ، ويتزوج دوروا مادلين ، ولما لم يعد يتأمل منها شيئاً ، يعمل على مفاجئتها بالجرم المشهود مع وزير ، ويهرب مع ابنة عشيقته القديمة ، التي تأتيه بعدة ملايين ، ويصبح بارونا ورجلا معتبراً وصاحب نفوذ .

هي رواية طويلة يسخر فيها موباسان من الصحافة وهو يعمل بها ومن تآمر أموال المشاريع في المستعمرات مع رجال الدولة وقد كان موظفاً في وزارة البحرية ، ومن المجتمع الباريسي وهو يرتع بين أحضانه ، ولاغرو أن يعطيها عنوان (( الصديق الظريف Bel Ami )) وهو الاسم الذي أطلقه على يخته ليبقى كل ذلك ماثلاً أمام عينيه . كتب موباسان ست روايات هي :

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

حياة Ume Vie ( ١٨٨٣ )

الصديق الظريف Mel Ami ( ١٨٨٥ )

مون ـ أوريول Mont - Oriof ( ١٨٨٧ )

بيير وجان Pierre efgeam ( ١٨٨٨ )

قوي كالموت Fort comme La Hort ( ١٨٨٩ )

قلبنا Notre Gaeur ( ١٨٩٠ )

ويبدو أن روايته الأولى حياة قد كتبها متأثراً بأسلوب فلوبير في مدام بوفاري ، وهي سيرة ذاتية لامرأة تعسة في زواجها ، ويبدو أن موباسان أراد أن يقول فيها أن الحياة ، والهموم فيها تختلط بالأفراح ، ليست كثيرة

السوء ولا كثيرة الجودة أما رواية بييروجان (١٨٨٨) فتدور حول عائلة من صغار بورجوازي الهافر يقوم سوء التفاهم فيها بين أخوين في اليوم الذي تصرّح به الأم أن جان هو ابن زنا ويغدو بيير الابن الشرعي غيوراً من أخيه الذي أغناه أبوه الحقيقي .

لعل خير ما في هذه الرواية هو مقدمتها التي يبين فيها موباسان رأيه في كتابة القصة وفي دراستها ، ويظهر فيها تأثير بول بورجيه ، وخاصة عندما يحدد الرواية كنوع أدبي يمكن أن يضم موضوعية الحدث والتحليل النفسي .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

في الروايات الأخرى تبدو النزعة إلى التحليل وإبراز النواحي النفسية وخاصة في قوي كالموت ( ١٨٨٩ ) وهي قصة رسّام يتحد برابطة قوية وقديمة مع سيدة مجتمع لكنه يتعلق بابنة هذه السيدة ويدفعه التناقض بين الرابطة مع الأم وهوى الابنة إلى الانتحار .

هذه النزعة التي تتمحور حول ما يحدثه الحبّ من دمار في الأوساط الاجتماعية ، تعود إلى خيبة أمل كامنة في صميم الكاتب ، فهو ابن عائلة مفككة ، وقد يكون ورث عن أمه استعداداً للإكتئاب ، وخاض حرب ١٨٧٠ وتأثر بالهزيمة التي حاقت بوطنه ، وتشرّب أفكار شوبنهاور ، فكان

العالم في عينيه بلبلة لا يمكن اختراقها ، ولا سلطة للانسان عليها ، والحياة لا هدف لها ولا معنى ، والحبّ شرك تنصبه غريزة التناسل .

من فلوبير استمد الواقعية (( وجمالية الملاحظة )) ومن زولا والمذهب الطبيعي آثر المواضيع التي تغيظ اللياقة والحقائق التي تجابه هذا المجتمع تجاه نفسه وكان مع شوبنهاور في نظرته إلى انهيار القيم المطلقة وآمن مع بول بورجيه بعمق أسرار النفس فارتد يسبر أغوارها لكن روح القلق تزداد بتأثير مذكرات الرسامة الروسية الشابة ماري باسكيرتسف سيطرة عليه .

لكن يبقى لموباسان تفرده وميزته ، فهو المؤلف الذي يريد أن ينقل الحقيقة ببساطتها مبتعداً كل البعد عن شخصياته لا ينصب نفسه قاضياً إنما هو ذلك الساخر اللاذع المتشكك الذي يرى وجوب الضحك على الأشياء كي لا نجبر على البكاء عليها .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

في أواخر أيامه أراد أن يشرك الجمهور في سخريته ، فصدرت له مسرحيتان إحداهما بالاشتراك مع جاك نورمان وهي مُوزوت ( وقد مثّلت على مسرح جمناز في العام ١٨٩١ ) والثانية هي الوئام العائلي ( وقد مُثلت على مسرح الكوميدي فرانسيز في العام ١٨٩٣ ) لكنهما لم تلقيا الاستجابة التي لقيتها قصصه وروايته .

بدأت عوارض التشوّش العصبي تظهر على غي دي موباسان منذ العام ١٨٨٤ وما فتئت تزداد إلى أن حاول الانتحار في أوّل كانون الثاني من العام ١٨٩٢ فأودع في مصح الدكتور بلانش في أوتوي ( باريس ) حيث ازدادت معاناته من حالات الهلوسة وغدا أقرب الى الجنون إلى أن

أصيب بالشلل وتوفي في ٦ تموز ١٨٩٣ وهو لم يتجاوز الثالثة والأربعين من العمر .

المراجع :

موسوعة اونيغرساليس.

موسوعة لاروس .

موسوعة كيبه .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

**بعض مؤلفات غي دي موباسان**

* * *

# الليـــــــل

## قصة لغي دوموباسان ( كابـــوس )

ترجمة وتعليق الدكتورة كيتي سالم

أحب الليل بوله. أحبه كما يحب الانسان بلده أو عشيقته، أحبه حباً غريزياً عميقاً لايقهر . أحبه بكل حواسي ، بعيني تريانه ، بحاسة القُبَّرات في نور الشمس ، في الجو الأزرق، في الهواء الحار ، في نسيم الصبح المضيء (المشرق). واليوم يهرب في الليل ، كبقعة سوداء تمر عبر الفضاء المعتم ، فرحاً أسكره رحب الفضاء القاتم يطلق صرخة تهتز حزينة.

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

النهار يتعبني ويضجرني . انه صاحب فظ . استيقظ بعناء وألبس بملل ثم اخرج بأسى . كل خطوة وكل حركة وكل بادرة وكل كلمة وكل فكرة تتعبني كما لو كنت ارفع عبئاً يسحقني.

أما حين تنخفض الشمس فيعتري جسمي كله فرح غامض مبهم . أستيقظ وامتلئ حياة وكلما ازدادت العتمة شعرت أني شخص آخر شباباً وقوة وتنبها وسعادة . أرى العتمة تشتد كثافة ، هذا الظلام العذب وقد سقط من السماء ليغمر المدينة كموج لايمكن امساكه ولااختراقه ، انه يخفي، يمحو الالوان ويزيل الاشكال ، يضم بلمسته الخفية البيوت والناس والمعالم كافة .

حينئذ أرغب في أن أصرخ من العتمة كما يصرح البوم، وأن أركض على السطوح كما تفعل القطط، وتشتعل في عروقي رغبة في الحب عارمة لاتقهر.

أخرج وأسير تارة في الأحياء الضخمة المعتمة ، وطوراً في الغابات المجاورة لباريس. هناك أسمع أخواتي الحيوانات وأخوتي الصيادين الهاربين.

ان ماتحب بعنف ينتهي دائماً بان يقتلك . ولكن كيف أفسر مايحدث لي ؟ كيف اشرح مابي لأتمكن من سرده، لاأعرف، لم أعد أعرف ، كل ماأعرف أن هذا موجود - هاهو.

لقد حدث هذا أمس - هل كان يوم أمس ؟ - أجل بلا شك ، أو ربما حدث في يوم آخر ، في شهر آخر ، في عام آخر - لاأدري لابد أن يكون قد حدث امس ، لأن النهار لم يعد يطلع ، ولأن الشمس لم تظهر ثانية . ولكن منذ متى وهذه الليلة تدوم ؟ منذ متى؟.. من سيقوله؟ من سيعرف ذاك يوما ما؟..

كانت اذن ليلة أمس ، خرجت كما أخرج كل مساء بعد العشاء كان الطقس جميلاً ، عذباً وحاراً، نظرت إلى الأعلى وأنا أنحدر نحو الشوارع الفسيحة الى النهر الأسود ، المليء بالنجوم وقد قطعته في السماء أسطحة الشارع الذي يدور ويجعل هذا النهر الكبير يتموج كغدير يلف النجوم .

كان كل شيء مشرقا في الهواء العليل بدءاً من الكواكب حتى الفوانيس لأنوار تبرق في الأعالي وفي المدينة حتى بدت الظلمات مضيئة . ذلك ان الليالي اللامعة أكثر فرحاً من أيام الشمس الساطعة.

كانت المقاهي تتـلألأ في الشـوارع ، والنـاس مـابين ضـاحك وعـابر وشارب دخلت الى مسرح ، لعـدة لحظـات، إلى أي مسـرح، لم أعـدأدري .كان الضوء في المدخل قويا حتى أنه أحزنني فخرجت مكتئباً وقـد صدمـني الضوء العنيف على ذهب الشرفات وكذلك البريق الخادع لثريـا الكرسـتال الضخمة، وصف أنوار مقدمة المسرح الملتهب ، وكآبة هذا الضـوء المزيـف الساطع ووصلت الى شارع الشان زيليزيه حيث بدت المقاهي وكأنهـا بـؤر حرائـق في أوراق الأشـجار . كـانت أشـجار الكسـتناء الـتي صقلهـا النـور الأصفر كأنها قد طليت فبدت فسفورية لامعة. أما الاغطية الكهربائية الـتي تشبه أقمارا تبرق بريقاً شاحباً، والتي تشبه بيض قمر ساقطاً من السماء فهي تشبه أيضاً لؤلؤات ضخمة حيـة ، خطـان يشـحبان تحـت ضوئهـا اللؤلـؤي الغامض والملكي مصابيح الغاز ، الغاز القذر والشرائط الزجاجية الملونة.

توقفت تحت قوس النصر لأنظر الى الشارع العريض الطويـل والرائـع والمرصع بـالنجوم المتجـه نحـو بـاريس مـن خطـين مـن النـار والكواكـب ، والنجـوم في الأعلـى ، والكواكـب المجهولـة وقـد القيـت جزافـاً في فسـحة شاسعة حيث رسمت صوراً غريبة تجعلنا نحلم كثيراً ونفكر طويلاً .

دخلت إلى غابة بولونيا وبقيت فيها طويلاً طويلاً. فاعترتني قشـعريرة فريدة ، انفعال غـير مندفـع وعنيـف ، اندفـاع في تفكـيري يقـرب الجنـون. سرت طويلاًطويلاً ثم عدت .

كم كانت السـاعة حـين عـدت. مـررت ثانيـة قـرب قـوس النصـر؟ لاأدري كانت المدينة نائمة وغيوم ، غيـوم ضخمـة سـوداء راحـت تنبسـط ببطء في السماء .

شعرت لأول مرة أن ثمة شيئاً غريباً، جديداً سيحدث بدا لي الطقس بارداً والهواء يزداد كثافة وأن الليلة ، ليلتي ، الحبيبة ، وقد ثقلت على قلبي.. كان الشارع العريض مقفراً، الآن و لم يكن هناك إلا شرطيان يتنزهان بالقرب من موقف عربات ، وعلى الرصيف الذي ينيره ضوء خافت من فوانيس الغاز وقد بدت تحتضر ، ظهر خيط من عربات الخضر يتجه نحو سوق الهال . كانت هذه العربات تسير ببطء وقد حملت بالجزر. واللفت والملفوف .كان السائقون نائمين متخفين ، والأحصنة تسير بخطى متساوية تتبع العربة التي تتقدمها ، بلاصوت ، على الأرض الخشبية ، امام كل ضوء من الرصيف كان الجزر يلمع أحمر واللفت أبيض والملفوف أخضر ، وكانت كل عربة تمر وراء الأخرى ، هذه العربات الحمراء احمرار النار ، بيضاء بياض الفضة ، خضراء اخضرار الزمرد.

لحقت هذه العربات ثم عرجت على شارع رويال وعدت الى الشوارع العريضة . لم يكن ثمة انسان ولامقاه مضاءة ، هناك كان بعض المتأخرين فقط وقد راحوا يستعجلون. لم أر قط باريس على هذا الشكل ميتة ، مقفرة أخرجت ساعة جيبي. كانت الساعة الثانية.

ثمة قوة كانت تدفعني ، إنها رغبة في السير فذهبت حتى ساحة الباستيل هناك ، ادركت أني لم أر قط ليلة داكنة هكذا لأني لم أعد أرى حتى عمود تموز وسط الساحة وقد اختفى تمثال الذهب الذي على راس العمود في الظلمة الكتيمة . لقد شكلت الغيوم الكثيفة قبة شاسعة أغرقت النجوم وبدت تنخفض نحو الأرض لتسحقها وتزيلها.

عدت أدراجي . لم يعد ثمة انسان حولي . أما في ساحة شاتودو فلقد كاد رجل سكران يصدمني ثم سمعت حدة خطواته المترنحة والرنانة وتابعت المسير . مرت بي في شارع مونمارتر عربة، منحدرة نحو نهر السين ناديتها

لم يجب الحوذي. كانت امرأة تتسكع بالقرب من شارع دروو:" سيدي اسمعني" . أسرعت الخطى لأتجنب يدها التي مدتها نحوي . ثم لم يعد هناك على سطح الماء . سألته : كم الساعة الآن ياصاحبي ؟ فأجاب متأففاً :" وهل أعرف الوقت .. ليس معي ساعة".

لاحظت حينئذ أن مصابيح الغاز قد أطفئت . أعرف أنها تطفأ باكراً جداً قبل طلوع النهار ، في هذا الفصل ، للتوفير، ولكن الصبح كان بعيداً بعيداً جداً أن يظهر .

فكرت في نفسي قائلاً : لأذهب إلى سوق الهال ، هناك على الأقل أجد الحياة ".

بدأت السير ولكن لم أر طريقي ، رحت أتقدم ببطء كما يفعل الانسان في الغابة . أتعرف الى الشوارع بان أعدها واحدا واحدا .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

كان كلب يهر أمام مصرف الكريدي ليونيه. فدرت من شارع كرومون ثم تهت . رحت أهيم الى أن تعرفت الى مبنى الصرافة بشباكه الحديدية المحيطة به. كانت باريس كلها تغط في سبات عميق مرعب . ومع ذلك كانت عربة تسير عن بعد ، عربة واحدة ، ربما هي ذاتها التي مرت بي منذ فترة حاولت اللحاق بها وأنا أتجه نحو صوت الدواليب عبر الشوارع المنعزلة والسوداء ، السوداء سواد الموت .

تهت من جديد ، أين كنت .. يالـه من جنون أن تطفا المصابيح هكذا باكراً ليس من عابر أو متسكع ، أو هائم ، ولاحتى مواء قط عاشق لاشيء.

أين كان رجال الشرطة إذن ؟ رحت أقول (( سأصرخ وسيأتون )) صرخت : لم يجب أحد.

صرخت بصوت أعلى ، طار صوتي ، بلا صـدى ، ضعيفـاً مخنوقـاً ، يسحقه الليل ، هذه الليلة الكتيمة التي لايمكن النفاذ إليها .

أشتد صراخي :" النجـدة ، النجـدة، النجـدة" بقي ندائي البـائس بلاجواب . كم كانت الساعة؟ أخرجت ساعتي ، لم يكن معي عود ثقـاب أصغيت إلى دقة خفيفة للآلة الصغيرة بفرح غريب لم أعرفـه مـن قبـل بـدت الساعة نابضة بالحياة كنت أقل وحدة . ياللسر الغريب .. رحت أسـير مـن جديد كأعمى وأنا أتلمس الجدران بعصاي وأرفع في كل لحظة ناظري نحـو السماء ، آملاً انبلاج الصبح أخيراً ، ولكن الفضاء كان أسود كامل السواد انه ، سواد أعمق من المدينة .

كم كانت الساعة، بدا لي أني كنت أسير منذ زمـن غـير محـدود لأن ساقيَّ بدأتا تثنيان تعبا وصدري يلهث وأتضور من الجوع بعنف .

قررت أن أدق باب أول بوابة سحبت الزر النحاسي . دق الجرس في البيت مدوياً ، لقد دق بشكل غريب كما لو كان هذا الصوت يهتز وحـده في هذا البيت .

انتظـرت ، لم يجـب أحـد ، لم يفتـح البـاب ، فقرعـت الجـرس ثانيـة وانتظرت فترة ، لاشيء .

خفت .. فركضت إلى المنزل المجـاور ودققـت عشـرين مـرة في الممـر المعتم حيث ينام البواب . لكنه لم يستيقظ، فذهبت إلى أبعد من ذاك البيـت وأنا أدق بكل قواي الحلقـات أو الأزرار ، أصـدم برجلـي وعصـاي ويـدي الأبواب الموصدة بعناد .

وفجأة أدركت اني وصلت إلى سوق الهال . كـانت السـوق مقفـرة بلا صوت ولاحراك ، ولاعربة ، ولاانسان ، ولاربطة خضر أو باقة زهـور، كانت السوق خالية جامدة مهجورة ميتة.

اعتراني هلع - مرعب . مـاذا حـدث؟ انطلقـت مـن جديـد . لكـن الوقت؟ الساعة؟ من يقول لي كم السـاعة ؟ ليس مـن سـاعة تـدق في قبـة الاجـراس أو في المعـالم الأثريـة . فكـرت :" سـأفتح زجـاج سـاعتي تـدق وأتلمس العقرب بأصابعي ". أخرجت ساعتي من جيبي .. لن تعـد تـدق .. لقد توقفت .. لم يعد ثمة شيء، لاشـيء لاشـيء يرتعـش في المدينـة لاضـوء العربة البعيد - لم يعد شيء . كنت على شـواطئ النهـر وقـد صعـدت منـه رطوبة جليدية . هل مازال نهر السين يجري ؟

أردت أن أعرف ، وجدت السـلم ، فنزلت .. لم أكـن أسمـع التيـار يهيج تحت أقواس الجسر .. بقي عدة درجات .. ثم الرمـل .. ثـم الوحـل ...ثم الماء .. بللت به ذراعي ... كان يجـري .. كـان يجـري .. بـاردا ... باردا... باردا ... يكاد أن يتجمد .. يكاد أن ينضب .. يكاد ان يموت .

شـعرت جيـداً أن لم يعـد بـي القـدرة علـى الصعـود ثانيـة .. وأنـي سأموت هنا .. أنا أيضاً - جوعاً - وتعباً - وبردا.

* * *

## تعليق :

تقدم قصة (الليل "الكابوس) نموذجاً لنوع من الأدب سميناه بأدب الخوارق (Fantastique) .

سنحاول بقراءتنا لهذه القصة ان ندرس نقطتين هامتين هما المكان والزمان.

انهما معطيان أساسيان خارجان عن البطل ومنبعثان من داخله في آن واحد لأنهما يشكلان البعدين الرئيسين من وجوده . ثم سنخلص إلى دراسة العناصر المكونة لأدب الخوارق لدى موباسان .

آ) المكان : كيف يظهر المكان في هذه الحكاية ؟

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

أنه قد قسم إلى قسمين متساويين أولهما الفسحة الممتلئة بالحياة والضوء والحركة . أما الفسحة الثانية فهي مقفرة موحشة وإن هذا المكان الخالي هو مايثير اهتمامنا في هذه القصة . ذلك ان الفراغ يرافق الحدث الذي يسرده الراوي وهو نزهته الطويلة جداً في شوارع باريس ..كلما أوغل الراوي البطل ا. ير في هذه الشوارع المقفرة ازاداد التوتر المأسوي . بدا الراوي يشعر بهذا التوتر من خلال ثقل الليل في شارع الشان زيليزيه " كان الشارع العريض مقفرا الآن ". ثم ابتدأ الفراغ يمتد على مدينة باريس بأكملها وراح الراوي ينظر ويتأمل ليس الشارع الفسيح وحسب بل مكانا أوسع بكثير وأكبر . ان الكلمة التي استعملها موباسان ليصف مدينة باريس "مقفرة " قد سبقتها كلمة "ميتة " في الجملة التي عبر فيها عن تعجبه القلق" لم أر قط باريس على هذا الشكل ميتة ، مقفرة". وهو يكرر الفكرة نفسها بعد عدة أسطر حين يصف الشوارع المنعزلة ، "السوداء سواد الموت ". أن ذكر الموت لوصف عزلة

الشوارع يسبغ على هذه الشوارع صفة انسانية يلح المؤلف عليها ثانية حين يسعى البطل بعد عدة محاولات ليهرب من هذه العزلة أن يتوجه نحو سوق الهال ، وهو عادة مكان مأهول ، ملئ بالصخب والحركة ولكن وياالهول مفاجأته " كانت السوق خالية ، جامدة مهجورة ، ميتة ". حينئذ ينتابه الذعر ويدرك مدى عداء هذه الفسحة الخالية التي طوقته فوقع في فخها . لقد شعر بأن مجابهته للفراغ قد أصبحت حتمية لامجال للهرب منها وبأنه مقهور مسبقاً وأن المعركة خاسرة قبل أن تبدأ لأن الخصمين غير متساويين كيف يستطيع أن يحارب العدم ويصارع الموت.

ب) يشكل الزمن النقطة الثانية لدراستنا . أنه عنوان القصة ويعبر عنها أفضل تعبير . هذا الزمن هو الليل ، اطار القصة وحدثها . انه جو يبعث على القلق ويمهد له ويخلقه الى أن يصبح هذا القلق الحدث الأساسي لهذه القصة . هنا نطرق عنصراً أساسياً من أدب الخوارق وهو انعدام الزمن وحذفه وذلك حين توقفت ساعة جيب الراوي عن الدق. يبدأ الليل بان يأخذ شكل شخصية فاعلة ، انها ليلته الحبيبة المعشوقة التي تعطيه الفرح والراحة والطمأنينة. يتابع الراوي نزهته فيمر تحت قوس نصر ساحة النجمة ويدخل الى غابة بولونيا حيث يجلس طويلاً ، هناك ينعدم لديه الشعور بالزمن وهو أو ل عنصر لأدب الخوارق ، يضاف إليه عنصر ثان وهو رعشة غريبة تعتري جسمه، فيمر ثانية تحت قوس النصر ، هذا القوس الذي يشكل عتبة بين المالوف والغريب تذكرنا هذه العتبة بفلم من أشهر أفلام أدب الخوارق لميرنو١٩٢٢ وهو نوسفيراتو مصاص الدماء nosfrato le vampire حين يقطع البطل الجسر ، والتعليق الذي يذكره كل مؤرخي السينما وكثير من الكتاب وقد أدركوا الأهمية الكبرى لهذه الجملة السحرية " ماأن قطع هوتر (البطل) الجسر حتى أتت الأشباح للقائه ". هنا يشكل قوس النصر

الحد / الجسر بين هذين العالمين المتناقضين أو المتكاملين ومنه يغير الليل طابعه.

فبعد أن كان ودودا محباً يصبح عدائياً بديمومته واستمراره لأن الشمس لم تعد تشرق كما يظهر عداء الليل في طريقته لضم البطل وكذلك بالأحاسيس التي تبعثها فيه . ولنظهر هذا التغيير سنضع مقابلة للجمل والتعابير التي تصف زمني السرد .

| الزمن الأول | الزمن الثاني |
|---|---|
| – ليلة هانئة | ليلة قلقة مرعبة |
| – شعرت اني أكثر قوة | ساقي بدأتا تثنيان تعبا |
| – أكثر تنبها" | "كنت أتألم " |
| – "وسعادة" | اعتراني هلع " |
| – "أرغب في أن أصرخ من المتعة | "اشتد صراخي " النجدة" |
| – " هناك أسمع أخواني | "أجاب متأففاً" |
| – الحيوانات وأخواني الصيادين الهاربين" | :كان كلب يهر " |
| – " خرجت كما أخرج كل مساء بعد العشاء ، كان الطقس جميلاً ، عذباً وحاراً | " بدا لي الطقس باردا" |

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

– " نظرت إلى الأعلى وأنا
أنحدر نحو الشوارع الفسيحة
الى النهر الأسود، المليء
بالنجوم وقد قطعته في
السماء أسطحة الشارع الذي
يدور ويجعل هذا النهر
الكبير يتموج كغدير يلف النجوم"

– "دخلت الى المسرح

_ :"كان كل شيء مشرقاً"

في الهواء العليل بدءا من
الكواكب والفوانيس"

– "أنوار تبرق"

– "بدت الظلمات مضيئة"

– " الليالي اللامعة .."

" لقد شكلت الغيوم الكثيفة
قبـة شاسـعة أغرقـت النجـوم
وبدت
تنخفض نحو الأرض لتسحقها
وتزيلها "

" لم يفتح الباب ".

"والهـواء يـزداد كثافـة وأن
الليلة،
ليلـتي الحبيبـة قـد ثقلـت علـى
قلبي"

"مصابيح الغاز قد أطفئت"

"غيوم ضخمة سوداء راحت
تنبسط في السماء "

:هذه الليلة الكتيمة التي لايمكن

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

النفاذ إليها "

– :كانت المقاهي تتلألأ "لم أر قط باريس على هذا

(..) والناس مابين الشكل ميته ، مقفرة "

ضاحك وعابر وشارب"

"كـانت بـاريس كلهـا تغـط
في سبات عميق مرعب"

– " وقد صدمني الضوء "اختفى تمثال الذهب في الظلمة

العنيف على ذهب الشرفات"الكتيمة"

– "الشارع العريض والمرصع "الوصيف الذي ينيره ضوء

بالنجوم " خافت "

"لكني لم أر طريق "

" الشوارع المنعزلة والسوداء "

وكلما توغل البطل/الرواي في هذه الليلة ، الليلة الكابوسية وفـق العنوان الصغير ، راح الزمن يأخذ دوراً فعالاً، كما أن توقفه يعني تحـولا في المجرى السردي للقصة.

ثم تعتري رطوبة جليدية البطل التائه وتنتهي القصة بكلمة "الـبرد /أنه برد الموت . فهذا الزمن المقلق الذي يبـدو غريبـاً على الـرواي هـو الزمن الانساني، الداخلي، الخاص به. انه المصير النهائي الذي لايستطيع أن يفلت منه. وهذا مانراه في نهايـة القصـة . انهـا نهايـة كـل انسـان

ونتساءل هنا من هو الراوي ؟ فإن كـان قـد مـات فكيـف استطاع أن ينهي قصته؟ تكشف لنا هذه القصة عن غموض للزمن الانساني للسرد: أنه زمن الكتابة بالنسبة للكاتب وزمن القراءة للقارئ.

ان قصة (الليل) توضح كيف يتحول المكـان الى زمـن . فالمكـان المألوف /باريس/ يتحول الى مكان غريـب يعيشه البطـل بشـكل ثقيـل كما يعيش الزمن. لقد أصبحـت مدينـة بـاريس سـوداء داكنـة" ولكـن الفضاء بشكل مالامكان حيث تختلط السـمات وتضيع. وهـذا الموقـف يذكرنا بما يصفه سامي علي في كتابه **الفسـحة المتخيلـة**: ففـي المرحلـة الأولى " تكون الفسحة في البداية سطحاً بـدون عمـق " أمـا في المرحلـة الثانية " فيتحول الزمن إلى مكان والمكان الة كيان جسدي ".

إننا نجد الراوي في قصة الليل وقد تملكه المكان في نهاية القصـة . لقد انغمر في الماء "باردا .. باردا.. يكاد أن يتجمد .. يكـاد أن ينضـب .. يكاد أن يموت". أنه احساس ينتاب الراوي عـن طريـق المـاء العنصـر الأساسي ليبتلعـه، ولقـد درس باشـلار مطـولا عنصـر المـاء في كتابـه **الماء والأحـلام** فوجـد أن الاضمحـلال في المـاء العميـق أو الاختفـاء في الأفق البعيد مرتبطان بالعمق وباللانهاية وهذا هو المصير البشـري الـذي يأخذشكله من مصير المياه. وان المياه الساكنة تذكرنا بالموتى "لأن الميـاه الميتة هي المياه الساكنة. ومما لاشك فيه أن الماء هنا هو بديل لجوف الأم . كما أن هذا البرد الجليدي تلميـح وكاشـف لـبرد يمـوت فيـه النصـف الثاني من القرن التاسع عشر؟ لقد وضع المفكر ميشيل سـير كـل نهايـة القرن التاسع عشر تحت جناح البجعـة الجليـدي للرميـه. وبـالفعل فإنـه بكلمة جليدي .. بالماء البارد .. وبالغرق ، يظهر الموت ويسيطر القلـق على نهاية القرن الماضي .

اننا نتسائل في نهاية مطافنا مامكان الراوي أو البطل أو المؤلف في هذه القصة التي تحمل عنوان (الليل أو الكابوس). ولقد ذكرنا أنها قصة من قصص أدب الخوارق الذي ازدهر بين الأعوام ١٨٨٠ و١٨٩٠ حيث اختلطت الحدود بين الحياة والموت وانعدمت الفواصل بين العالم والحياة الباطنية الى درجة اصبح معها الكون كله ضبابياً عبثياً لامعنى له وهذا مايجسده البطل في تطوافه وفي نهايته وهي الاضمحلال بالماء ، حيث يختلط الليل الأسود بماء نهر السين الأسود وهذا مالجأ إليه موباسان في قمة الليل ليعبر عن رؤيته الداخلية العميقة الا وهي انعدام الحدود بيننا وبين سيولة العالم .

ومن أبرز سمات أدب الخوارق التي لجأ إليها موباسان سمة هامة وهي أن الراوي هو نفسه البطل . ونجد صيغة المتكلم - الأنا في قصة (الليل) : اي أتساءل عما أروي وما حدث لي .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

هناك سمة أخرى لاتقل أهمية وهي تدخل مالايقبله العقل في عالم عادي ومألوف هناك الجو القلق الذي ينبعث من القصة ويزداد هذا القلق مع تتابع الأحداث حتى يبلغ ذروته في النهاية وقد أخذ هذا القلق شكل التساؤل والتردد والحيرة والشك وعدم اليقين وهذا مايمتاز به أدب الخوارق .

كما أن وجود القرين أو الآخر جلي في هذا النوع من القصص : ان جسم موباسان يفرغ شيئاً فشيئاً ليمتلئ بحضور " الآخر" الا أن هذا الحضور لايدفئ موباسان بل على العكس يزيده شعورا بالبرد وهذا ماينتهي به قصة الليل .

أما لماذا سمى موباسان قصة (الليل) بالكابوس فان سامي علـي في كتابه الفسحة المتخيلة يجيب أفضل الاجابة :" اننا نـدرك ، بلاشـك، في الكابوس ، وعلى وجه أحسن ، اختفاء المسافة التي تفصـل الـذات عـن الموضوع ويظهر حينئذ فجأة من الأعماق مكـان جسـدي وقـد أضـاع بشكل فجائي مسافاته فيصبح العالم ثقيلا وتصبح الأشياء وعدم امكانية امساكها ،وقد تكـون الأشـياء طيعـة ومتمـردة معـا ، مألوفـة ولايمكـن التعرف إليها ، كما لايمكن للمرء ، وان بذل جهـدا عظيمـاً، أن يقطـع أصغر المسافات في حين يقطع بسرعة هائلة مسـاحات لايمكـن قطعهـا. كل شيء في الكابوس خارج عن حـدود العقـل والمنطـق ، الا أن لمسـة الكابوسية التي يجد فيها النائم نفسه تمكن في استحالة وضع المسـافة بينـه وبين العالم المحسوس وكذلك في عدم استطاعته أن يقتلـع مـن واقـع قـد انغمر فيه تدريجياً".

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

* * *

أخيراً نرى أن نشـير الى أن الأسـلوب الـذي امتـاز بـه موباسـان وخاصة في القصص والحكايات حيث تفوق ولمع . فلقد اشتهر بالتركيز على موقف أو حدث : انه نزهة البطل كما رأينـا في قصـة الليـل . أمـا السمات المميزة لهذا الأسلوب فهـي قصـر المقدمـة ثـم تتـابع الأحـداث السريع : فهو حين يلح على الحركة فإنه بذلك يؤكد على مسيرة الزمن وعلى اختفاء اللحظة الآنية التي يتشبث بها البطل.(الليل) أي على مقولة الزمن التي تأخذ مكان الصدارة في أدبه. ومابا عث الحاجة علـى الزمـن

الاقلقه وخوفه مـن المـوت. أليـس الزمـن هـو البعـد الأساسـي للوجـود الانساني وهو الذي يقود بطل (الليل) الى مصيره الأخير ؟

كما نلاحظ غياب التفاصيل التي لاجدوى فيها الى جانب الدقـة في الوصف والاختصار في الاجابات .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

## مراجع البحث :

1 - louis forestier; Maupassant, contes et nouvel les Ed. de la Pleiade, Gal limard, ler volume en 1977, 2eme vol ume P. 944.....949)
2 - Bancard (Marie - Clair) ; Maupassant Conteur fantastique Lettres Modernes, Minard , Paris 1976 .
3 - Savinio (Alberto) ; Maupassant et 'l'Autre . Gallimard 1977 .
4 - Castella (Charles) ; "Une divination sociologique ' les contes fantas - ques de Maupassant" L 'Avant - siecle 2, Lettres Modernes, Minard, paris 1976.
5 - Castex (pierre - Georges) ; Le conte fanastique en France, de Nodier a Maupassant. Ed. Jose Corti paris 1951.
6 - Guiomar (Michel) ' principe d' une esthetique de la mort. Ed. Jose Corti, paris 1967 .
7 - Serres (Michel) ;feux et signaux de brume - Zola, Grasset, paris 1975.
8 - Todorov (Tzevetan) ; Introduction a la litterature fantastique fantastique. P.u.F. paris 1965.
; L,art et la litterature fantastique P.U.F 1974.
10 - Bachelard (Gaston) ' L'eau et les reves . Jose Corti, pares 1942.
11 - Sami - Ali ; L 'espace imaginaire, Gallimamard, 1974

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

* * *

# الأعمـــى

ترجمة : إلهـام ميشيل خوري

ما هي هذه الغبطة التي تغمرنا مع إشراق الشمس ؟ ولماذا تملؤنا أشعتها المنسكبة على الأرض بالشعور بالسعادة في الحياة ؟ .

ترتشف هذه الألوان الحيّة ، فتمتلىء الأرواح استبشاراً ؛ وتخامرنا رغبات في أن نرقص ، ونركض ، ونغني ، بخفة تسعد الفكر ، ونوع من الرقة تنعتق كأنّها تريد الانطلاق لتعانق الشمس .

لكن العميان تحت الأبواب خامدون في ظلمتهم الأزلية ، يبقون كعادتهم هادئين وسط هذه الفرحة الجديدة ، ودون وعي منهم يضطرون في كل لحظة إلى تهدئة الكلب الذي يريد أن يقفز ويلعب وهو يقودهم . وعندما يعودون في المساء مستندين إلى ذراع أخ شاب أو أخت صغيرة ، ويقال لهم : (( كان الطقس جميلاً هذا اليوم )) ، لا يملكون إلا الردّ : ((لاحظت ذلك جيداً فالكلب لولو لم يكن يهدأ في مكان )) .

عرفت أحد هؤلاء العميان وكانت حياته أقسى العذابات التي يمكن تخيّلها . هو فلاح ابن مزارع نورماندي ، عني أبوه وأمه به ما داما على قيد الحياة ، فلم يكن يقاسي إلا من عاهته الرهيبة ، ولكن ما أن قضى

العجوزان حتى بدأ يعاني قسوة العيش البغيض ؛ فقد آوته أخت له في مزرعة ، كل من فيها يعامله كصعلوك يتطفّل على خبز الآخرين ، فهو يلام عند كل وجبة طعام يتناولها ، ويلقب بالتنبل والغليظ ؛ وبالرغم من أن صهره قد استولى على نصيبه من الميراث ، فهو يقدم له صحن الحساء إلا على مضض ، وبالكمية اللازمة فقط كي لا يموت جوعاً .

كان وجهه بمنتهى الشحوب ، وعيناه الكبيرتان البيضاوان كقرصي برشانة ، وهو خامل لا يتأثر بالشتيمة ، منغلق على نفسه ، حتى يكاد لا يعرف إن كان يحسّ . والواقع انه لم يحظ بأيّ حنان ؛ فأمّه لم تكن تحبه وتعنفه دائماً ، فمن لا يستفاد منه في الحقل يعتبر عنصراً ضاراً ، والفلاحون أشبه بالدجاجات التي تقتل العجزة بينها . ما أن يبتلع حساءه حتى يذهب فيجلس أمام الباب في الصيف ، أو قرب المدفأة في الشتاء ، ولا يتحرك أبداً حتى المساء ، لا تبدر منه التفاتة ، إنما يهتز جفناه أحياناً على بقعتي عينيه البيضاوين . هل لديه روح ، أو فكر ، أو إحساس واضح بحياته ؟ ما من أحد خطر له ذلك .

خلال سنوات عديدة ، مضت الأمور هكذا لكن عجزه عن كل عمل وبرودته انتهيا إلى إغاظة أقربائه ، فغدا كبش محرقة ، بهلولاً للتسلية ، ضحية للضراوة الطبيعية لدى متحجّري القلوب الذين يحيطون به ولسخريتهم المرة .

ابتدعت كل الهَرْجات القاسية التي يمكن استحياؤها من عماه ، ومن أجل أن يعوّض عمّا أكله ، جعلت وجبات طعامه أوقات تسلية للجيران ونكالاً لصاحب العاهة ؛ ففلاحو البيوت المجاورة يأتون إلى هذا المشهد اللاهي ، الذي ينقل خبره من باب إلى باب ، فيمتلىء مطبخ المزرعة بالمشاهدين كل يوم ، فيضعون أحياناً على الطاولة قرب الطبق الذي بدأ

يغرف منه حساءه هرّاً أو كلباً ويشتّمُ الحيوان بغريزته عجز الرجل فيقترب بهدوء يزاحم الرجل على طعامه ، يأكل منه دون ضجيج ، ويلعقه بمهارة ، فإذا أثار انتباه الرجل المسكين تلمظ لسان أونامة تثير شبهته ، ضرب بملعقته على غير هُدى ، لكن الحيوان اليقظ يتنحى بحذر متوقياً الضربة فتتعالى الضحكات ، ويبدأ التدافع والضرب بالرجلين من المشاهدين المصطفين على طول الجدران ، أما هو فلا يتلفظ بكلمة ، بل يعود إلى تناول طعامه بيده اليمنى بينما تلتفُّ يده اليسرى حول الطبق تذود عنه وتحميه .

أحياناً كانت تقدّم له سدادات قوارير ، وقطع خشب ، وأوراق جافة ، وحتى بعض أقذار ليعلكها بدلاً من الطعام دون أن يستطيع تمييزها .

حتى هذه المساخر غدت أخيراً مصدر مَلَل ، واستمر الصهر على حنقه من تقديم الغذاء له ، فأخذ يوجّه إليه الضربات واللطمات دون انقطاع ، ضاحكاً من محاولات الأعمى غير الجدية لتفادي هذه الضربات أو ردّها . وهكذا بدأت لعبة جديدة : هي لعبة الصفعات ؛ ففتيان المحاريث ، وصبيّ المزرعة والخادمات جعلوا من وجهه هدفاً لأيديهم ، وترفُ أجفانه بحركة متسارعة ، ولا يعرف أين يختبيء أو يستقر وهو يحمي وجهه بذراعيه الممدودتين خشية المقتربين منه . أخيراً أرغم على التسوُّل ، فكان يوضع على الطرقات في أيام السوق ، وما أن يسمع وقع خطوات ، أو قرقعة عربة، حتى يمدّ قبعته متلعثماً بالقول : (( حسنة يا أهل الخير )) ، لكن فلاح النورماندي ليس كريماً ، وتمرُّ عليه أسابيع لا يحصل فيها على فلس واحد . وهذا ما أثار حقداً عليه لا شفقة فيه مما أدى إلى موته .

ذات شتاء والأرض مغمورة بالثلج ، والجليد يعم المنطقة بشكل رهيب ؛ قاده صهره ذات صباح إلى مكان بعيد بعيد على الطريق العام ليطلب الإحسان ؛ وتركه هناك طيلة النهار ، وعندما هبط الليل أكدّ أمام

معارفه أنه فتش عنه فلم يجده ، وأضاف : (( إيه ـ يجب عدم الاهتمام بذلك، لا شك أن أحداً ما قد آواه لديه في هذا الطقس البارد ، طبعاً ليس ضائعاً ، وسيعود بالتأكيد غداً ليتناول حساءه )) .

لكنه لم يعد في الغد . فبعد ساعات طويلة من الانتظار ، أحس الأعمى بالبرد الشديد يتجمّد أطرافه ، وخشي الموت واقفاً ، فراح يمشي ، لكنه لم يهتد إلى طريقه المغمور بالجليد والثلج ، فزاغ على غير هدى يهوي في الحفر ، وينهض صامتاً دائماً ، يبحث عن بيت .

لكن خدر الثلوج غزاه شيئاً فشيئاً ، ولم تعد ساقاه قادرتين على حمله فجلس وسط السهل ، ولم ينهض بعد ذلك ؛ فنُدَف الثلج التي استمرت في الهطول استمرت في الهطول غمرته واختفى جسده المتجمد تحت التراكم غير المتوقف لدفقاتها اللامتناهية حيث لا شيء يدلُّ على المكان الذي انغمرت فيه الجثة .

تظاهر أقرباؤه بالتحري والبحث عنه لمدة ثمانية أيام بل انهم ذرفوا الدموع أيضاً كان الشتاء قاسياً ، ولم يتم ذوبان الجليد سريعاً ؛ وفي أحد أيام الآحاد لاحظ القرويون وهم ذاهبون إلى القداس مجموعة من الغربان تحوّم في الفضاء فوق السهل بدون انقطاع ثم تنقضُّ كمطر أسود متجمّعةفي مكان واحد ، ثم تنطلق لتعود بعد ذلك مرة أخرى.

في الأسبوع التالي كانت هذه الطيور القاتمة ما تزال هناك ، وبدت كغيمة سوداء في الأفق متجمّعة من جميع الزوايا ، وكانت تهبط وهي تزعق على الثلج الساطع فتنتثر عليه كنقط سوداء بغرابة وهي تنقّب بعناد .

دفع الفضول أحد الفتيان للذهاب لرؤية ما تفعله في ذلك المكان ، فاكتشف جثة الأعمى ممزّقة وقد افترس نصفها ، واختفت عيناه الشاحبتان بعد أن نخرتها مناقير الطيور الكاسرة الطويلة .

لم أعد أستطيع أبداً الشعور ببهجة أيام الشمس الجميلة دون ذكرى حزينة وفكرة كئيبة نحو البائس المعاني بمرارة في حياته والذي كان موته الرهيب مصدر عزاء لجميع من عرفوه .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

# والـــد سيمـــون

قرع جرس الظهيرة ، وفتح باب المدرسة ، وهرع التلاميذ يخرجون متزاحمين ؛ لكنهم بدلا من أن يتفرّقوا سريعاً ليتنصرفوا إلى الغداء كما يفعلون كل يوم ؛ توقفوا على بعد خطوات زمراً وبدؤوا التهامس فيما بينهم . ذلك أن سيمون ابن بلانشوت حضر إلى الصف لأوّل مرة هذا الصباح .

كانوا كلّهم قد سمعوا من يتحدث عن بلانشوت في أسرهم ، وبالرغم من أنها كانت تلقى استقبالاً حسناً بين الجمهور ، فإنّ الأمهات فيما بينهن كن ينظرن إليها بإشفاق مشوب بشيء من الإزدراء ، انتقل بدوره إلى الأولاد دون أن يعرفوا السبب . أمّا سيمون فلم يكونوا يعرفونه لأنّه لم يكن يظهر بينهم أبداً ، فهو لا يتسكّع معهم في دروب القرية ، ولا يشاركهم اللعب على ضفاف النهر . وهكذا لم يسبق لهم أن شعروا بعاطفة نحوه ؛ لكنهم استقبلوه ببعض انشراح مقترن بدهشة كبيرة في المدرسة ، وردّد واحدهم للآخر هذا الخبر الذي أعلنه فتى في الرابعة أو الخامسة عشر

من عمره يبدو أنه وثيق الإطلاع ، إذ أنه كان يغمز ساخراً بعينه وهو يقـول : (( أتعرفون ... إن سيمون هذا لا أب له ! )) .

بدوره بدا ابن بلانشوت على عتبة المدرسة ؛ هو ولـد في السـابعة أو الثامنة من عمره ، شاحب الوجه قليلاً ، نظافته ظاهرة جداً ، والخجـل بـاد على محيّاه في شبه بلادة .

كان متهيئاً للانصراف إلى منزل أمه عندما أحاطت به جموع التلاميذ ، يتهامسـون دومـاً ، وينظـرون إليـه بـأعين مـاكرة وقاسية ، أعـين أولاد يضمرون سخرية خبيثة والتفـوا حولـه شيئاً فشيئاً ، إلى أن حبسـوه ضمـن حلقة ضيقة تسمّر فيها مندهشاً مرتبكاً ، لا يعرف ماذا سيفعلون به . لكـن الفتى الذي كان قد أذاع الخبر سأله وهو مزهو بما لاقاه من نجاح :

ـ ما اسمك يا هذا ؟

أجاب : (( سيمون )) .

تابع الآخر : (( سيمون )) ماذا ؟

ردّ الولد وهو مضطرب كليّة : (( سيمون )) .

صرخ به الفتى : (( لكن سيمون فقط ... هذا ليس اسمـاً ، يجـب أن يكون سيمون وشيء ما ... )) كاد الولد يبكي ، وأجـاب للمـرة الثالثـة : ((أنا أُسَّمى سيمون ))

أخذ الصبيان يضحكون ، وارتفع صوت الفتـى الظـافر : (( ألم أقـل لكم إنـه بـدون أب )) وسـاد صمـت عميـق ، ودهـش الأولاد لهـذا الأمـر الغريب ، غير الممكن ، المخيف ـ ولـد بـدون أب ـ نظـروا إليـه كعجيبـة ،

ككائن غير طبيعي ، وشعروا بازدراء أمهاتهم غير الواضح لبلانشوت يكبر في نفوسهم .

أما سيمون فقد استند إلى جذع شجرة خشية أن ينهار ، وبقي مرتعباً أمام هذه البلوى التي لا يمكن درؤها ، جرّب أن يجد تفسيراً ، لكنه لم يهتد إلى جواب يردّ به ويكذّب هذا الأمر المخيف ؛ أمر أن لا أبَ له . أخيراً صرخ ، وهو كالح الوجه وبدون تفكير : (( بلى إن لي أباً ))

سأله الفتى : (( وأين هو ؟ ))

وصمت سيمون فهو لا يعلم . وضحك الأولاد ، وازدادت سخريتهم ، فأبناء البراري هؤلاء كانوا أقرب إلى البهائم ، وقد تملّكتهم تلك الرغبة القاسية التي تدفع دجاجات الزريبة إلى الإجهاز على المصابة بجرح بينها . وانتبه سيمون فجأة إلى جارصغير له ، هو ابن أرملة كان يراه دائماً وحيداً مع أمه مثله . فقال له :

(( وأنت أيضاً ، ليس لك أب )) .

أجاب الآخر : (( بلى ، إن لي واحداً ))

انتفض سيمون قائلاً : (( وأين هو ؟ ))

صرّح الولد باعتزاز رائع : (( إنّه ميت ، إنّه في المقبرة )) .

سرت بين المشاغبين تمتمة استحسان ، كأن واقع وجود والد ميت في المقبرة قد عظّم رفيقهم ، وسحق هذا الآخر ؛ واشتدّ زحام هؤلاء العناريت ، ومعظم آبائهم من الأشرار ، السكّيرين ، اللصوص ، العتاة على نسائهم ، وضيّقوا حلقتهم ، كأنهم وهم ، أبناء آبائهم شرعاً يريدون خنق هذا الذي لا أب له .

وفجأة مدّ أقربهم إليه لسانه بسخرية وصرخ : (( لا أب لك ! لا أب لك ! ))

شدّه سيمون من شعره بيديه الإثنتين ، وراح يركله بقدميه وعضّ وجنته بقسوة ، وبدأ عراك مرير ، ثم فصل بين المتقاتلين بعد أن ضرب سيمون ، ورُضّ ، ومزقت بعض ثيابه ، وعفر في الأرض وسط هؤلاء العتاة الذين كانوا يصفقون ؛ وعندما نهض وهو ينفض بشكل آلي الغبار عن قميصه ، هتف به أحدهم :

(( اذهب واخبر أباك )) عندئذ شعر بكآبة عميقة تنتابه ؛ كانوا أقوى منه ، وضربوه ، ولم يتمكّن من أن يردّ عليهم لأنه أحسّ فعلاً أن لا والد له ، جرّب لثوان وهو الابن المقهور أن يغالب الدموع التي تخنقه ، وانتابته غصّة ، وبدون أن يبدر منه أي صوت راح يجهش بنحيب هزّ جسمه بكامله .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

انتاب أعداءه فرح عارم ، وكالمتوحشين في فورة نشوتهم الرهيبة ، امسك بعضهم بأيدي بعضهم الآخر وشكّلوا حلقة رقصة حوله وهم ينشدون كلازمة : (( لا أب لك ، لا أب لك )) . لكن سيمون توقف عن النحيب فجأة ، وتملّكه غضب جنوني ، وأحسّ بالحجارة تحت قدميه فالتقطها ، وبكل قواه راح يرمي جلاديه بها ، كان على درجة من الهيجان رمت الرعب في الآخرين ، فانتابهم الجبن كعادة الجمهور أمام انسان يائس فتشتتوا وهربوا ؛ بعد أن أصاب اثنين أو ثلاثة منهم .

بقي الولد الذي لا أب له وحيداً ، وانتابه خاطر جعله يقرر أمراً خطيراً فأخذ يركض باتجاه النهر يريد أن يغرق نفسه فيه .

تذكّر في الواقع انساناً مسكيناً كان ينسرّل ليعيش ، فسئم الحياة عندما لم يجد في جيبه قرشاً وألقى بنفسه في الماء ، وكان سيمون بين الحاضرين عندما انتشلوه من النهر ؛ وأدهشه أن يرى العجوز الكئيب الذي كان يبدو له في العادة متألماً ووسخاً ودميماً وقد بدا هادئاً بلحيته الطويلة المبتلّة ، ووجنتيه الشاحبتين ، وعينيه المفتوحتين الساكنتين . قيل من حوله : (( لقد مات )) وأضاف أحدهم : (( إنه سعيد الآن )) . وقد أراد سيمون أن يغرق نفسه ، لأنه لا أبّ له ، كهذا البائس الذي لا دراهم له .

وصل إلى قرب الماء ، ورآه يجري ، ولاحظ بضع سمكات تمرح سريعة في المجرى الصافي وهي تقفز بين لحظة وأخرى إلى السطح لتلتقط بعض حشرات تتطاير إلى قربه . كفّ عن البكاء ليرقبها ، فحركتها أثارت اهتمامه .

ولكن وكما يحدث أحياناً عند خمود العواصف ، تمر فجأة زوبعة عاتية تلاطم الأشجار وتضيع في الأفق . كذلك عادت إليه تلك الفكرة بألم حاد وقال : (( سأغرق نفسي لأن لا أب لي . ))

كان الطقس حاراً جداً ، وجميلاً جداً ، وأشعة الشمس العذبة تدفىء العشب . وصفحة الماء تلتمع كمرآة ، وأحسّ سيمون لدقائق بالغبطة ، وبذلك الخمول الذي يلي الدموع ، وخالجته رغبة كبرى في أن ينام على العشب الدافىء .

قفزت ضفدعة خضراء صغيرة تحت قدميه ، وجرّب أن يمسك بها فهربت منه ، وجرى وراءها ، وأخطأها ثلاث مرات على التوالي ، أخيراً قبض عليها من طرف إحدى قائمتيها الخلفيتين ، وأخذ يضحك وهو يرى الجهود التي تبذلها لتفلت منه ، تجمّعت على ساقيها الطويلتين ، ثم بانبساط

مفاجىء مدّتهما بسرعة وعنف كأنّهما قضيبان صلبان ، بينما كانت عينهـا تستدير ضمن حلقتها الذهبية ، وقائمتاها الأماميتان تضربان الهواء كالأيدي ذكّره هذا بلعبة مصنوعـة مـن قطـع خشـبية صغـيرة موصولـة فيمـا بينهـا بشكل خط منكسر ، وببسطة مماثلة تؤدي إلى تحريك جنود صغار ملتصقين عليها .

فكـر عندئـذ ببيتـه وبأمّـه وشـعر بكآبـة عميقـة فعـاد إلى البكـاء ، وارتعشت أطرافه ، وجثا على ركبتيه ، وأخذ يصلـي كمـا اعتـاد أن يفعـل قبل النوم ، لكنه لم يستطع إنهاء صلاته ، فالزفرات عاودته متلاحقة عاصفة بحيث غزت كيانه كله ، فلم يعد يفكر بشيء ، ولا يـرى شـيئاً ، لا يشـغله شاغل إلا البكاء المرير .

فجأة أحسّ بيدٍ ثقيلة تمسك بكتفـه ، وصـوت جهـوري يسـأله : (( أي أسى يضنيك يا صغيري ؟ ))

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

التفت سيمون فرجد عاملاً طويـلاً ذا لحيـة وشـعر أسـودين جعديـن ينظر إليه بمنتهى الطيبة ، فأجاب والدموع تملأ عينيه والغصّة في حلقه :

(( لقد ضربوني ... لأن ... لأن ... لا أب لي ؛ لا أب لي . ))

ـ قال الرجل باسماً : كيف ، لكن لكل انسان واحد .

تابع الولد بمشقة وسـط تشـنّجات كربتـه : (( أنـا ... أنـا ... ليـس لي)) .

عندئذ نظر العامل للأمر بجدّية ، فقد عرف ابـن بلانشـوت ، ورغـم أنه وافد حديثاً إلى المنطقة فهو ملمٌّ بقصتها . قال : (( هيّا ، خفّف عنك يا ولدي ، وتعال معي إلى والدتك ، فسنجد لك ... أباً .

وسارا في طريقهما ، والكبير يمسك الصغير بيده ، وابتسم الرجل من جديد ، فهو غير مستاء من أن يرى هذه البلانشوت ، التي يذكرون عنها إنّها إحدى أجمل بنات المنطقة ، وربما راودته في أعماق فكره أن الصبوة التي زلّت مرّة قد تزلُّ مرة أخرى . وصلا إلى أمام منزل صغير أبيض ، نظيف جداً .

قال الولد (( إنه هنا )) وهتف : (( أمّاه ))

وظهرت امرأة وتوقّف العامل فجأة عن الابتسام ، إذ أنه أدرك سريعاً أن لا مجال للهزار مع هذه الفتاة الشاحبة المشيقة المقامة ، التي وقفت بصرامة على عتبة باب منزلها كأنّها تحرم دخوله على رجل بعد أن خدعت سابقاً بآخر .

تلجلج العامل خجلاً ، وقبعته في يده ، وهو يقول : (( جئت يا سيدتي أوصل إليك ولدك الصغير الذي وجدته ضالاً قرب النهر )) .

لكن سيمون قفز إلى عنق أمّه وقال لها : (( كلا يا أمي ، أردت أن أغرق نفسي ، لأن الآخرين ضربوني ... ضربوني ... لأن لا أب لي . ))

غمرت حمرة خجل كاوية وجنتي المرأة الشابة المتألمة حتى أعماق أعماقها ؛ وقبّلت ولدها بحنان طاغ والعبرات تنهمر على وجنتيها ، ووقف الرجل متأثراً لا يعرف كيف يعود ؛ لكن سيمون هرع إليه فجأة وقال له : (( أتريد أن تكون أبي ؟ ))

وساد صمت عميق ، واستندت بلانشوت خرساء يُمضها الخجل إلى الجدار ، ويداها مضمومتان إلى قلبها ، وعندما لم يلق الولد جواباً تابع : إذا لم ترد ، فسأعود لأغرق نفسي )) أخذ العامل الأمر بالدعابة وأجاب ضاحكاً : (( طبعاً ، أرحّب بذلك ))

سأل الولد عندئذ : ما اسمك ، لأعلنه للآخرين عند سؤالي عنه ؟ .

أجاب الرجل : فيليب .

صمت سيمون لحظة كأنه يريد أن يستوعب اسم الرجل جيداً في ذاكرته ، ثم مدّ ذراعيه متأسياً وهو يقول : (( حسن )) يا فيليب ، أنت والدي . ))

رفعه العامل عن الأرض فجأة ، وقبّل وجنيه ، ثم هرب بسرعة وبخطا واسعة .

عندما عاد الولد إلى المدرسة في اليوم التالي ، استقبل بضحك خبيث، وعند الانصراف ولّما أراد الفتى أن يكرّر قصة الأمس ، رماه سيمون بهذه الكلمات كأنه يقذفه بحجر : (( إن أبي يسمى فيليب )) .

انطلقت صياحات غبطة من جميع الجهات متسائلة : (( أيُّ فيليب ؟ فيليب ماذا ؟ من هو هذا الفيليب ؟ من أين جئت بفيليبك ؟

لم يجب سيمون ، لكن إيمانه لم يتزعزع وتحدّاهم بنظره ، فهو مستعدٌّ على مجابهة اضطهادهم بدلاً من أن يهرب من أمامهم ، وخلّصه معلم المدرسة من مأزقه ، وعاد إلى أمّه .

مرّت ثلاثة أشهر والعامل الشاب يمرُّ غالباً من أمام بيت بلانشوت ، ويتشجع أحياناً في توجيه الكلام إليها عندما يراها تخيط قرب نافذتها ، فتجيبه بتهذيب وبمنتهى الرزانة ، دون أن تشاركه مرّة في ضحكه ، ودود أن تتيح له فرصة الدخول إلى منزلها ، غير أنه وهو المزدهي كجميع الرجال ، خيّل إليه أنها تحمّر غالباً أكثر من عادتها عندما تحادثه . لكن السمعة

المجرّحة تبقى دائماً هشّة ، ويصعب جداً صيانة كرامة صاحبتها ، فرغم كل احتياط بلانشيت الجفول بدأت النميمة تتناولها .

أما سيمون فقد أحبّ كثيراً والده الجديد ، وكـان يتـنزه معـه تقريبـاً كل مساء بعد انتهاء يوم العمل ، ويذهب بجدٍ إلى المدرسة مـارّاً بـين رفاقـه مرفوع الرأس ، لا يردُّ عليهم بكلمـة . غـير أن الفتـى المهـاجم لـه في البـدء تعرّض له يوماً وقال له : (( لقد كذبت ، فليس لك أب اسمه فيليب . ))

ردّ سيمون متأثراً : (( كيف هذا ؟ ))

فـرك الولـد يديـه وتـابع : (( لأنـه لـو كـان لـك مثـل هـذا الأب ، فسيكون زوج أمّك )) اضطرب سيمون أمـام صحـة هـذه الحجّـة غـير أنـه أجاب : (( إنه أبي على كل حال )).

قال الفتى ساخراً : (( هذا ممكن ، لكنه ليس أباك تماماً ))

أحنى صغير بلانشوت رأسه ، وذهب حالماً من جهة مِحرَف حـدادة الأب لوازون حيث يعمل فيليب .

يبدو محرف الحدادة هذا وكأنه مدفون تحت الأشجار ، فتسود العتمة فيه ، ويلتمع الوميض الأحمر وحده في كور هائل ، فيضيء ببريقـه السـاطع خمسة حدادين يقرعون ، وأذرعهم عارية ، على سنداناتهم محدثين ضجّـة رهيبة ؛ وهم يقفون متوهجين كالشياطين ، وأعينهـم علـى الحديـد المتوقّـد الذي يشكّلونه ، وفكرهم المرهق يعلو ويهبط مع مطارقهم .

دخل سيمون خفيـة ، وذهـب متمهـلاً فشـدّ بلطـف طـرف قميـص صديقه ، فاستدار نحوه ، وفجأة توقف المعمـل ، ونظـر الرجـال إلى الطفـل

وقد أعاروه كل انتباههم . عندئذ ووسـط هـذا الصمـت غـير المعتـاد ارتفـع صوت سيمون الصغير الخافت :

ـ (( قل إذاً يا فيليب ، هل صحيح ما رواه لي الآن فتى الميشود بأنك لست أبي تماماً ؟ ))

ـ سأل العامل : وما السبب ؟

أجاب الطفل بكل براءته : (( لأنّك لست زوج أمي )) .

لم يضحك أحد . وبقي فيليب واقفاً يسـند جبينـه علـى ظـاهر يديـه الضخمتين الممسكتين بنهاية مقبض المطرقة المسندة على السندان ؛ واستغرق في التفكير ، ورفاقه الأربعة ينظرون إليه ، وسيمون القلق يبدو صغـيراً جـداً وهو ينتظر بين هؤلاء العمالقة ؟ وفجأة التفت أحد الحدّاديـن وكأنّـه ينطـق باسم الجميع وقال مخاطباً فيليب :

(( إن بلانشوت رغم كل شيء فتاة شـجاعة وطيّبـة ، وقـد برهنـت عن رزانة وتعقّل في بلواها ، وستكون امرأة جديرة برجل شريف . ))

قال الثلاثة الآخرون : (( هذا صحيح )) .

وتـابع العـامل : إن تكـن زلّـت فهـل هـذا خطؤهـا ؟ لقـد وعـدت بالزواج، وأنا أعرف أكثر من واحدة ممن نحترم جيداً اليوم فعلت مثل فعلهـا

قال الرجال الثلاثة بلحن جماعي : (( هذا صحيح )) .

واستأنف الحداد : (( لقد شُقيت تلـك المسكينة في تربيـة طفلهـا وهي وحيدة ، وكم بكت منذ أن اعتكفت في بيتهـا لا تخـرج إلا للذهـاب إلى الكنيسة ، إن الله وحده يعرف ما عانته .

ـ قال الآخرون : (( وهذا صحيح أيضاً )) .

عندئذ لم يعد يسـمع إلا صـوت المنفـاخ الـذي يؤجّـج نـار الكـور ، وفجأة مال فيليب على أُذن سيمون هامساً : (( اذهب وقل لأمّك إنني أريد أن أبحث معها أمراً هاماً هذا المساء )) ثم أمسك بالولد من كتفيه وقاده إلى خارج المخرف ؛ وعـاد إلى عملـه ؛ وانهـالت المطـارق الخمسـة سـوية على السندانات . وراحوا يطرّقون الحديد هكذا حتى الليل ، أقويـاء ، قـادرين ، فرحين ، بمقدار إشباع مطارقهم ، وكما الجرس الأكـبر في قبّـة الكاتدرائيـة يجلجل في أيام الأعياد فوق رنين النواقيس الأخـرى ؛ هكـذا كـانت مطرقـة فيليب تهيمـن على قرقعـة الآخريـن ، وتنقـض بـين ثانيـة وأخـرى بضجّـة مصّممة ، وهو وقد تألّقت عيناه يحدّد باندفاع والشرر يتطاير من حوله .

كانت السماء مليئة بالنجوم عندما جاء يقرع باب بلانشوت ، وقـد ارتدى حِلّة الآحاد وقميصاً نظيفاً ، وزاد من العناية بلحيتـه . وبـدت المـرأة على عتبة بيتها مرتبكة وقالت (( إنّه لأمر مقلق أن تـأتي هكـذا مـع هبـوط الليل ، يا سيد فيليب . ))

أراد أن يردّ عليها ، فتلعثم وبقي مضطرباً أمامها وتابعت :

(( إنك تدرك ، مع ذلك ، وجوب عدم نشر الأقاويل حولي )) .

عندئذ قال فجأة : وما أهمية ذلـك ، إن كنـت تريديـن أن تصبحـي زوجتي .

لم يسمع أي صوت يجيبه ، لكن خيّل إليه أنه أحسّ في عتمة الغرفة بضجّة جسم يتهالك ، فدخل بسرعة ؛ وأمكن لسيمون النائم في سريره أن يميّز رنّة قبلة وبضع كلمات تتمتم بها أمه هامسة . وفجأة شعر أنه مرفوع بيدي صديقه وذراعاه القويّتان كذراعي هرقل تدوران به عالياً وهو يهتف :

(( ستقول لرفاقك أن أباك هو فيليب ريمي الحداد وأنه سيذهب ليشدّ أُذُني كل من يحاول أ ن يمسّك بسوء .

في اليوم التالي وبينما كانت المدرسة مليئة والدروس تكاد تبدأ وقف سيمون الصغير وهو شاحب الوجه وشفتاه ترتعشان وقال بصوت واضح : (( إن أبي هو فيليب ريمي الحداد وقد وعد بأنه سيشدّ أذني كل من يحاول الإساءة لي )) .

هذه المرّة لم يضحك أحد لأن هذا الحداد فيليب ريمي معروف جيداً وهو أب يفخر به كل انسان .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

* * *

# السـريـر رقــم ٢٩

عندما كان النقيب إيغان يمر في الشارع ، كانت جميع النساء يلتفتن، فهو يمثّل بحق نموذج ضابط الخيالة الوسيم . وهكذا كان يتبختر دائماً ويمشي متخايلاً كالطاووس دون انقطاع ، مزهواً ، ومشغولاً بفخذه، وقامته ، وشاربه . فهو يمتلكها رائعة بهيّة ؟ شارب أشقر كثيف يلتف فوق الشَفَة عسكرياً كأنه مخدة بلون الحنطة الناضجة ، لكنه ناعم ، مبروم بعناية، يبرز بعدها عن جانبي الفم كصاروخين قويين موّجهين ومقوّس . والفخذ مدهش ، فخذ رياضي أو راقص ترسم عضلاته جميع الحركات تحت قماش السروال الأحمر الضيق .

كان يمشي وهو يشدّ باطن الركبة ، ويباعد رجليه وذراعيه بهذه الخطوة المتزححة للفرسان ، المنتظمة بحيث تظهر رشاقة الساقين والجذع ، وهي تبدو ناجحة في البزة العسكرية فقط ، إنما يعيبها لبس المعطف .

وككثير من الضباط لم يكن اللباس المدني يليق بالنقيب إبيفان ، فهو يبدو باللون الرمادي أو الأسود أشبه بمستخدم في مخزن ، أما في لباس الفرسان فظافر عدا عن أن له رأساً جميلاً ، وأنفاً أقنى محنياً قليلاً ، وعينين زرقاوين ، وجبهة ضيقة ، لكن شعر رأسه قليل دون أن يدرك سبب تساقطه لكنه كان يتعزّى بقناعته أن القحف العاري قليلاً يتلاءم جيداً مع الشاربين العريضين .

كان يزدري جميع الناس بصورة عامة ، مع درجات متفاوتة في ازدرائه . فالبورجوازيون بالنسبة له لا وجود لهم ؛ فهو ينظر إليهم نظرته إلى الحيوانات ، لا يعيرهم انتباهاً أكثر من انتباهه للدواري أو الدجاج ، فالضباط وحدهم هم المعتبرون في الدنيا ، لكنه لا يكنُّ التقدير نفسه لجميع الضباط ، فهو لا يحترم ، إجمالاً ، إلا الرجال الوسيمين ، والميزة الوحيدة والحقيقية للعسكري يجب أن تكون الهيبة ؛ فالجندي رجل قوي ، يا للشيطان ، رجل ضخم قوي خُلق لممارسة الحرب والحبُّ . رجل شديد الزند ، صلب العود والحقوين . ولا شيء غير ذلك ، وكان يصنف قادة الجيش الفرنسي وفقاً لقاماتهم ، وحسن هيئتهم ، والمظهر المتجهّم لوجههم؛ فبورباكي(٢) يبدو له أعظم رجال الحرب في الأزمنة الحديثة .

كان يسخر كثيراً من ضباط الخطوط الدفاعية ، القصار الضخام الذين يلهثون في سيرهم لكنه كان يكن استخفافاً فعالياً يصل إلى حدّ الكراهية لهؤلاء النحلاء المساكين خريجي مدرسة البولتيكميك ، هؤلاء الرجال القصار القامة ، الهزيلي الجسم ، ذوي النظارات ، الحمقى والخرقاء، الذين إن صَلُح الأرنب لإقامة القدّاس فهم يصلحون لارتداء البزّة العسكرية ، على ما يؤكد . وهو يأسف للتسامح في قبول هؤلاء الطروح

ذوي السيقان النحيلة ، الذين يمشون كالسلاطعين ، ولا يشربون ويأكلون قليلاً ، ويبدون أكثر حباً للمعادلات الرياضية منهم للفتيات الجميلات .

كان للنقيب إبيفان نجاحات مستمرة ، وانتصارات لدى الجنس اللطيف . فهو في كل مرة يتعشى برفقة امرأة يعتبر يقيناً أنه سينهي الليل ورأسه قرب رأسها على مخدّة واحدة . وإن حالت عقبات قاهرة دون ظفره بها في المساء ذاته فهو متأكد أن ليومه « تتمة في الغد » . والرفاق لا يحبّون أن يلتقي بخليلاتهم ، وأصحاب المتاجر الذين تجلس نساء جميلات وراء صناديق حساباتهم ، يعرفونه ، ويخشونه ، ويكرهونه بعنف . عندما يمر وتتبادل البائعة ، بالرغم عنها ، نظرة معه عبر واجهة المتجر الزجاجية، إحدى هذه النظرات الأكثر تعبيراً من الكلمات الرقيقة ، المتضمنة دعوة وجواباً ، رغبة واعترافاً . ويلتفت الزوج فجأة وقد نبّهته حاسة فطريّة ، فيلقي نظرة غضبى على الضابط صاحب القوام المختال المتمختر أمام متجره، وبعد أن يمرّ النقيب باسماً مسروراً مما أحدثه من تأثير، يقلب التاجر بيد عصبية الأشياء المبسوطة أمامه ويصرّح بنزق : ـ هوذا ديك رومي كبير، متى سننتهي من عَلَف هؤلاء الذين لا يصلحون لشيء ويتسكّعون بسمكريتهم في الشوارع ؟ بالنسبة لي ، أفضّل جزاراً على الجندي . فالدم على صدار ذاك هو دم بهيمة على الأقل ، وهو مفيد لشيء ما ؛ والسكين التي يحملها غير مخصصة لقتل البشر . لا أفهم لماذا يُسمح في النزهات لهؤلاء القتلة العموميون أن يتجولوا مع أدوات قتلهم . أنا أدرك جيداً ضرورتهم . لكن فليحجبوا على الأقل دون أن يُكسوا بمسخرة من السراويل الحمراء والسترات الزرقاء ، فالجلاّد لا يُكسى عادة، أليس كذلك(٢)؟

أمّا المرأة فكانت تهزّ بشكل خفي كتفيها دون أن تجيب ، بينما الزوج يخمن الحركة دون أن يراها ، فيتابع :

ـ « يجب أن يكون الإنسان أحمقاً للاهتمام بتمختر هـؤلاء المغروريـن التافهين » . غـير أن سمعـة النقيـب إبيفـان كزيـر نسـاء جـذّاب كـانت قـد توطدت في كل الجيش الفرنسي وفي العام ١٨٦٨ فإن فرقته ، فرقـة الخيّالـة ١٠٢ ، استقرت كحامية في مدينة روان . واشتهر النقيب سريعاً في المدينة، فهو يظهر كل مساء نحو الشاعة الخامسة مساءً في منـتزه بوالديـو ، ليتنـاول الآبسينت في مقهى « الكوميدي »(٣) ، ولكن قبل دخوله إلى المنشأة ، كان يحرص على أن يقوم بدورة في المنتزه ليعرض ساقه ، وخصره، وشاربه.

كان تجار روان الذين يتنزهون بدورهم ، وأيديهـم وراء ظهورهـم ، وهم منشغلون بالحديث عن أعمالهم وارتفاع الأسعار أو انخفاضها ، يلقـون عليه ، مع ذلك ، نظرة ، وهم يتمتمون ـ « عجباً ، كـم هـو وسيم هـذا الرجل » .

ثم عندما يعرفونه يتابعون : « هو ذا ، إنه النقيب إبيفـان ـ ، كـم هـو قوي مع ذلك ! كم هو قوي مع ذلك !

أما النساء فتبدر منهن ، عند لقائه ، حركة رأس صغيرة ، تبدو غريبة تماما ، هو نوع من قشـعريرة خفَـر ، كـأنهن يشـعرن بـالضعف أو بـالعري أمامه، يخفضن الرأس قليلاً ، مع ظل ابتسامة علـى الشـفتين ، ورغبـة في أن يظهرن بجاذبية ، وأن يحظين بنظرة منه . وعندما يتنزه مع صديق ، لا يفوت الصديق أبداً أن يتمتم : « هذا الإنسان الفكِه إبيفان ، كم هـو محظـوظ ! » أما غانيات المدينة فقد قـام صـراع وسـباق بينهـن لاجتذابـه ، فكـنّ يـأتيت جميعهن في الساعة الخامسة ، ساعة الضباط ، إلى منـتزه بوالديـو ، يجرجـرن ذيول فساتينهن ، اثنتين اثنتين من طرف إلى آخر في المنـتزه بينمـا الملازمـون والنقباء والمقدّمون يجرجرون سيوفهم على الأرصفة قبل الدخول إلى المقهى.

على مثل هذا الحال ، وفدت في إحدى الأمسيات ، إيرما الجميلة التي يقال إنها خليلة السيد تامبليه ـ بابون ، الصناعي الغني ، فأوقفت عربتها أمام « الكوميدي » ونزلت منها متظاهرة بأنها ذاهبة لتشتري أوراقاً أو لتوصي على بطاقات خاصة لدى النقاش السيد بولار ، وذلك لتمرّ من أمام طاولات الضباط وتلقي نظرة على النقيب إبيفان ، نظرة تعني : « متى أردت » بشكل بيّن حتى أن العقيد برون الذي كان يتناول المشروب الكحولي الأخضر مع أحد المقدّمين لم يتمالك عن أن يدمدم :

ـ الخنزير اللعين ! كم هو محظوظ ، هذا الفكه .

رددت كلمة العقيد ؛ وتشجّع النقيب إبيفان بهذا الاستحسان السامي ، فتمختر في اليوم التالي في لباس الاحتفالات الرسمية ، ولعدة مرات على التوالي تحت نوافذ الغانية . ورأته ، وأظهرت نفسها ، وابتسمت . وفي ذات المساء ، كان عشيقها . وظهرا علنا ، واستهدفا لأنظار الناس ، وجازفا بالإتفاق بينهما ، وكلاهما مزهو بمثل هذه المغامرة ، وأصبحت غراميات إيرما الجميلة مع الضابط حديث المدينة . وحده السيد تامبليه ـ بابون كان في غفلة عنها .

كان النقيب إبيفان يسطع بهذا المجد ، وفي كل لحظة يردد : ـ سبق أن قالت لي إيرما ـ كانت إيرما تقول هذه الليلة ـ البارحة وأنا أتعشى مع إيرما ...

خلال أكثر من سنة كان يتنزه مع إيرما ، ويعرض هذا الحب في روان ، ويتفاخر به ، كأنه علم انتزعه من الأعداء . شعر أنه كبير بهذا النصر ، محسود عليه . وبدا واثقاً من المستقبل ، واثقاً من نواله الوسام الذي

طال اشتياقه له . لأن جميع الأعين قد استقرت عليه ، ويكفي أن يكون محطّ الأنظار حتى لا ينسى .

*

لكن هي ذا الحرب قد نشبت ؛ وكان فوج النقيب من أوائل الأفواج المقرر إرساله إلى الجبهة . وكان الوداع مدعاة للرثاء ، وقد دام طيلة الليل .

السيف ، والسروال الأحمر ، والعمرة العسكرية وسترة الخيال المقصبة انقلبت عن ظهر الكرسي إلى الأرض . والفستان والتنانير ، وجوارب الحرير، تناثرت وسقطت أيضاً واختلطت بالبزة العسكرية مدعوكة تستغيث على السجادة ؛ والغرفة في فوضى كأنها معركة . وإيرما كالمجنونة ، شعرها محلول ، تحيط بذراعيها القانطين عنق الضابط ، تغمره بالقبلات ، ثم تتركه، وتتلوّى على الأرض ، وتقلب الأثاث ، وتقتلع خَمْل الأرائك ، وتعضُّ أرجلهما ؛ بينما النقيب ، وقد اشتدّ تأثره ، يردد ، وهو غير الماهر في المواساة :

« إيرما يا صغيرتي إيرما ، لا مجال للاعتراض ، الرحيل مفروض ».

وكان يمسح أحياناً بطرف إصبعه دمعة توشك أن تتفجّر من جانب عينه .

افترقا مع الفجر ، وتبعت بعربتها عشيقها حتى نهاية المرحلة الأولى ، ثم عانقته أمام الفوج تقريباً في لحظة الفراق . بل اعتبر ذلك منها أمراً لطيفاً جداً ، ولائقاً جداً . وجيداً جداً ، وشدّ الرفاق على يد النقيب وهم يقولون له : « أيها المحظوظ الخبيث ، إنّ لهذه الغانية قلباً مع ذلك ».

وتم اعتبار ذلك فعلاً شيئاً وطنياً .

أبلى الفوج بلاءً حسناً في المعركة ، وتصرّف النقيب ببطولة ، وتلقى أخيراً الوسام ؛ ثم عاد الفوج ، بعد انتهاء الحرب ، إلى مقر الحامية في روان.

ما أن عاد النقيب ، حتى تقصّى أخبار إيرما ، لكن لم يستطع أحد أن ينبئه الخبر اليقين . ذكر بعض العارفين أنها تعهرت مع أركان الحرب البروسيين . وذكر آخرون أنها لجأت إلى أهلها المزارعين في جوار إيفيتو .

أرسل حاجبه حتى إلى دار العمدية لمراجعة سجل الوفيات لكن اسم خليلته لم يكن بينها . وبدا عليه حزن كبير تباهى به بل إنّه نسب إلى الأعداء سبب بلواه ؛ وعزا إلى البروسيين الذين احتلوا روان اختفاء المرأة الشابة وصرّح :

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

- في الحرب القادمة سأنتقم منهم ، الأنذال .

غير أنه في ذات صباح وهو يدخل إلى مطعم الضباط في موعد الغداء، تقدّم منه رسول ، هو رجل عجوز يرتدي روباً أبيض ، ويعتمر قبعة مشمعة وناوله ظرفاً فتحه وقرأ فيه :

« حبيبي

أنا في المشفى ، مريضة جداً ، ألا تأتي لتراني ؟ إن هذا يمنحني سروراً كبيراً .

« إيرما »

غدا النقيب شاحباً ، وذاب شفقة وهتف ، اللعنة ! يا للفتاة المسكينة! سأذهب إليها حالما أنهي غدائي .

وراح طيلة وقت الغداء يقصّ وهو على مائدة الضباط أن إيرما في المشفى ، لكنه سيخرجها منه . عجباً ! هذا أيضاً ذنب هؤلاء البروسيين الملعونين . لا شكّ أنها بقيت وحيدة ؛ دون أي درهم ، تعاني من الشقاء ، إذ أنهم نهبوا بالتأكيد كل محتويات بيتها .

ـ آه ! يا للقذرين ! .

تأثر الجميع وهم يسمعونه .

ما كاد يضع فوطته الملفوفة في حلقتها الخشبية ، حتى نهض ، وبعد أن تناول سيفه عن المشجب ، ونفخ صدره ليظهر نحافة خصره ، وشبك حمالة السيف ثم انطلق بخطا متسارعة ليلحق بالمشفى المدني .

لكنه وجد باب المبنى الاستشفائي حيث توقّع الدخول مباشرة مغلقاً في وجهه بحيث اضطر أي يلجأ إلى العقيد ويشرح له وضعه ، ويحصل منه على كلمة للمدير .

بعد أن أبقى هذا المدير النقيب الوسيم ينتظر فترة في بهو مكتبه ، سلّمه أخيراً أذناً مع تحية ملؤها البرود والاستهجان .

منذ الباب ، شعر بالضيق في هذا الملجأ من البؤس والألم والموت ، وتولّى أحد فتيان الخدمة إرشاده إلى وجهته .

كان يمشي على رؤوس أصابعه لا يحدث ضجة في هذه الممرات الطويلة التي تنبعث فيها رائحة مختلطة من العفن والمرض والأدوية . وتصدر في بعض اللحظات تمتمة أصوات تعكر وحدها الصمت الكبير في المشفى .

أحيانا كان الرقيب يلحظ ، من خلال باب مفتوح ، مهجعاً تتراصف فيه أسرة يشير تقبب أغطيتها إلى أشكال الأجسام الراقدة فيها ، وبعض الناقهات يجلسن على كراس عند قواعد مراقدهن ، يقمن بالحياكة وهن مرتديات أثواب المشفى الرمادية ، ويعتمرن قلنسوات بيضاء .

توقف مرشده فجأة أمام أحد هذه الأروقة الملأى بالمريضات . وعلى الباب كان يُقرأ بأحرف كبيرة : « المصابات بالأمراض الزهرية » . ارتعش النقيب واحمرّ وجهه ؛ وكانت ممرضته تحضر دواء على طاولة صغيرة من الخشب على المدخل فقالت : « سأقودك ، إنها في السرير ٢٩ . ومشت أمام الضابط ثم أشارت إلى سرير وقالت : « هناك » .

لم يكن يرى شيء إلا تقبب الأغطية ، فالرأس نفسه كان مخفياً تحت الغطاء . برزت من كل مكان وجوه فوق الأسرّة ، وجوه شاحبة ، مندهشة ، تتطلع إلى البزة العسكرية ، وجوه نساء شابات ووجوه عجائز ، لكنهن يبدون جميعاً قبيحات جداً ، ومبتذلات ، ضمن ثوب المشفى الفضفاض .

بدا النقيب مرتبكاً تماماً ، وهو يسند سيفه بيد ويحمل عمرته بالأخرى وهتف متمتماً :

« إيرما » .

بدا جسم يتحرك في السرير ، وظهر وجه خليلته ، متبدلاً ، تعباً ، نحيلاً إلى درجة كاد لا يعرفها فيها .

كانت تلهث ، مخنوقة بالإنفعال ، ثم تلفّظت بصعوبة :

ـ ألبر ! ... ألبر !... هذا أنت ! أوه ! ... هذا حسن ... هذا حسن !... وسالت الدموع من عينيها .

أحضرت الممرضة كرسيّاً وقالت : « اجلس أيها السيد » .

جلس ونظر إلى الوجه الشاحب ، البائس لتلك الفتاة التي تركها في منتهى الجمال والنضارة . قال : ماذا حدث لك ؟

أجابت وهي تبكي : « ألم ترَ ذلك جيداً ، إنّه مكتوب على الباب .

ثم أخفت عينيها تحت طرف غطائها .

تابع مهتاجاً ، خجلاً : كيف التقطت هذا يا فتاتي المسكينة .

تمتمت : إنّهم هؤلاء البروسيين الأوغاد ؛ لقد أخذوني بالقوة ، وسمموني .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

لم يجد شيئاً يضيفه . كان ينظر إليها ويدوّر عمرته على ركبتيه . وباقي المريضات يتفرسن به .

خيّل إليه أنه يشمُّ رائحة النتانة ، رائحة اللحم الفاسد والفضيحة في هذا المهجع المليء بالفتيات المصابات بالداء المقيت والرهيب .تمتمت : « لا أعتقد أنني سأنجو ، فالطبيب يقول إن حالتي خطيرة » .

ثم لاحظت الوسام على صدر الضابط فهتفت : أوه ! لقد كوفئت ، كم أنا مسرورة ! كم أنا مسرورة ! أوه ! لو أتمكن من تقبيلك ؟ .

انتابت رعشة خوف وقرف النقيب وسرت في جلده عند فكرة هذه القبلة .

تملكته الرغبة في مغادرة المشفى ، الآن ، في أن يكون في الهواء الطلق، في ألاّ يرى أبداً تلك المرأة . غير أنه بقي مسمّراً في مكانه لا يعرف كيف ينهض ليقول لها وداعاً . وتمتم : « ولكن ألم تهتمي بمعالجة دائك ».

التمعت ومضة من لهب في عيني إيرما : (( كلا أردت أن أنتقم ، عندما لاحظت أنني أصبت ، فرحت أسممهم جميعاً ، جميعاً ، أكبر عدد أستطيعه . طيلة بقائهم في روان ، لم أرد أن أتعالج .

صرّح بلهجة متضايقة إنّما يشوبها شيء من بهجة : « فيما يتعلق بهذا ، حسنا فعلتِ » .

قالت وقد بدت عليها الحيوية واحمرّت وجنتاها سيموت أكثر من واحد عن طريقي ، هيّا ، ألبرتك أنني انتقمت .

تمتم مرّة أخرى : « هذا حسن » ثم نهض قائلاً : « هيا ـ سأتركك إذ يجب أن أكون لدى العقيد في الساعة الرابعة .

سألت : أهو دائماً العقيد برون ؟.

ـ هو بذاته . وقد جرح مرتين .

وتابعت : « ورفقاؤك ، هل حدث بينهم قتلى ؟ » .

ـ نعم ، سان تيمون ، وسافانيا ، وبولي ، وسابرفال ، وروبير ، ودي كورسون ، وبازافيل ، وسانتال ، وكارافن وبوافرن ماتوا ، وساهل قطعت يده ، وكورفوازن سحقت ساقه ، وياكه فقد عينه اليمنى .

كانت تصغي وقد بدا عليها الاهتمام الشديد ، ثم غمغمت فجأة :

« أودُّ لو تُقبلني ، هيّا ، قبل أن تتركني ، فالسيدة لانغلوا ليست هنا .

ورغم الاشمئزاز الذي علا شفتيه ، وضعهما على جبينها الشاحب ، بينما أحاطته هي بذراعيها وغمرت بقبلات قتيمة جوخ سترته الزرقاء المقصّبة .

تابعت : ستأتي ، عدني بأنك ستجيء .

ـ نعم أعدك .

ـ متى ؟ هل تتمكن في يوم الخميس .

ـ نعم ، الخميس .

ـ الخميس ، في الساعة الثانية .

ـ إنك تعدني بذلك ؟

ـ أعدك

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ـ وداعاً ياحبيبي .

ـ وداعاً .

*

في المساء ، سأله رفاقه ، وبعد ، مالها إيرما ؟ .

ـ « انتابها احتقان رئوي ، ووضعها خطير » أجاب بنبرة منزعجة .

لكن ملازماً شاباً اشتم من مظهره أمراً غير طبيعي ، فذهب إلى الاستعلامات ، وعندما دخل النقيب نادي الضباط ، استقبل بموجة من الضحك والسخرية ، لقد انتقم من زهوه أخيراً .

عرف عدا عن ذلك أن إيرما مارست فسقا مهووسا مع ضباط أركان الحرب البروسيين . وأنها جابت البلاد على حصان مع عقيد من الخيّالة الزرق ، ومع كثيرين غيره أيضاً ، وأنها لم تكن تسمى في روان إلا «امراة البروسيين » .

خلال ثمانية أيام غدا النقيب ضحية الفرج ، كان يتلقى بالبريد ملاحظات كاشفة للمرض وتفاصيله ، ووصفات طبية ، وتعليمات من الأطباء الاختصاصيين ، وحتى أدوية سجلت طبيعتها على الرزمة .

عند اطلاع العقيد على ذلك صرّح بلهجة قاسية : « حَسَن ، بذلك ستتوسع معارف النقيب ، سأوجه إليه تهانئي » .

بعد نحو اثني عشريوما استدعي برسالة جديدة من أيرما ، فمزّقها بغضب ولم يجب .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

بعد ثمانية أيام ، كتبت له من جديد تنبئه بأن حالتها ازدادت سوءاً وهو تريد أن تودعه الوداع الأخير .

ولم يجب

بعد عدة أيام أيضاً ، تلقى زيارة كاهن المشفى ينبئه: « إن الفتاة إيرما بافولن على فراش الموت وهي ترجوه أن يحضر .

لم يجرؤ أي يرفض مرافقه الكاهن ، لكنه دخل المشفى وقلبه منتفخ بحقد خبيث ، وزهو جريح ، وعجرفة مهيضة .

لم يجد أنها قد تغيّرت أبداً ، وفكّر بانها أرادت أن تسخر منه .

قال : « ماذا تريدين مني ؟ » .

ـ أردت أن أودّعك ، يبدو أنني قد انهرت تماماً .

لم يصدقها وقال : « اسمعي ، جعلت مني سخرية الفوج ، ولا أريد ان يستمر هذا » .

سألت : « ماذا فعلت لك أنا ؟ » .

ثار بحيث لم يجد جواباً ، وقال أخيراً : « لا تأملي بمجيئي إلى هنا بحيث أكون هزأة لجميع الناس » .

نظرت إليه بعينيها المنطفئتين وقد توقّدتا غضباً وكرّرت ماذا فعلت لك أنا ؟ ربما لم أكن لطيفة معك ؟ هل سألتك مرة شيئاً ما ؟ بدونك ، كأن بإمكاني أن أبقى مع السيد تمبليه ـ بابون ، ولما كنت هنا اليوم . كلاّ . أترى ؟ أن كان لإنسان أن يوجه لي اللوم ، فليس هذا الإنسان هو أنت ؟

ـ رد بصوت متهدج : « أنا لا أوجه إليك لوماً ، ولكن لا يمكنني الاستمرار في المجيء لرؤيتك ، فسلوكك مع البروسيين كان مخجلاً لكل المدينة .

جلست بنهزة واحدة في سريرها محتجة .

ـ سلوكي مع البروسيين ؟ ولكن قلت لك إنهم قبضوا عليّ ، وقلت لك إنني إن امتنعت عن المعالجة ، فذلك لأنني أردت تسميمهم ، ولو أردت البرء من الداء ، لم يكن ذلك صعباً . أقسم لك ، انني أردت أن أقتلهم ، وقد قتلت عدداً منهم ؛ اذهب ! بقي واقفاً وقال : « في جميع الأحوال ، كان هذا مخجلاً » .

انتابها نوع من الإختناق ، ثم نابعت :

ـ ما هو المخجل ؟ أن أسير إلى الموت لاستئصالهم ، قل ؟ لم تكن تتحدّث هكذا عندما كنت تأتي إليّ في شارع جان دارك ؟ آه ! هذا مخجل! ألم تفعل مثل ذلك أنت ، مع وسامك في جوقة الشرف! إنني أستحقه أكثر منك ، أتسمع استحقه أكثر منك ، فقد قتلت من البروسيين أكثر منك .

بقي منذهلاً أمامها ، وهو يرتعش من الغيظ ويصرخ :

ـ آه ! اصمتي ... أتعلمين ... اصمتي ... لأنني لا أسمح في هذا المجال أن يمسّ بي .

لكنها لم تكن تستمع إليه أبداً وتابعت :

ـ هذا الذي سبّب كثيراً من الأذى للبروسيين هل كان سيحدث لو منعتموهم من المجيء إلى روان(٤) . قل ؟ كان عليكم إيقافهم .أتسمع ؟ وقد أحدثت أنا بينهم من الضر أكثر منك ، نعم أحدثت ضرراً كبيراً لأنني سأموت ، بينما أنت تتنزه ، متباهياً بجمالك لتغرّر بالنساء ...

انتصب على كل سرير رأس وتوجهت جميع الأعين إلى هذا الرجل ذي البزة العسكرية ، وهو يتلعثم « اصمتي ... أتعلمين ... اصمتي . » .

لكنها لم تصمت . بل صرخت

ـ آه نعم ، أنت مدعٍ مغرور / إنني أعرفك ، اذهب ـ إنني أعرفك وأقول لك إنني أحدثت بين صفوف الأعداء أذى أكثر منك ، وقتلت منهم أكثر مما قتل كل فوجك مجتمعاً ... اذهب عني .. أيها النذل ..

وذهب ، بل الواقع ، أنه هرب ، وهو يسرع ماد في ساقيه الطويلتين، ماراً بين صفين من الأسرّة تتقلّب عليها المريضات السفلسيات، وهو يسمع صوت إيرما اللاهث يتابعه كالفحيح :

ـ أكثر منك ، نعم قتلت منهم أكثر منك ، أكثر منك ...

راح يهبط الدرج أربعاً ، أربعاً ، وهرع ينزوي وحيداً في بيته .

في اليوم التالي عرف أن إيرما قد ماتت(٥).

الحواشي :

١) ـ نشرت هذه القصة في ( جيل بلا ) بتاريخ ١ تموز ١٨٨٤ ثم في مجموعة توان ( ط(١) ١٨٨٦ .

٢) ـ شارل بورباكي ( ١٨١٦ ـ ١٨٩٧ ) كان قائداً للجيش الفرنسي في سوق فرنسة العام ١٨٧١ .

٣) ـ عبر موباسان عن نقمته على الحروب في مقال نشره بعنوان ((الحرب)) في ـــ جيل بلا )) بتاريخ ١١ كانون أول ١٨٨٣ لكنه يوجه هنا نقداً قاسياً أيضاً للجيش

٤) ـ كان منتزه بوالديو يمثل البورصة على السين أمام مسرح الفنون الذي يعود للعام ١٧٧٦ . وقد احترق في العام ١٨٧٦ وكان مقهى الكوميدي إلى قربة .

٥) ـ وفقاً لوثيقة ذكرها أندريه فيال في كتابه ( غي دو موباسان وفن الرواية ) ص٣١٤ فإن موضوع هذه القصة قد قدم لموباسان من قبل صديقه هنري حيار في عام ١٨٧٦ .

(١)

# غي دو موباسان كاتب قصة

## بقلم : س . د. أرتمونوف

*ترجمة : يوسف حلاق*

يقول أناتول فرانس:

" موباسان دون ريب واحد من أروع كتاب القصة في بلد كتب فيه الكثير الكثير من القصص، والقصص الجيدة إلى هذا .. إنه يمتلك ثلاث مزايا كبرى هي الوضوح والوضوح ثم الوضوح"

ان موباسان كاتب قصة فرنسي عظيم تابع تقاليد ميريميه ووضع لكتابة القصة، كما يرى تشيخوف، شروطاً ومتطلبات ضخمة بحيث لم تعد الكتابة "على الطريقة القديمة" ممكنة بعد في هذا المجال .

لقد تمكن موباسان في قصصه من رسم مختلف طبقات فرنسا وإظهار أحداث ١ عصره السياسة الكبرى . وتقترن براعة النمذجة في قصصه بالتحليل النفسي العميق وبلوحات باهرة من صور الحياة اليومية وبرسم مناظر الطبيعة وهو في رسمه لوحة عريضة للحياة الفرنسي لايقف موقف

---

(١) ـــ من كتاب : تاريخ الأدب الأجنبي في القرن العشرين . موسكو
Uenopux zapyfexenou numepqny por xx beha Mockbq, yrneqwz,1963

المراقب السلبي ، بل يدين الشر الاجتماعي ورذائل معاصريه الاجتماعية ويأسى لرؤية الآم الانسان وإذلاله.

وقد تمكن موباسان من احتواء هذا المضمون المعقد كله داخل إطار القصة القصيرة الضيق. إنه استاذ الاختبار الدقيق والصارم للواقعة وللمفردة . فهو يستطيع كشف مسالة جدية وهامة في حياتنا انطلاقاً من مشهد أو حدث تافهٍ في مظهرٍ لكنه نموذجي في حقيقته . والشكل الذي اتخذته قصص موباسان بالغ التنوع. فهو يلجأ أحياناً إلى المشاهد القصيرة والحوارات الحية ، وأحياناً تجري قصصه على لسان المتكلم وتتخذ شكل ذكريات أو مذكرات الخ.

لكن القصة تظل دائماً مضغوطة ومتلئة بالمضمون .

ليست كل قصص موباسان من مستوى واحد . فقد اشتدت في قصصه الأخيرة علامات التشاؤم وظهرت عناصر الصوفية . لكننا نستطيع فيما يخص معظم قصص موباسان أن نقول مع أميل زولا " إنك حين تقرأ قد تبكي أو تضحك ، لكنك تفكر دائماً"

ابتدأ موباسان يكتب القصة منذ عام ١٨٧٥، وطارت شهرته بعد ظهور قصته "الفطيرة" عام ١٨٨٠، وظل ينشر قصصه حتى نهاية حياته في مجلتي "غولط" و"جيل بلاس" منذ عام ١٨٨١ أخذ موباسان ينشر قصصه في مجموعات مستقلة ومنها :" نزهات برجوازي باريسي أيام الأحد"، "مؤسسة تيلبيه" "مدموازيل فيفي" ،"ضوء القمر" ،" الأخوات روندولي" "مسهاريت" "السيد باران " اليد اليسرى" الخ .

كما ان هناك مجموعة كبيرة من القصص الموزعة بين جرائد ومجلات مختلفة لم تجمع وتنشر إلا بعد موته.

يمكننا تصنيف قصص موباسان حسب الموضوعات الأساسية التي نطرق إليها. هناك مجموعة كبيرة من القصص نشأت بتأثير الحرب الفرنسية البروسية . هذه الأعمال تربطها فكرة الوطنية وتنضح بالكره ليس فقط للمحتلين بل للحرب العدوانية ايضاً.

في عام ١٨٨١ صدرت في "الفولدا" مقالة موباسان "الحرب" التي عاد فأرسلها لتكون بمثابة مقدمة للترجمة الفرنسية لقصص غرسين ، ثم عاد فأصدرها في مجموعته "على الماء" (عام ١٨٨٨) . إن الاستخدام المتكرر لهذه المقالة يبين مدى أهمية الأفكار التي تضمنتها بالنسبة إلى موباسان . إنه يتحدث فيها بسخط عن وجود اناس يعطون لأنفسهم الحق أن يقتلوا ويحكموا بالاعدام على شعوب بكاملها وذلك في عصر الاكتشافات العلمية والتطلعات الانسانية الكريمة . ان الحرب تفسد الناس ، نعلمهم القتل بهدوء، طلباً للمتعة، بدافع التبجح الفارغ. ان الحكومات ملزمة بتجنب الحروب مثلما قبطان السفينة ملزم بتجنب سفينته الغرق. إذا تعرضت سفينته لحادث مؤسف يُحاكم القبطان. فلمْ لاتحاكِم الحكومات على إعلانها الحرب؟ لو أدرك الناس هذا ، لما تركوا أنفسهم تقتل دون سبب.

هذه الأفكار نفسها نجدها في مجموعة القصص ومن خلال لوحات زاهية مستخدمة من الحياة صور أناس اعتادوا القتل عن نزوة أو عن تبجح ومباهاة.

أولئك هم الضابط الشاب ويليهيمفون اينيكبه (قصة مد موازيل فيفي" والضباط البروسيون في قصص " المجنونة" "الصديقان" "المبارزة"

فوراء مظهر إينيكيه الخارجي الأنيق تختفي قسوة سادية وشهوة تدمير واحتقار جلف للبلد المغلوب هذه المشاعر الوحشية تجعله يفتت

بضربات سبعة المرايا القديمة وأنسجة الزمنة المشجرة ، ويضع البارود في ابريق الشاي الصيني ويحدث تفجيرات في غرفة ملأى بالخزف والكريستال.

ويتحدث موباسان في قصة "المجنونة" عن ضابط بروسي آخر يأمر بنقل امرأة مخبولة مسكينة إلى الغابة وتركها هناك تموت.

والتوحش الأخلاقي نفسه يميز ضابطاً بروسياً آخر (في قصة "الصديقان") يُعدم بالرصاص شخصين بريئين ويتناول بهدوء فطوره من صيدهما المكون من أسماك نهرية صغيرة .

و موباسان اذ يشير إلى التوحش الداخلي للغاصبين بوصفه إحدى أهم عواقب الحرب فإنه يرينا أيضاً الكفاح الشعبي ضد المحتلين . ففي أقاصيص كثيرة يهبّ الناس البسطاء ضد المحتلين ، ويثأرون لوطنهم ولكرامتهم الانسانية المداسة . المومس راشيل تقتل الضابط اينيكه والفلاح المسالم الأب ميلون يقضي على الضباط والبروسيين ويشرح بهدوء قبل إعدامه سبب تصفيته الحساب معهم . ابنة حارس الغابة بيرتينا تأسر بضعة جنود ألمان ( (( الأسرى )) )والبرجوازي الفرنس البسيط ، التاجر الصغير في قصة ((( المبارزة ))) يذعر أول الأمر من وقاحة سلوك الضابط البروسي الذي أرسله ليجلب له سجائر ، لكنه يجد في نفسه آخر الأمر القوة والعزم على دعوته إلى المبارزة .

هؤلاء البسطاء يهلكون أحياناً ، لكنهم ينتصرون بفضل قوتهم الداخلية وعدالة قضيتهم . تلكم هي حال هداة صيد السمك ، والتاجر الصغير سوفاج ، والساعاتي موريسو الذين رفضوا البوح بكلمة السر فأعدمهم الضابط الألماني ( قصة (( الصديقان )) .

لقد استطاع موباسان في قصصه عن الحرب الفرنسية البروسية الكشف عن مسائل كبيرة بانتقائه أحداثاً مميزة وبخلقه من لمستين أو ثلاث بريشته صوراً نموذجية للمحتلين البروسيين وللوطنيين الفرنسيين .

والمجموعة الأخرى الكبيرة من قصص موباسان تفضح سلطة المال . فهو يرينا ركض أعمدة العالم الرأسمالي الذي فقد ضميره نهائياً وراء المال ، ويصور لنا في الوقت نفسه التفسخ الأخلاقي لأناس أدنى اجتماعياً كصغار الملاّك والموظفين الذين أخذتهم جميعاً حمّى الركض وراء الربح وتجميع الثروة . ففي قصة (( الإشارة )) تقدم زوجة أحد الموظفين كورا على إقامة علاقة غير شرعية لتنجب ابنا ، لأن خالتها أوصت بثروتها ليس لها أو لزوجها بل لابنهما . إلاّ ما يحكم كورا في (( علاقتها العاطفية )) هو الحساب الأناني ليس إلاّ . وهي في الوقت نفسه تعبر عن احتقارها للنساء اللواتي يبعن حبهن ، فهي ترى أنه يجب إيداعهن السجن .

وقصة (( المجوهرات )) مشبعة بتلك السخرية القاتلة إياها . تموت زوجة الموظف البسيط مارتين التي لم يشك يوماً في حبها وإخلاصها . لكنه يقتنع بعد موتها أن الحليّ المزيفة التي كانت تحب أن تلبسها هي مجوهرات حقيقية في الواقع . كاد هذا الاكتشاف يقتل الموظف النزيه أوّل الأمر : فقد بدأ يدرك أن امرأته كانت تخونه . لكن فكرة أنه يمكن أن يقبض ثمن المجوهرات أكثر من مائتي ألف فرنك جعلته ينسى موت زوجته والفضيحة : لقد بات غنياً .

أحياناً يأسى الكاتب أسى عميقاً لإذلال الانسان وهو يروي لنا كيف يحطم المال علاقات الصداقة وصلات القربى . مثال ذلك قصة

(( عمتي جول )) . يعود شخص ، أقرض أسرة أخيه مالاً ، بعد غياب طويل إلى الهافر قادماً من أمريكا بعد أن أفلس تماماً . ولكي لا يموت جوعاً يعمل بحاراً على ظهر مركب غير كبير . وهناك يلتقي ، وهو يبيع السمك ، أخاه وعائلته كلها . ويظهر لنا موباسان بفنية مدهشة الخوف الذي استولى على الأقارب لدى تفكيرهم في أن هذا المتسكّع قد يعرفهم والحالة العصبية جداً لهذا الانسان التعس الذي حرم من أقربائه لأنه لا يملك مالاً .

وقصته (( العقد )) مفعمة بمأساوية عميقة . فسوء الفهم المأساوي المضحك ، والمصادفة السخيفة غير المعقولة تخلق دراما حياتية قاسية في هذه القصة ؛ الديون تفسد وتشوه حياة امرأة في مطلع شبابها .

بطلة القصة ، وهي زوجة موظف فقير ، أضاعت في الحفلة الراقصة الوحيدة التي حضرتها في حياتها عقداً ثميناً استعارته من صديقتها ، تشتري لصديقتها عقداً مماثلاً وتعيده إليها . وتضطر في سبيل ذلك إلى الغرق في الديون ، فتمضي حياتها كلها تفي ديونها فتعمل فوق طاقتها وتقتصر في مصروفها على أقلّ من القليل . وبعد أن تفي ديونها وتنقلب إلى امرأة ذوت وشاخت قبل الأوان وأضاعت كل أحلام شبابها في السعادة تعرف من صديقتها أن العقد الضائع كان مزيّفاً . ان سخرية القدر الأعمى من انسان حيّ ليست وليدة المصادفة ، بل إنها تبين سلطة المال المخيفة التي تهلك الانسان . ان قصة الموظف الصغير وزوجته التي حرمت نفسها من كل شيء لتفي دينها تصور إحدى المآسي الخفيّة في المجتمع الرأسمالي .

ان موباسان لا يملّ من فضح الرياء والأنانية البرجوازية . ولقد كرّس قصته (( دحداحة )) للسخرية من هذه السمات المميزة للبرجوازي . ففي هذه القصة المستوحاة من فترة الحرب الفرنسية البروسية يعطي الكاتب لوحة جيدة للوضع في فرنسا عام ١٨٧٠ . كما يرسم بشكل رائع ممثلي

مختلف فئات المجتمع الراقي : الكونت دوبير وزوجته المهيبة ، السيد كردو لامادون ، الصناعي الكبير لوازو الذي جمع ثروته من اتجاره بالخمور . هؤلاء جميعاً ، وكل على طريقته ، يجعلون دحداحة وهي فتاة ذات سلوك غير رصين تلبي مطالب الضابط البروسي الوقح الذي أوقف عربتهم في محطة صغيرة . إنهم يطلبون إليها ، يقفونها ، يتملقونها فترضخ الفتاة التي رفضت أول الأمر عرض الضابط الألماني بسبب شعور الكراهية الذي تكنه لعدوّ بلدها ، ترضخ أخيراً لطلبهم . وعندئذ يتغير موقفهم منها بشكل حاد ؛ فيأخذون ينظرون إليها نظرة ازدراء صريحة . ورائع المشهد الأخير في العربة من حيث قوة سخريته . وذلك حين يأخذ البرجوازيون الذين خلّصتهم (( دحداحة )) يثرثرون ويلتهمون أكواماً من الأطعمة على اختلافها دون أن يبدو اهتماماً بالفتاة التي قاسمتهم بسخاء زوّادتها .

ويقلق موباسان مصيرُ الطفل في المجتمع الرأسمالي . ففي قصته (( أم المشوهين )) يرسم صورتين : فلاحة بسيطة ، جاهلة وامرأة شابة جميلة من وسط برجوازي . الفلاحة تنجب عن وعي أطفالاً مشوهين . فهي تشوّههم قبل ولادتهم وذلك بأن تعصب بطنها بقوة . ثم تدبّر لهم عملاً في السيركات ليعرضوا (( أشياء نادرة )) مختلفة ، وبهذا تضمن الأم نوعاً من الرخاء لنفسها . أما الأخرى فامرأة من وسط متحضرة ، جميلة ، شابة محاطة بالمعجبين ولها ثلاثة أطفال : الأول أحدب والآخران بأطراف مشوّهة . والذنب ذنب الأم . فهي ، رغبةً منها أن تبقى جميلة أطول مدة ممكنة ، كانت تشدّ صدريتها بقوة أثناء الحمل . من منهما الأشد ذنباً ؟ ان (( أم المشوهين )) القروية شنيعة طبعاً . ومن اللافت للنظر أن الفلاحين الآخرين يحتقرونها ، ويبدون اشمئزازهم منها . لكن ما دفعها إلى هذا هو الفضيحة والحاجة والجهل . أما (( أم المشوهين )) الأخرى ، السيدة الارستقراطية فلا عذر لها : إنها تقضي على أولادها بسبب غرور باطل .

وتتحدث بمجموعة كبيرة من قصص موباسان عن حياة الفلاحين الفرنسيين التي عرفها جيداً منذ طفولته . فوضع الفلاحين في فرنسا الثمانينات لم يتحسن إلا قليلاً عمّا كان عليه من قبل . هناك ستة عشر مليوناً منهم يعيشون في أكواخ بائسة ونحو أربعة مليون يعيشون في بحث دائم عن العمل .

صور موباسان فقر الفلاح الفرنسي وبؤسه في مجموعة من اللوحات والمشاهد المأساوية . وهكذا نرى في قصة (( عشية الميلاد )) أسرة تتناول العشاء فوق صندوق طحين يرقد فيه الجدّ العجوز الذي توفي للتوّ ، إذ ليس في الكوخ الصغير مكان يمدّ دونه فيه ، وحرمان عشاء عيد الميلاد لأسرة تعيش في جوع دائم أمر بالغ الصعوبة .

وموباسان في تصويره الوسط الفلاحي يدين بشكل خاص البخل والجشع . إنه يرينا الأغنياء من ملاّك الأراضي وغيرهم واستعدادهم لاقتراف أي جرائم بسبب جشعهم . ذلكم هو العم سيكو الذي يغري العجوز ماغلوار بشرب الخمر ومعاقرتها لأن موتها يعود عليه بالنفع ( قصة الدنّ )) . وصاحب المركب الصغير جافيل يفضل أن يفقد أخوه الصغير جافيل الصغير على مرأى منه يده التي وقعت بين المركب والشبكة الملقاة على أن يقطع عدة صيد السمك _ (( في البحر )) ) .

لكن موباسان يعرف ، وهو يرسم مأساة الفلاحين الفرنسيين الفقراء وتفكك القرية ، أن يرينا شيئاً آخر : قرب الفلاحين من الطبيعة ، وحبّهم للعمل وصلابة خُلقهم ، وقدرة الكثيرين منهم على الحب الكبير المتفاني وعلى الأعمال البطولية .

ويرسم صورة رائعة لحدّاد قروي تزوّج امرأة أمّاً لطفل وكيف صار له أباً حقيقياً ( (( بابا سيمون )) ) . وفي قصصه المستمدة من حياة الفلاحين بالذات نعثر على مثل هذه الأمثلة من الحب المتفاني ، ومن ذلك على سبيل المثال شعورٌ قشّاشة كراسٍ عجوز تدور على القرى بحثاً عن عمل وظلت طوال حياتها تحب ابن صيدلي . ولقد تركت لهذا الفتى تلك القروش القليلة التي تمكنت من جمعها طوال حياتها . ان القصة تأسرنا ببساطتها الحياتية ( (( قشاشة الكراسي )) ) .

ويتميز الكثير من قصص موباسان بالعمق السيكولوجي . ففي قصته (( في الميناء )) التي قيمها ل.تولستوي تقييماً رفيعاً ، يتعرّف ملاح مرح على قدرٍ من الفظاظة على مومسٍ تعمل في بيت دعارة على الشاطىء ويعرف فيها أخته الصغرى . وقد جعلت هذه المصيبة الشخصية الكبيرة من الفاجر اللامبالي إنساناً على قدرٍ كبيرٍ من الإحساس والتعقل .

إلا أن براعة موباسان في انتقاء الوقائع المسلية والمثيرة واستاذيته بوصفه كاتب قصة قصيرة تتحولان في بعض قصصه إلى غاية بذاتهما وتنقلب القصة إلى طرفةٍ ممتعة ليس فيها من رسم الطباع والعادات والأخلاق إلا القليل القليل وخصوصاً في الفترة الأخيرة من إبداعه : في قصص (( المسعورة )) ، (( الكبوة )) ، الشبّاك .. ) . ونلمس في العديد من قصصه آثار الطبيعية ، فيتحوّل الحب الذي طالما وصفه بكل هذه البراعة إلى اندفاعة غريزة لا تقاوم ولا سلطان لعقل الانسان عليها ( (( الصغيرة روك )) ، (( يوسف )) ) . وهناك قصص يبدو موباسان فيها وكأنه يؤمن بالخوارق . ومن هذه القصص قصة (( أورليا )) ( في صيغتيها الاثنتين ) التي أثارت ضجّة كبيرة في وقتها وقصة (( المجنون )) وغيرهما . ومعظم هذه القصص تعود إلى أواخر حياة موباسان . وبطبيعة الحال كان يمكن لموباسان الذي كان يحتج بعنف على مختلف التيارات الانحطاطية في مقالاته

النظرية أن يقع تحت تأثير التيار الانحطاطي إلى حدّ ما . ويمكن أن يكون الأمر على نحو آخر : وهو أن معظم هذه القصص يعكس الهلوسات التي بدأت تظهر عنده ، كما يبدو ، قبل وقت غير طويل من وفاته . لكن قصصه الأخيرة هذه ليس لها دور كبير في فنّ موباسان القصصي .

* * *

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

# غي دو موباسان

## دراســـات أدبيـــــة

ترجمة : رنا خوري

١ ـ تطور الرواية في القرن التاسع عشر

٢ ـ غوستاف فلوبير

٣ ـ إميل زولا

٤ ـ إدمون دي غونكور وكتابه « بيت الفنان »

٥ ـ إيفان تُورغنيف

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

## ١ ـ تطور الرواية في القرن التاسع عشر :

« نشرت في مجلة المعرض العام ـ تشرين أول ١٨٨٩ » ما يسمى اليوم رواية الطبائع هي ابتكار حديث تقريباً ، ولن أعيدها إلى دافنيس وكلوه(١) ، هذه المحاورة الريفية الشعرية التي تفتتن بها النفوس البحّاثه الرقيقة ، ويمجدها العصر القديم ، ولا إلى الحمار الذهبي(٢)، القصة المرحة الجريئة التي جدّدها متوسعاً آبوله الكاتب اللاتيني الكلاسيكي.

كذلك لن أهتم في هذه الدراسة القصيرة جداً بتطور الرواية الحديثة، منذ بداية هذا القرن ، مع ما يسمى رواية المغامرات التي وردت إلينا من العصر الوسيط ، وولدت من حكايات الفروسية ، وتوبعت من قبل الآنسة دي سكودري(٣) ، وعدّلت مؤخراً من قبل فردريك سوليه وأوجين سو(٤) ، ويبدو أنها عرفت قمة تألقها مع الكسندر دوماس الأب(٥)، هذا القصاص العبقري . حتى الآن ما يزال بعض الناس متعلقين بالتسبيح بروايات مستبعدة الحدوث عدا عن أنها لا تنتهي عبر خمسمئة أو ستمئة صفحة ، لكنها لا تقرأ من قبل أيّ ممن يستهويهم الفن الأدبي أو حتى ممن يهتمون بهذا الفن . إلى جانب هذه المدرسة من المسلّين التي لا تفرض التقدير إلا نادراً على الأدباء ، والتي تدين بمكانتها للقدرات الاستثنائية ، والخيال الذي لا ينضب ، والقريحة التي لا تنفد لهذا البركان المليء بالكتب المسمّى « دوماس»؛ تتابع في بلادنا سلسلة من الروائيين الفلاسفة ، الثلاثة الأوّلون الرئيسون فهم مختلفون في طبيعتهم وهم : لِزاج(٦)، و ج.ج. روسو(٧) ، والأب بريفو(٨).

من لزاج انحدرت سلالة المبتكرين المرهفي الحسّ ، الذين ينظرون الى العالم من نوافذهم ، ومنظارات على عيونهم ، وأوراق كتابة أمامهم ؛ وقد بيّنوا لنا كبسيكولوجيين باسمين ، وهم أكثر تهكماً منهم انفعالاً ، ومع ظواهر جميلة من الملاحظة ، وأناقات في الأساليب ، شخصيات مصطنعة مرحة .

كان جُلُّ اهتمام رجال هذه المدرسة ، وهم فنيّون ارستقراطيون ، أن يظهروا لنا فنهم ، وموهبتهم ، وسخريتهم ، ورقتهم ، وحساسيتهم ،

وأنفقوا من ذلك بإسراف حول شخصيات وهمية متصوّرة بشكل ظاهر ، حول دمى آلية يحركونها .

أما من جان جاك روسو فقد انحدرت عائلة الكتّاب الروائيين ـ الفلاسفة الكبرى ، الذين سخروا فن الكتابة ، كما فُهِمَ سابقاً ، لخدمة أفكار عامّة . يأخذون قضية ويحركونها ، والحدّث لديهم غير مستمد من الحياة ، وإنما هو متصوّر ، ومركّب ، وموسّع بهدف إظهار صحّة أو خطأ نظام ما .

كان شاتوبريان(٩) الفنان الماهر الذي لا يُضاهى ، مغنّي الإيقاعات المكتوبة ، من تعبّر لديه الجُملَة ، بجرسها كما بقيمة كلماتها ، عن الفكرة ، هو المتابع الأكبر لفيلسوف جنيف ؛ وتبدو السيدة جورج صاند(١٠) الوليد العبقري الأخير لهذه الذريّة ، حيث نجد لديها على منوال جان جاك الاهتمام الوحيد بتشخيص القضايا إلى أفراد ، هم المحامون الرسميون ، على طول الحَدَث ، عن مذاهب الكاتب .

هؤلاء الروائيون الحالمون ، الطوبايون ، الشعراء ، قليلو الدقّة والملاحظة ، لكنهم واعظون بُلَغاء وفنانون فاتنون ، ليس لهم في الوقت الحاضر ممثلون بيننا . إنما من الأب بريفو وصلنا الجيل القوي من الملاحظين، والبسيكولوجيين ، والمعبّرين الصادقين عن الواقع ، فمع مانون لسكو وُلِدَ الشكل الرائع للرواية الحديثة .

في هذا الكتاب ، ولأول مرة يتوقف الكاتب عن أن يكون فناناً فقط ، ويغدو عارضاً حاذقاً للشخصيات ، وفجأة وبدون نظريات مسبقة ، وبقوة عبقريته ذاتها وطبيعتها الخاصة يتحوّل إلى مُذكّر رائع بالكائنات البشرية ؛ ولأوّل مرة نتلقى الانطباع العميق ، المؤثّر ، الذي لا يقاوم عن

أشخاص مماثلين لنا تشغفهم الحقيقة وتأسرهم ، وهم يعيشون حياتهم ، حياتنا ، فيحبّون ويتألمون مثلنا بين صفحات كتاب .

**ماغون لسكو** ، هذه التحفة الفنية الفريدة ، هذا التحليل المدهش لقلب امرأة ، الأكثر دقة ، وصحة ، ونفاذا ، واكتمالاً ، وكشفا ، مما وُجدَ على الأرجح ، يسفر لنا بكل صراحة ، وصدق ، واستحضار صميم ، عن تلك الروح الخفيفة ، والمحبة ، والمتقلبة ، والزائفة ، والأمنية لعاهرة ، تفيدنا في الوقت نفسه عن جميع أرواح النساء الأخريات ، لأن فيهن جميعاً بعض الشبه من قريب أو بعيد .

بدا الأدب في عهد الثورة ، والعهد الامبراطوري ، ميتاً ، فهو لا يحيا إلا في فترات الهدوء ؛ إذ أنها فترات الفكر ؛ أما في أزمنة العنف والفظاظة ، والسياسة والحرب ، والفتن ، فيختفي الفن ويتلاشى كلياً ، إذ لا يمكن للقوة الغاشمة والعقل النير أن يسودا في وقت واحد .

كان البعث باهراً ، وانبثقت عنه جوقة من الشعراء يُسمون : ألفونس دى لامارتين ، وألفريد دي فينيي ، وألفريد دي موسيه ، وشارل بودلير ، وفيكتور هوغو . وظهر روائيان ، إليهما يعود التطور الحقيقي للمغامرة المتصورة من المغامرة الملاحظة ، أو مما هو أفضل ، من المغامرة المحكيّة وكأنها تنتمي إلى الحياة .

أوّل هذين الرجلين ، وقد شبّ خلال هزات الملحمة الامبراطورية، يسمى(١١) ستندال ، أما الثاني ، وهو عملاق الآداب الحديثة ، المماثل في الضخامة لرابله(١٢)، هذا لأدب للأدب الفرنسي ، فكان أونوره دى بلزاك(١٣).

يحتفظ ستندال خاصة بقيمة الرائد : فهو البادىء بتصوير الطبائع . إنّ هذا الفكر النفّاذ ، وقد وهب جلاء ودقّة مدهشين ، ومعنى نافذاً وعريضاً للحياة ، أجرى في كتبه فيضاً من الأفكار الجديدة ، لكنه جهل كلياً الفن ، هذا اللغز الذي يميّز قطعاً المفكّر عن الكاتب ، ويكسب المؤلفات الأدبية قدرة تفوق القدرة البشرية تقريباً ، ويضع فيها جاذبية لا حدّ لها من النسب المطلقة ، ونفحة إلهية هي روح الكلمات التي يجمعها مولّد العبارات . لقد جهل المقدرة الكلبّة للأسلوب وهي الشكل الملازم للفكرة ، وخلط التفاصح مع اللغة الجمالية ، بحيث بقي رغم عبقريته ، روائياً من الدرجة الثانية .

أما بلزاك الكبير ، فهو ذاته لا يغدو كاتباً إلا في الساعات التي يبدو أنه يكتب فيها بنَزَق كأنه جواد جامح ، فهو يجد عندئذ دون المعاناة التي يلجأ فيها بشكل دائم تقريبا ، تلك الطراوة وتلك الصحة اللتين تضاعفان مئة مرة متعة القراءة . لكننا أمام بلزاك نكاد لا نجرؤ على النقد ؛ فهل يجرؤ المؤمن أن يلوم إلهه على جميع نقائص الكون ؟ ولبلزاك القدرة الخلاّقة ، والفيّاضة ، والمفرطة ، والمذهلة لإله ؛ إنما مع التسرع ، والعنف ، وعدم التبصّر ، والتصورات غير المكتملة ، وتباينات مبتكر لا وقت لديه ليتوقف ويسعى إلى الكمال .

لا يمكن أن نقول عن بلزاك إنّه مُلاحظ , ولا إنّه يستحضر بدقة شهد الحياة كما فعل من بعده بعض الروائيين ؛ لكنه وُهبَ حَدساً عبقرياً ، وخَلَقَ انسانية كاملة محتملة كليّاً ، بحيث اعتقد جميع الناس أنها حقيقية ؛ فخياله العجيب عدّل الكون ، وغزا المجتمع ، وفرض نفسه ، وانتقل من

الحلم إلى الحقيقة . وهكذا فشخصيات بلزاك ، التي لا وجود لها قبله ، تبدو وكأنها تخرج من كتبه لتلجَ الحياة لشدة ما منح التكامل لوَهْمِ الكائنات والأهواء والأحداث . غير أنه لم يُقنن أبداً طريقته في الخَلْق ، كما تجري ممارسة ذلك حالياً ، إنما كان بكل بساطة ينتج بغزارة مدهشة وبتنوّع لا نهاية له . سرعان ما تشكّلت بعد بلزاك مدرسة استندت إلى ما كتبه بشكل سيّء ، وإلى ما لم يكتبه أبداً ، وأنشأت ، وفق الأصول ، النسخة الدقيقة عن الحياة ، وكان السيد شافعلوري(١٣) أحد أبرز رؤساء هؤلاء **الواقعيين** الذين ترك دورنتي(١٤) ، وهو أحد خيارهم ، رواية مثيرة لكثير من الفضول بعنوان : « **تعاسة هنرييت جيرار** » .

بدا ، حتى ذلك الحين ، أن الكتّاب الذين اهتموا بأن يضّمنوا كتبهم الإحساس بالحقيقة لم ينشغلوا كثيراً فيما يسمى فن الكتابة ؛ حتى ليمكن أن يقال إن الأسلوب ، بالنسبة لهم ، كان نوعاً من الاصطلاح في التنفيذ ، غير منفصل عن الاصطلاح في التصور ؛ وإنّ التعبير المحسّن والمجمّل يُعطي مسحةً متكلّفة ، وشكلاً غير حقيقي لشخصيات الرواية الذين يريدون خلقهم بشكل مماثل لأولئك الذين يسيرون في الشوارع .

آنذاك ظهر شاب وُهب طبعاً وجدانياً ، وغُذّي بالثقافات الكلاسيكية , وتدلّه بالفن الأدبي ، وبجمال أسلوب العبارات وحُسن وقعها بحيث لم يتسع فؤاده لحبٍّ آخر ؛ وكان مسلحاً أيضاً بعينُ مُلاحِظٍ مدهشة، تلك العين التي ترى في وقت واحد الكليّات والتفاصيل ؛ والأشكال والألوان ، وتعرف كيف تتقصى النوايا الخفيّة في ذات الوقت الذي تقدّر فيه القيمة الحيوية للحركات والوقائع ؛ وحمل هذا الشاب إلى تاريخ الأدب

الفرنسي كتاباً فيه دقّة شديدة القسوة وإنجاز منزّه عن كل عيب هو رواية **السيدة بوفاري** .

إلى غوستاف فلوبير(٥)ر يعود الفضل في مزاوجة الأسلوب والملاحظة الحدثيين لكن تتبّع الحقيقة أو بالأحرى احتمال الحقيقة قاد شيئاً فشيئاً الأبحاث المتحمسة إلى ما يسمى في وقتنا الحاضر الوثيقة الإنسانية .

كان الواقعيون الحاليون يجهدون في الابتكار مقلدين الحياة ، أما أخلافهم فيجهدون في إعادة بناء الحياة بالذات، معتمدين على قطع أصلية يجمعونها من جميع الجهات، وهم يسعون إليها بمثابرة مذهلة، فيذهبون، إلى كل مكان، منقبين ومترصدين وسلتهم على ظهرهم كلما مي الخرق ، وينتج عن ذلك أن رواياتهم تكون في الغالب قطع فسيفساء من وقائع مستمدة من أوساط مختلفة ، ترفع أصولها ذات الطبيعة المتنوعة، إلى الجزء الذي جمعت فيه ، ميزة الاحتمال والتجانس الواجب على المؤلفين التقيد بها قبل كل شيء. إن الأكثر أصالة من الروائيين المعاصرين الذين استخدموا في السعي إلى الوثيقة واستخدامها الفن الأكثر براعة، والأكثر قدرة ، هما بكل تأكيد الأخوان دي غونكور(١٦) ؛ وقد وهب كل منهما أضافة إلى ذلك طبيعة متقدة ، ومؤثرة ونفاذة، متوصلاً إلى أن يبيّنا ، كعالم يكتشف لوناً جديداً ، تفرداً في الحياة لم يكن يلاحظ تقريباً قبلهما؛ وكان تأثيرهما على الجيل الحالي كبيراً ، وقد يكون مغلقاً لأن كل تلميذ يفرط في استخدام طرائق المعلم يتعرض لأخطاء لاتنقذه منها إلا ميزاته الجديرة بالأستاذ.

نهج على الطريقة ذاتها تقريباً السيد زولا(١٧)، إنما بطبيعية أكثر قوة واتساعاً وتحمساً وأقل رهافة ، وكذلك السيد دوده بنمط أكثر مهارة وابتكاراً، وبنعومة ساحرة إنما أقل جدّية على الأرجح .

كما أن بعض الكتاب الشباب مثل بورجه(١٨) ودى بونيير(١٩)، وغيرهما ... يتممون ويبدو أنهم ينهون الحركة الكبرى للرواية الحديثة باتجاه الحقيقة . ولن أنوّه أبداً، وعن قصد بالسيد بيير لوتي(٢٠) الذي يبقى أحد الشعراء المبتكرين في النثر. أما المبتدئون الذين يظهرون حالياً فبدلاً من أن يلتفتوا نحو الحياة بفضول شره، وأن ينظروا إليها في كل مكان حولهم بنهم، وأن يستمتعوا بها أو يتألموا منها بقوة وفقاً لمزاجهم، فإنهم لاينظرون إلا إلى أنفسهم، ويلاحظون فقط أرواحهم أو قلوبهم أو غرائزهم أو مزاياهم أو عيوبهم ؛ ويطالبون بأن تقتصر الرواية النهائية على السيرة الذاتية.

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

لكن بما أنه لايمكن أبداً لذات القلب ، حتى لو رؤي من جميع الوجوه ، أن يعطي مواضيع لا نهاية لها ، وبما أن مشهد النفس ذاتها إن تكرّر في عشرة أجزاء، يغدو رتيباً مملاً حتماً؛ فإنهم يسعون باستثارات متكلفة ، وبتدرب مدروس على جميع العُصَبات، إلى أن يكوّنوا في ذاتهم نفوساً شاذة بشكل استثنائي كما يجهدون أيضاً للتعبير عنها بكلمات وضعية ومزوقة، وحاذقة بشكل شاذ.

هكذا نصل إلى رسم "الأنا" ، الأنا المتضخم بالملاحظة الشديدة ، الأنا الذي لقح بالحمات الغامضة لجميع الأمراض العقلية .

لن تكون هذه الكتب المتوقعة، إن جاءت كما أعلن عنها هي أحفاد السفاح المتنكسين من أدولف بنجامن كونستان؟(٢١)

أليس هذا الاتجاه نحو الشخصية المكشوفة - إذ أن الشخصية المحتجبة هي التي تعطي القيمة لكل نتاج فني ، وهي المسماة عبقرية أو موهبة - أليس هو دليل عجز عن الملاحظة ، ملاحظة الحياة المتناثرة حول الشخص ، فيكون فعله كفعل الاخطبوط ذي الأذرع العديدة ؟

وهذا التعريف الذي تمترس خلفه زولا في المعركة الكبرى التي خاضها دفاعاً عن أفكاره، يبقى دائماً صحيحاً، إذ يمكن تطبيقه على جميع منتجات الفن الأدبي وعلى جميع التعديلات التي سيأتي بها الزمن : **"الرواية هي الطبيعة مرئية من خلال مزاج"** .

يمكن لهذا المزاج أن يتصف بالمزايا الأكثر تنوعاً ، وأن يتكيف وفق الأزمنة؟ ولكن كلما زادت وجيهاته كالموشور، كلما عكس مظاهر الطبيعة، والمشاهد، والأشياء، والأفكار من كل نوع والكائنات من كل جنسٍ؛ وكلما زاد كِبَراً وفائدة وجدة .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

* *

**غوستاف فلوبير :**

(١) بحث نشر في " جمهورية الآداب " بتاريخ ٢٢ تشرين أول ١٨٧٦"

- ١ -

يوجد بين وقت وآخر بين الكتاب الذين سيتركون أسماءهم للخلود، من يهيئون لأنفسهم مكاناً خاصاً باتقان مؤلفاتهم وندرتها ، بينما آخرون ، جانباً ، ينتجون بغزارة ، يخلطون النادر بالعادي، والأشياء المبتكرة بالأشياء العامة، فيجبرون الناقد والقارئ على بذل جهد كبير للفصل بين مايجب أن يبقى ومايجب أن يختفي. لكن هؤلاء بولادة شاقة صبور ، يخلقون عملاً مطلقاً، كاملاً في مجمله وتفاصيله ، وإذا كانت جميع مؤلفاتهم لاتلقى لدى الجمهور نجاحاً متساوياً قطعاً ، فيوجد دائماً ، على الأقل، أحد كتبهم مسجلا في تاريخ الآداب تحت سيمة تحفة فنية، كهذه اللوحات التي تختار لكبار أساتذة الفن ، فتوضع في القاعة المربعة من متحف اللوفر.

لم ينتج السيد غوستاف فلوبير حتى الآن إلا أربعة كتب ، وستبقى جميعها ، ويحتمل أن يوصف واحد منها فقط بتحفة فنية ؛ لكن الكتب الأخرى ليست بالتأكيد أقل استحقاقاً منه.

لقد قرأ جميع الناس السيدة بوفاري ، وسلامبو ، والتربية العاطفية، واغراء القديس أنطوان ؛ وأجرت جميع الصحف أكثر من مرة تحليلاً لهذه المؤلفات بحيث لا رغبة لي أبداً أن أعيد ذلك ، إنما أريد أن أتحدث بشكل

عام عن نتاج السيد فلوبير ، وأتقصى فيه أشياء ، قد لاتكون كلّ الجماهير على الأرجح، لاحظتها حتى الوقت الحاضر .

-٢-

إن الأناس الذين يحكمون على كل شيء دون إدراك ، ويهرعون بمجرّد أن يظهر كتاب من نوع جديد ومجهول ، إلى أن يعلقوا عليه ، كلافته، حماقة حكمهم ، الذي يعتقدونه خالداً ، قد أعلنوا عالياً عند ظهور رواية "السيدة بوفاري" أن السيد فلوبير واقعي ، ممايعني في مفهومهم أنه مادي .

نشر بعد ذلك سلامبو ، وهي قصيدة ملحمية قديمة، ثم القديس أنطوان وهي لباب فلسفات ، لكن ذلك لم يغير شيئاً، فقد صنفه الصحفيون الخبراء ماديا، وبقي مادياً بالنسبة للأدمغة البدائية لدى الأناس المستقيمي الرأي.

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

لايتسع المجال هنا لاستعراض تاريخ الرواية الحديثة ، ولشرح جميع أسباب التأثر العميق الذي أثاره ظهور أوّل كتاب للسيد فلوبير ، ويكفيني أن أبرز أهمها.

منذ بدء الأزمنة كان الجمهور الفرنسي يرتشف بلذة الرحيق العذب في الروايات ذات الأحداث الخارقة ؟ يحب أبطالها وبطلاتها والأشياء التي لاترى أبداً في الحياة، لسبب وحيد وهو أنها غير قابلة للتحقيق . وقد أُطلق على مؤلفي هذه الكتب اسم الأمثليين ، لأنهم كل بساطة اتخذوا دائما موقعاً على مسافات لاقياسية من الأشياء الممكنة، والحقيقية ، والمادية - أما

بالنسبة للأفكار ، فربّما كان مالديهم منها هو أقل مما لدى قرائهم - وأتى بلزاك ، وبالكاد توجه إليه الانتباه في البداية ، مع أنه مجدّد قوى وخصب بشكل غريب ، وهو أحد معلمي المستقبل؛ كاتب غير كامل ، دون شك، تضايقه العبارة ؛ لكنه مبتكر لشخصيات خالدة يحرّكها كما في وسائل تكبير بصرية ، وهذا مايجعلها بالذات أكثر تأثيراً، وعلى نحوٍ ماأكثر صحة من الواقع .

وظهرت رواية السيدة بوفاري ، وهاهم الناس جميعاً يتبلبلون! لماذا ؟ لأن السيد فلوبير مثال ، إنما أيضا وبصورة خاصة لأنه فنّان ، ولأن كتابه مع ذلك هو كتاب حقيقي ، فالقارئ دون أن يخطر بباله ، ودون معرفة الأسباب ، ودون إدراك ، قد تلقى التأثير الكلي القدرة للأسلوب ، وإشراق الفن الذي ينور جميع صفحات هذا الكتاب .

في الواقع ، إن أول ميزة للسيد فلوبير التي أعتبرها تتجلى سريعاً أمام الأعين ، ماأن يُفتحَ أحد مؤلفاته ، هي الشكل؛ هذا الشيء النادر جداً لدى الكتاب، وغير الملحوظ من الجمهور . أقول غير ملحوظ ، لكن قوته القاهرة تسيطر وتنفذ إلى نفوس أقل الناس إيمانا بها، كأشعة الشمس التي تدفئ الأعمى الذين لايرى مع ذلك النور.

يعتبر الجمهور بصورة عامة "الشكل" نوعاً من جرس الكلمات المنتظمة ضمن مقاطع مصقولة مع بدايات جمل مهيبة وخواتيم رخيمة شجية؛ وبذلك فإن أمله لايخيب أبداً أمام الفن الواسع المتضمن في كتب السيد فلوبير .

إن الشكل عند فوبير هو المؤلف ذاته: إنه تتابع قوالب مختلفة تعطي للفكر أُطُره، فتؤمن لتلك المادّة التي تُعدُ منها الكُتب ، الأناقة والقوة والكبر،

وجميع المزايا الكامنة في الفكر ذاتـه، إن صحّ التعبير ولاتظهر إلا بمساعدة التعبير. الشكلُ متغير إلى مالانهاية كالأحاسيس ، والانطباعات ، العواطف المختلفة ، لكنه يلتصق بها فيتعذر فصله ، وهو يستجيب لجميع مظاهرها ، فيحمل إليها الكلمة الصحيحية والوحيدة دوماً ، والقياس ، والإيقاع الخاص لكل ظرف ، لكل ظرف ، ولكل تأثير ، ويخلق بهذا الاتحاد الذي لاتنفصم عراه مايسمية المعنيون بالأدب "الأسلوب" ، وهو يختلف كثيراً عن الطراز (١) الذي يحوز الأعجاب رسمياً .

والواقع تطلق كلمة أسلوب بصورة عامة على الشكل المميز للعبارة الخاص بكل كاتب ، فكأنه القالب الرتيب الذي يصب فيه ذلك الكاتب جميع الأشياء التي يريد التعبير عنها وهكذا فلكل من بيير ، وبول، وجاك أسلوبه.

ARCHIVE

ليس لفلوبير أسلوبه ، إنما له الأسلوب ، أي أنّ التعابير والصيغ التي يستخدمها لتشكيل فكرة ما ، هي دائماً تلك التي تلائم بشكل مطلق تلك الفكرة ، فطبعه يتجلى في الأحكام وليس في تفرد الكلمة .

— ٣ —

"خارج الأسلوب ، لايوجد كتاب" ؛ هكذا يمكن أن يكون شعاره، والواقع أنه يعتبر أن المهمة الأولى لفنان يجب أن تكون صنع الجمال ؟ لأن الجمال حقيقية بذاته ؟ ماهو جميل هو حقيقي دائماً ، بينما ماهو حقيقي يمكن ألا يكون جميلاً دائماً. ولاأعني بهذا أبداً الجمال المعنوي ، والعواطف النبيلة ، وإنما الجمال التشكيلي المطاوع، وهو الوحيد الذي يعرفه الفنانون. إن شيئاً منفراً ، وكثير الدمامة يمكن بفضل شارحه أن يكتسي جمالاً مستقلاً

بذاته ، بينما الفكرة الأكثر صحة والأكثر جمالاً قد تختفي بشكل مشؤوم في سماحة جملة أسيئت صياغتها . يجب أن نضيف أن قسماً من الجمهور يكره حتى كلمة شكل كما يكره دائماً كل مايستعصي على الفهم.

إذاً فالسيد فلوبير هو قبل كل شيء فنان ، أي مؤلف موضوعي . وأنا أتحدى كل من يحاول ، بعد قراءة جميع مؤلفاته ، أن يخمن شيئاً عن حياته الخاصة ، أو مايفكر به أو يقوله في أحاديثه اليومية . قد يُعرف مايفكر به ديكنز(٢)، أو مايفكر به بلزاك فهما يظهران في كل لحظة في كتبهما . لكن هل تتخيلون ماكان لابروبير يريد قوله(٣) ، وما أمكن أن يقوله سرفنتس (٤) الكبير؟ لم يكتب فلوبير أبداً كلمتي "أنا" و"إياي" ولم يأت أبداً ليتحدث مع الجمهور بين طيات كتابه ، أو ليحييه في النهاية كممثل على المسرح ، كما أنه لم يكتب أبداً مقدّمات.

إنه عارض العرائس البشرية التي يجب أن تتكلم بفمه، بينما لن يعطي لنفسه حق التفكير عنها ، أو أن تلحظ الخيوط المحرّكة لها أو يعرف الصوت الناطق باسمها .

سليل آبوله ورابله ولابرويير وسرفنتس ، وشقيق غوتيه(١)، لكن قرابته بعيدة مع بلزاك ، مهما قيل في ذلك ، وهي أبعد أيضاً مع الفيلسوف ستندال .

فلوبير هو كاتب الفن الصعب ، البسيط والمعقد في آن واحد: المعقد بالإنشاء الرائع والمتقن الذي يضفي على مؤلفاته ميزة الثبات الواضحة؛ والبسيط في المظهر أكثر بساطة وتلقائية من بوردوازي، وهو مع الفكرة التي

يصوغها في الأسلوب لايمكنه أبداً أن يهتف وهو يتأملها:"هوّذا ، يقيناً ، الجُمَل المحكمة الصنع"

إنه يتنبأ بشكل صائب كبازاك ، ويرى بشكل صائب كستندال وآخرين كثر ؛ لكنه يؤدي بطريقة أصوب منهما وأفضل وأكثر بساطة ؛ رغم ادعاءات، ستندال ببساطة ليست في جملها إلا جفافاً ورغم جهود بلزاك لتنقيح الكتابة، وهي جهود تنتهي في الغالب إلى هذا الفيض من السُّوَر الزائفة، وإلى توريات عديمة الجدوى وإلى الأسماء الموصولة ، "كالذي" و "التي" ، وهذا التشوش لامرء لديه مئة ضعف من المواد التي تلزمه لبناء منزل ، يستعملها كلها لأنه لايعرف كيف يختار ، غير أنه يكوّن بناءً ضخماً هو أقل جمالاً وأقل ديمومة مما لو كان صاحبه أكثر اهتماماً بالهندسة المعمارية منه بعملية البناء ؛ لو كان أكثر فناً وأقل أنانية .

الفرق الشاسع بين الآخرين وفلوبير هو هنا بشكل كلّي وجازم في الواقع: ففلوبير فنان كبير ، ومعظم الآخرين ليسوا كذلك ؛ إنه عديم التأثر، وفوق الأهواء التي تنتابه ؛ وبدلا من أن يبقى في وسط الجماهير في برج عال ليلاحظ مايحدث على الأرض ؛ وليست لديه أبداً النظرة التي تحرفها رؤوس البشر، فهو يلمُّ بشكل أفضل بالكليّات ، ولديه نُسبٌ محددة جيداً ، وخطة ثابتة ، وآفاق أكثر اتساعاً .

- ٤ -

هو أيضاً يبني منزلة ، لكنه يعرف المواد التي ينبغي عليه استعمالها ، ويطرح الباقي دون تردد، وبذلك يكون عمله مطلقاً، ويمكن انتزاع أي جزء منه دون تخريب التناسق الكلي؛ بينما يمكن أن يقتطع من مؤلف بلزاك، ومن مؤلف ستندال، ومن مؤلفات كثيرين غيرهما؛ ويكون ماهراً جداً من

يلاحظ ذلك الإقتطاع. لايفكر فلوبير - كتفكير بعضهم - أن الذكاء والإلهام ، أو الصدفة والمزاج تكفي لوضع كتاب وبالتالي فإن الاستعلام لافائدة منه ، والبحث الطويل مستهجن لأنه من تلك السلالة القديمة من الأشخاص الذين يعرفون كثيراً. وبدلاً من أن يتجاهل أن العالم كان موجوداً قبل ١٧٩٣، وأن الكتابة كانت معروفة قبل ١٨٣٠؛ فإنه فكر ملياً كبنتا غرويل (١) بكل الحكماء السابقين ، وهو يعرف التاريخ أكثر من أستاذ مختص لأنه تعلمه في كثير من الكتب التي لايُبحث عنه فيها ؛ كما أنه درس من أجل مؤلفاته معظم العلوم التي تقتصر معرفتها على المختصين فقط، وهو أكثر اطلاعاً من شيوخ العلماء المنقبين على توالي المدن البائدة وسلالات الشعوب المنقرضة، بعاداتها، وتقاليدها، والأقمشة التي كانت ترتديها والأطعمة الغبية التي كانت تفضُل تناولها. إنه متمكن في معرفة التلمود كحاخام، وفي الأناجيل ككاهن، وفي التوراة كبروتستنتي ، وفي القرآن كدرويش. وهو يعرف تسلسل المعتقدات ، والفلسفات، والأديان، والهرطقات. وقد نقب في جميع الآداب ، وسجل ملاحظات عن كثير من الكتب المجهولة ، سواء لندرة بعضها ، أو لإهمال قراءة بعضها الآخر ؛ كما يعرف الكتّاب العباقرة المجهولين تقريباً نتيجة انحطاط الشعوب ، والشارحين، والمفهرسين والكتب المحرّمة ، والكتب المقدسة ، وحياة الأولياء الصالحين ، وآباء الكنيسة ، والمؤلفين الذين لايجسر أهل الحشمة على ذكر أسمائهم . لقد جمع لأجل التعميم علينا في يوم سخط وغضب، مؤلفاً كاملاً عن أخطاء الكتّاب عديمي الأسلوب ، ومخالفات النحويين، وأغلاط الكتاب المزيفين ، وجميع الأباطيل والرتهات التي تمر غير ملحوظة فيعاني منها العالم الذل والإهانة.

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

— ٥ —

الصحفيون لايعرفون وجهة

وهو يعتبر أن طرح كتاباته على التداول بين الجمهوز كاف، فينأى بشخصه دائماً عن الخطوة الشعبية ، مستخفاً بالدعاية الصاخبة واللجوء إلى النشرات الموزعة، والإعلانات شبه الرسمية ، وعرض الصور على واجهات محلات بيع التبغ إلى جانب صور مجرم شهير ، أو أمير ما ، أو فتاة ذائعة الشهرة .

لاتنفتح قاعة استقباله إلا لعدد محدود من الأصدقاء ورجال الأدب يكنّون له وداً غير مألوف لزميل ، وهو نادر لقريب؛ هو يستحقه لجوه المليء بمشاعر المحبة المخلصة. وبما أنه لايعرض شخصيته لفضول الجماهير المتلهفة لترى عبر زجاج النوافذ مشاهير الرجال ، كما يُرى حيوان مثير للفضول عبر القفص ، فقد راجت حول منزله الأساطير، ويمكن أن يكون قد أتهم بجد لدى قلة من مواطنيه بأنه المتَهَم سَمجاً(١) ما ، وهو أمر في جميع الحالات يمثل صحّة حفل عشاء اللحوم المتقدّدة الشهير المقام لدى سانت - بوف(٢) يوم الجمعة المقدّسة العظيمة، عشاء غدا تحت ريشة بعض الصحفيين جيدي الإطلاع، وجيدي الالهام بصورة خاصة، كلاماً مزعجاً مكرّراً "كحركة منشار" أخيراً لإرضاء الأشخاص ، الذين يرغبون دائماً بتفاصيل خاصة ، أقول لهم إنه يشرب ويأكل ويدخن مثلهم تماماً: وإنه انسان طويل القامة، وهو عندما يتنزه مع صديقه الحميم إيفان تورغنيف يخال أنهما زوج من العمالقة .

* * *

□ غي دو موباسان □

# إميل زولا

مقالة نشرت في "صحيفة لى غولوا LEGAULOIS

بتاريخ ١٤ كانون الثاني ١٨٨٢ .

هناك أسماء تبدو مهيأة للشهرة ، فلها وقع في الآذان، وتبقى محفوظة في الذاكرة هل يُنسى بلزاك ، وهل يُنسى هوغو، عندما يُسمع لمرة واحدة رنين هذه المقاطع القصيرة الرائعة؟

لكن من جميع الأسماء الأدبية ، مامن اسم ، على الأرجح ، يقفز فجأة إلى الأعين ويرتبط بشدة مع الذكرى كاسم زولا. إنه ينفجر كنغمتي بوق ، عنيفاً ، صخاباً، يصل الأذن فيملؤها ببهجته المفاجئة الرنانة . زولا، أي نداء للجمهور أي صرخة يقظة ـ أي حظ لكاتب موهوب أن يُولد فيمهر هكذا في سجّل الأحوال المدينة.

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وهل من اسم أحسن ملائمة لرجل ؟ إنه يبدو كتحد للصراع ، وكتهديد بالهجوم وكحداء للنصر . والحال من بين كتاب العصر الحالي قاتل بضراوة دفاعاً عن أفكاره ؟ من هاجم بضراوة ما اعتقده ظلماً وزوراً؟ ومن انتصر بسرعة ، وبوقع شديد على اللامبالاة أولاً ، ثم على المقاومة المترددة للجمهور الكبير؟ إن شخصيته تتلاءم أيضاً مع موهبته ، فهو قد تتجاوز الأربعين من العمر(١) ، وذو قامة متوسطة أميل الى السمنة ، بمظهر الطيبة إنما بملامح العناد ؟ رأسه شبيه جداً بتلك الرؤوس المشاهدة في كثير من اللوحات الفنية الإيطالية العائدة للقرن السادس عشر ، وهو دون أن يتصف بالجمال تظهر عليه الميزة الكبرى للقوة والذكاء ؛ شعره القصير يرتد عن جبين عريض جداً ، وأنفه الأقنى يتوقف، وكأنه قد قُطع فجأة بضربة

إزميل حاد ، فوق الشفة العليا المظللة بشارب أسود كثيف تقريباً ، بينما تغطي القسم الأسفل من هذا الوجه السمين ، إنما العزوم النشيط، لحية شذبة على ملامسة البَشَرة. نظرته سوداء ، حسيرة البصر، نفاذه ، منقبة، باسمة، مزدرية غالباً ، ساخرة غالباً ؛ بينما تقلصُ الشفة العليا بشكل طريف وهازئ، ثنية خاصة جداً؛ وكل بنيته العبلة القوية تجعله أشبه بكرة مدفع ؛ وهي تحمل بفخر اسمه العنيف المكوّن من قطعتين متوثبين في صدى حرفين صوتيين .

* * *

أي شيء لم يقل عن نتاجه ؟ وماذا يجب القول أيضاً ؟ هذا النتاج العنيف بدوره قد مزق اصطلاحات (( كما يجب أدبياً )) وشقّها وهو يَعبُرُ من خلالها كبهلوان عضل يخترق إطاراً من ورق . ما يميّز خاصة هذا الكاتب هو جرأة الكلمة الصريحة ( أتخيّل ابتسامة أهل الفكاهة ) ، وازدراء الثورية ؛ فهو أكثر من أي إنسان بعد بوالو(١) يمكنه القول :

## إنني أسمّي الحرّ هرّاً

بل إنه اندفع أحياناً في حب الحقيقة العارية حتى التحدي . أسلوبه المتحرّر مليء بالصور ، لكنه ليس برزانة ودقة أسلوب فلوبير ، وليس مصقولاً ، منمقاً كأسلوب تيوفيل غوتيه ، ولا مقطعاً بمهارة ، ومبتكراً ، ومتشابكاً ، وجذاباً برقة كأسلوب غونكور ؛ إنما هو غزير ومندفع كنهر فائض يلفُّ كل شيء . وهو سلل الرومنسيين ورومنسي رغماً عنه في طرائقه ( وهو يعترف بذلك آسفاً ) ، وقد ألّف كتباً رائعة تحتفظ مع ذلك

بمظاهر القصائد ، دون شعر مقصود ؛ قصائد دون الاصطلاحات الشعرية ، ودون تخطيط مسبق ، حيث تنبثق الأشياء أياً كان نوعها ، منساوية في حقيقتها ، وتنعكس موسعة ، غير مشوّهة أبداً ، ممضّة أو جذابة ، دميمة أو جميلة على السواء ، في مرآة الحقيقة هذه التي يحملها الكاتب ، والتي تكبّر إنما مع محافظتها دائماً على الأمانة والاستقامة .

أليست رواية **بطن باريس** قصيدة الأغذية ؟ **والخمارة المريعة** قصيدة انتشار السكر ؟ **ونانا** قصيدة تأثير الرذيلة في المجتمع ؟ .

أي شيء إذاً هذا المقطع إن لم يكن قصيدة رفيعة ، إن لم يكن تكبيراً رائعاً للعاهرة ؟! (( بقيت واقفة وسط هذه الثروات المتراكمة في قصرها ، وجمع من الرجال صرعى تحت قدميها ؛ كهؤلاء الأغوال القدماء الذين يتغطى ميدانهم المريع بعظام الأموات ؛ كانت تدوس بقدميها على الجماجم، والفواجع تحيط بها ، الاستشاطة الغاضبة لفاندوفر ، وكآبة فوكارمون التائه في بحار الصين ، ونكبة يستينر وقد أجبر على العيش كرجل شريف ، وحماقة لافالواز المشبعة ، وانهيار آل موفا المأساوي ، وجثة جورج الشاحبة يحرسها فيليب الخارج من السجن في العشية . لقد تمّ عملها في الدمار والموت ؛ والذبابة الطائرة من بين دَنَس الأرباض ، حاملة حميرة النتانات الاجتماعية، قد سممت هؤلاء الرجال بمجرد أن حطت عليهم . هذا جيد ، وهذا عدل ، لقد انتقمت لعالمها، للصعاليك والمهجورين ، وبينما كان فرجها يعلو ويشع في اعتزاز، على هذه الضحايا المطروحة ، شبيهاً بشمس تبزغ وتضيء ميدان مجزرة حافظت على لاشعورها كحيوان رائع، جاهلة فعلها الجنسي ، فتاة طيبة دائماً .

* * *

كم من السخريات وجهت إلى هذا الرجل ، سخريات فظة قليلة الاختلاف . إنَّ من السهل فعلاً إجراء النقد الأدبي بالمقارنة المستمرة لكاتب بمنظف أقذار المراحيض ، واعتبار أصدقائه معاونين له ، ووصف كتبه بالمقاذر ؛ غير أن هذا النوع من الفكاهة لايؤثر مطلقاً على الواثق المؤمن بقوته.

لاأريد أبداً أن أظهر كمدافع عن زولا - فهو يعرف كيف يدافع عن نفسه ، وقد برهن غالباً على ذلك - لكن يدهشني أن أرى هذه النظرية من الخبث والرياء متجذرة بشدة لدينا، بحيث توجه الشتائم بقبح لروائي لأنه يطالب بقوة بحرية الكلام الصريح ، حرية أن يُقصَّ مايفعله كل انسان . إننا نمثّل فعلاً على أنفسنا مهزلة غريبة . أمساعدة بعض الكلمات الكبيرة، كالشرف ، والفضيلة ، والاستقامة، الخ .... نتصور بجدٍ أننا شديدوالاختلاف عن أنفسنا ؟ لماذا نكذب هكذا ؟ لن نخدع أحداً فتحت هذه الأقنعة المصادفة ، تُعرفُ جميع الوجوه تفترُّ شفاهنا عندما يلاقي كل منا الآخر عن ابتسامات ماكرة تعني : "إنني أعلم كل شيء" . ونتهامس بالفضائح ، والحكايات الماجنة ، وخفايا الحياة الحميمة . لكن إن بدأ انسان جسور بالتكلم بقوة ، وراح يروي بهدوء وبصوت عال ولامبال ، جميع هذه الأسرار المجتمعية الشائعة ترتفع الحلبة ، ومظاهر السخط المتصنعة ، واحتشامات مسَّالين(١) ، وحساسيات روبير ماكد(٢) .

مامن شخص ، على الأرجح، في عالم الأدب حرّض الضغائن كأميل زولا ؛ إضافة إلى أنه حظي بمجابهة أعداء شرسين ، لدودين ؛ يستغلون كل مناسبة لينقضوا عليه كالضواري، مستخدمين جميع الأسلحة بينما هو يلقاهم بمهارة الخنزيرُ البري ، وضربات فنطيسته الموجعة أسطورية ؛ فإن

أحس أحياناً رغم لامبالاته ، بأن اللطمة تسبب لـه بعـض الألم ، فمـا أكـثر مصـادر عزائـه ، مـامن كـاتب مثلـه اشتهر ، وانتشـرت مؤلفاتـه في أربعـة أصقاع الأرض ، ومامن أحد تمتع بمثل هذا الصيت الواسع.

وهو فضلا عن ذلك مجدّ مثالي ، ينهض بـاكراً ويعمـل دفعـة واحـدة من الساعة الثامنة صباحاً حتـى الواحـدة بعـد الظهـر ، ثـم يجلـس ثانيـة إلى طاولته خلال النهار ، ويعيد الكـرة مسـاءً ؛ وهـو عـدو للاختـلاط بالنـاس وللضجيج ، يكاد لايغادر "مدان"(١) حيـث يبقـى معتزلاً تسـعة أشـهر في السنة.

بالنسبة للأشخاص الذين يبحثون في حياة الرجال ، وفي الأشياء الـتي يحيطون أنفسهم بها ، عن تفسيرات لغوامض فكرهم ، يمكن أن يكون زولا حالة تسترعي الانتباه؛ فهذا العدو الجموح للرومانسية أسس في الريف ، كما في بـاريس ، المسـكنين الأكـثر رومنسية . غرفتـه في بـاريس مفروشـة بالنجود القديمة ، وسرير من طراز هنري الثاني يتركز وسط القاعة الفسيحة المضاءة بنوافذ ذات زجاجيات كنسية تسكب أنواراً مبرقشة على العديد من الطرائف الكثيرة التنوع التي لايتوقع وجودها في هذا المكان . أقمشة قديمة ، ومطرزات من حرير عتيق ، وتزيينات مذبح يجثم عنـد قاعدتـه بيـت صغـير جداً ، كقزم يرافق عملاقاً؛ لامنتزه له ، ولاحميلة، ولامرات مظللـة جميلـة، ولا أحواض أزهار ملكية واسعة ، إنما تتقدمه حديقة بقليات صغيرة ، أشـبه بحديقة كاهن يبحث فيها عن كـرة زجاجيـة أرضيـة، وسياج يفصـل هـذه الملكية المسورة عن خط السكة الحديدية ، لكن من يتغلغل إلى داخل الحرم تنتابه الدهشة .

• □ غي دو موباسان □

زولا يعمل وسط قاعة فسيحة جداً ، عالية السقف ، تنير كامل عرضها واجهة زجاجية تطلُّ على السهل ؛ وهذا المكتب الواسع مفروش ايضاً بنجود كثيرة ، ويتراكم فيه أثاث من جميع الأزمنة وجيمع البلدان . سكة أسلحة من العصر الوسيط قد تكون أصيلة أو مزيفة، تتجاور مع أثاث ياباني مدهش ، وأشياء لطيفة من القرن الثامن عشر ؛ والمدفأة الأثرية الكبيرة الحجم المدعمة بتمثالين من حجر يمكنها أن تحرق سنديانة كاملة في يوم واحد ، وإفريزهما مذهب تذهيباً كاملاً وكل أثاث مثقل بالطرائف(٢)، مع أن زولا لا يعتبر أبداً جامع تحف : ويبدو أنه يشتري حبا بالشراء، دون نظام وكيفما اتفق ، وفقاً لصدف نزواته المستشارة ، وحسبما يروق في عينه من اغراءات الشكل واللون ؟ دون أن يهتم كغونكور بالمصادر الأصلية ، أو القيمة غير المشكوك بصحتها.

كان غوستاف فلوبير بالعكس يكره جمع التحف ، ويعتبر هذا الهَوَس غباوة وسخفاً ، ولم تصادف في منزله أيّاً من هذه الأشياء المسماة "طُرَف - وأثريات أو " أشياء فنية"، ففي باريس كان مكتبه المفروش بقماش فارسي تنقصه هذه الجاذبية التي تكسو الأماكن المأهولة بحبٍ والمزخرفة بهوى . وفي مقرّه المريض في كروَسه لم تكن القاعة الواسعة التي يشغلها هذا المكدّ الدؤوب مفروشة إلا بالكتب ، ثم بين مكان وآخر بعض تذكارات سفر أو صداقة ، ولا شيء وغير ذلك .

أيكون في هذا موضوع ملاحظة يثير فضول علماء النفس ؟

* * *

ليس في نيتي أن أجعل من هذا المقال القصير دراسة عن زولا ، الرجل ، حياته ، ونتاجه ، زد على أن هذه الدراسة معدّة ، وستظهر

سريعاً، فبول ألكسيس أحد أخلص أصدقاء زولا قد جمع في مؤلف صغير(١) كلَّ مايعرفه (وهو يعرف كل شيء) عن معلم المذهب الطبيعي . أردت فقط أن أصوّر في بضعة أسطر خيال الظل لهذا الكاتب الكبير ، المثير لكثير من الفضول، بمناسبة مباشرة "لي غولوا" قريباً ، في نشر مؤلفه الجديد " الطنجة" وهي الرواية التي استغرق أطول الأوقات في إنشائها ، ويبدو أنها في نظام التباين الذي اعتمده بين كتاب وآخر ستكون رواية هادئة بعد تلك الرواية العاصفة نانا .

* * *

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

□ غي دو موباسان □

## إدمون دى غونكور د

## وبيت الفنان

**مقال نشر في "لى غولوا" في ١٢ آذار ١٨٨**

في هذا اليوم طرح الناشر شار بنيته للبيع كتاباً جديداً للكاتب الشهير إدمون دي غونكور (١)

هذا الكتاب في نتاج المعلم شيء فريد ، لايمكن تقريبه لأي من أعماله الأخرى . فهو ليس رواية كأولئك اللواتي جعلنه شهيراً، وهو ليس إحدى هذه الدراسات التاريخية مثل : المرأة في القرن الثامن عشر أو أو خليلات لويس الخامس عشر ولاعملاً فلسفياً مثل أفكار وأحاسيس إنه تاريخ أثاثه.

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

أسم هذا الكتاب : بيت فنان في القرن التاسع عشر؛ ومامن بيت في الواقع يثير الفضول لزيارته كبيته . إنه خلاصة للفن الفرنسي في القرن الثامن عشر ، وفي الوقت ذاته لوحة سريعة لعجائب الشرق ؛ عرض للناظرين لهذه الفنون الصنعية المتلألئة الوافدة من الصين واليابان .

ذلك أن غونكور قد ولد هاوي تحف ، مامن أحد مثله في ذلك ؛ وهذا بالبديهة علّة فيه؛ هذه العلة المحببة ، والمدمرة، والقارضة ، التي تكمن في كل واحد منا .

إنها في صميمه بحيث راح يجمع التحف طيلة حياته ، يجمعها من التاريخ كما يجمعها من المخازن ، وكان هذا الهوى يتملك الأخوين ، فما

أن ينهيا إحدى رواياتهما حتى ينطلق الاثنان مجدّدا نحو هذا القرن الثامن عشر الذي شغفا به يجوسان فيه كمثمني المزادات الرسمية ، ينقبان في زواياه تاركين للأساتذة الاهتمام بالاحداث وتحديد الأزمنة ، هُمهما أن يشكلا تصوير الأعراف والتقاليد بكل تفاصيل الحياة الدقيقة يجعلان من التاريخ كروائيين ؛ ومع المراوح ، وبطاقات العشاء ، وربطات الساق ، والمخرّمات ، وأبازيم الأحذية ، وعلب السعوط ؛ تاريخاً حقيقياً وحيّاً . ويتابعان في الوقت ذلته عبر مزادات المبيع ، والحوانيت المغبّرة ، ونقوش المعلمين ؛ والكتب والطبعات النادرة ، والوحيدة ؛ وكلّ ما تُوصِلُ إلى أيديهما صدفُ زيارات المرتزقين ، وأناةٌ في البحث والتقصي لا تعرف الكلل .

توفي أحدهما ، وتابع الآخر المسعى دون توقف ، وهو يملك الآن المجموعة الأكثر جمالاً ، والأكثر شمولاً للفن الفرنسي في القرن الثامن عشر .

سيفتح بذاته أبواب منزله للجمهور . لكن فلندخل إليه قبل هذا الجمهور ؛ فالروائي فضلاً عن ذلك هو الآن فيه ، وهكذا يمكننا أن نراه ، وحتى أن نتحدث إليه .

* * *

إنّه منزل جذّاب في أوتوي ، على جادة موغورونسي يواجه خط الانعطاف . تشعر منذ المدخل أنك لدى **هاوي طرائف** ، فهي تغطي جدران البهو والسلالم . مكتب المعلّم في الطابق الأوّل وهو جالس إلى طاولته يكتب ؛ ينهض واقفاً ، شعره طويل ، رمادي ، رمادي من نوع خاص مائل إلى البياض ؛ مسحة يبدو أنها تعبّر عن متاعب الليالي الماضية ، والجهود الفكرية الطويلة ، تحيط بوجه ذي نعومة نادرة ؛ ورأس أرستقراطي حقيقي من الحقبة الطيّبة والطابع الطيّب ؛ كما يمكن أن يقول هو بالذات

متحدثاً عن أجمل خزمياته . هو حليق الذقن ، وقد أرخى شاربيه فقط ، طويل القامة ، نحيفها ، يتميز بعفوية كبيرة أقرب إلى البرود ؛ منزله هو أفضل إطار يناسبه .

إنه هو من كتب : (( يوجد رجال دولة ضخام يُقال ؛ أشخاص ذوو أحذية مربّعة ، وطرائق فظّة ، مبّقعون بندَب الجدري ؛ سلالة غليظة يمكن أن نطلق على أفرادها تسمية **كُدْش** السياسة )) .

إن وجدت هذه السلالة من **الكُدش** لدى رجال الأدب ؛ فهو من جميع النواحي نقيض لها .

منذ الدخول إلى مكتبه ، تنجذب العين ببريق يوجهها نحو السقف ؛ إنّها تحفة حرير يابانية بدرجة من غنى الألوان تثير الانبهار . عنقاوان بتجسيم مدهش ترتعان في حقل من الشقائق ، والحيوانات الخرافيان ، المتلويّان وسط الأزهار الرائعة الساطعة كالأنوار . إنه مبذل ممثلٍ على مايبدو لاتمتلك غناه الأكثر طيشاً من ممثلاتنا.

الجدران جميعها تزدحم برفوف الكتب ؛ كتب ثمينة راح يقدم لنا قائمة مفصّلة بعناوينها . وفي أدراج خزائن المكتبات ألبومات يابانية نفيسة جداً تعادل ثروات . قد يكون غونكور هو أول من أدرك القيمة الفنية ، ودقة وسحر هذا الفن الياباني الذي يستوحي منه الآن رسامونا. فقد اشترى منذ العام ١٨٥٢ من باب الصين أحد أجمل ألبوماته بمبلغ ثمانين فرنكاً . ولنا أن نتساءل كم تبلغ قيمته الآن؟ .

لكن سندخل إلى الحرم ، إلى قاعة المجموعات ؟ هنا تهيمن الصين واليابان ، على مدار الجناح واجهات زجاجية كبيرة تحتوي كنوزاً . وفيما

يتعلق بالقيشاني ، توجد صفحة رسم عليها عصفور معلق فوق غصن مارأيت يوماً أكثر جمالاً منها.

هي ذي عاجيات اليابان ، وهو يمتلك مجموعة رائعة منها . أحدها يمثل مقاتلاً يركض على المياه ؛ إنّه عمل لامثيل له. وآخر يظهر لنا الموت يرقب أفعى تربض تحت ورقة ، والموت ماثل وفي حركته يدبُّ فنيا فضول متسامح واهتمام عطوف على الحيوان السام . وهوّذا قرد يعضُّ صدفة ورأس الحيوان بشكل فكاهي مثير للضحك. وهوّذا أيضاً جُرذ بشكل طبيعي خارق . الحال يبدو أن هناك بين العائلات المحترفة للفن من يتوارث الصنعة للشيء الواحد أباً عن جد ، وهكذا عندما تقوم أربعة أجيال بصنع تماثيل فئران لايكون مستغرباً أن يصلوا إلى تنفيذ أشكال للفئران أكثر اتقانا لما هي في الطبيعة.

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

في واجهة زجاجية أخرى ترتصف سيوف لفتح البطن ومقابض هذه السيوف حلي حقيقية ، وهي في الواقع تشكل مع الأغمدة، والغلايين ، وبعض الأشياء الدقيقة الأخرى كلّ صناعة الحلي اليابانية . يبدو أن أحد هذه المقابض يشكل خلاصة للشاعرية الغربية في تلك البلدان المليئة بأحلام اليقظة والألوان في آن واحد : على أحد الوجهين ترى عنقاوان صغيرتان بملامح كائنين مفكرين ، ينطلقان جنباً إلى جنب ، في صداقة يتحدثان ويثرثران (يلوح ذلك في هيئتهما) وقد أفلتا منذ قليل من قفص تخلعت عيدان قصبه : إنهما أسيران ينجوان .

الوجه الآخر من المقبض يمثل ورقتي شجر متساقطتين ، تحوّمان في سماء خريفية وحيدتين مع ضوء القمر في المدى الشاسع .

في هذه المناظر البارعة ، توجد تفردّات ذات مقاصد تكاد لاتـدرك ، زحام أخيلة كأنها أبخرة حُلم.

إلى جانب القاعة التي عرضت فيها هذه الروائع، توجد قاعة أخرى ، تحفة لون، لن أحاول وصفها ، إنما أذكر الهدف الفريد منها . إنهـا بالنسبة للكاتب " وسيلة وحي" ، حجرة الإثارة الفكرية .

عندما يريد أن يعمل ، يأوي أولا إليها ، ينتشي بالفن الظاهر في هـذا المكان؛ ينتشقه ، يتشبع منه؟ وعندما يشعر بالانسجام الفكري بشكل كاف وبسريان اللهب فيه ، يعود للجلـوس إلى طاولتـه ، يريـد أن يكتـب الشيء الـذي لم يستطعه عندمـا كـانت عيناه شـاردتين دون انقطـاع في الآفـاق الضيقة.

ARCHIVE

الطابق الأرضي هو مقرّ طرائف القرن الثامن عشر . وهـذه المجموعـة فريدة ، تذكر منها خاصة الرسوم المدهشة الـتي أعارهـا لمعـرض الألـزاس - لورين . هـوذا واتـوا (١) هـذا المعلـم بـين كبـار الفنـانين ، وبوشـة (٢) ، وفراغوناز (٣) ، وشاردن (٤) ، بينما تزينيات حافة المدفأة تمـاثيل صغـيرة لاتقدر بثمن لكلوديون (٥)

أمـا قاعـة الطعـام فمفروشـة بنجـود فاتنـة مليئـة برسـوم حـاملات السلاسل الجميلات ؛ إنها نشوة تزهو بها الأعين . وكم من أشياء أخرى

* * *

نقرأ هـذا الـرأي في هـذا الكتـاب الرائـع الـذي يحمـل عنـوان أفكـار وأحاسيس (٦):

□ غي دو موباسان □

"توجد مجموعات طُرف فنية لاتعبر لاعن هوى ، ولاعن ذوق ، ولاعن ذكاء ، لاشيء إلا انتصار فظٌ للغنى ".

أمّا مجموعة إدمون وجول دي غونكور فهي بالعكس انتصار للهوى، والذوق والذكاء .

عندما وفد الأخوان على باريس ، كانا يملكان ثروة متواضعة لاتكفي غيرهم إلا للعيش وقد عرفا كيف يشتريان بواسطتها أشياء لم تكن تحظى بالتقدير سرعان ماغدت من النفائس .

كانا يستريحان من عناء الكتابة بالتنقيب في الحوانيت، يقلبان أكداس الرسوم غير المستكشفة التي يحتفظ بها بعض تجار النقش والرَسُم في أقبيتهم؛ وبحاسة تمييز لاتخطئ يهتدون إلى رسيمات ومخططات المعلمين ويحملونها كالكنوز . بالنسبة لهما مامن مباهج عامة في الحياة ، ولامتع : ولاأهواء التحفة تشغفهما ؛ وعندما يشتريان إحدى القطع الهامة ، وتغزوهما حمّى التملك خلال شهر أو شهرين ، وتفرغ جيوبهما ، وتكون الدراهم المؤمل الحصول عليها بعيدة الأجل، فإنهما يختفيان ، ويختبئان منعزلين في نزل ريفي بسيطة حيث يعيشان بتواضع وبتقتير على أمل مشتريات قادمة .

هذا الهوى كان قوتهما، وملجأهما ، وتعزيتهما في الحياة التي عانيا مرارتها مدة طويلة .

قضى أحدهما ضحية الصراع المرير مع الجمهور الذي حد موهبتهما الكبيرة ، ولم يفهمها وسخر منها ،لكن هاهو الآخر ، هذا الذي صمد يرى نفسه فجأة محط الاعجاب ، والتهليل . والاعتبار معلماً

كم هي كثيرة الحدوث هذه المظالم ، وهذه الضراوات غير الواعية من الجمهور . لقد قال بلزاك :

" هذا الجمهور الباريسي ، الذي تحل السخرية لديه عادة محل الإدراك ..."

– هذه الكلمة ذات صحة مدهشة ؟ عندما لايفهم الجمهور فإنه يستخف ؛ وبما أنه لايفهم أبداً أولئك الذين يأتون في وقت مبكر ، الطليعيين أمثال الأخوين غونكور ، فيجب على هؤلاء الرجال أن يموتوا للاقتناع بوجوب تحيتهم وتكريمهم . غير أن إدمون دى غونكور رأى إقبال زمنه . فقد أدركَ أخيراً هذا الفن المصفى ، البارع، الصادر عن شعور متقد، المتشبث بخلاصة الخلاصات ، والرهافة اللامتناهية ، ومعاناة الأشياء ,

هو وأخوه متقبان : نقبا في الماضي ، ونقبا في الحياة ، ونقبا في اللغة ووجدا في كل مكان ، في الماضي ، والحياة ، واللغة كنوزاً لم تعرف .

توفي أخوه وتابع إدمون دي غونكور الرسالة ؛ وهو يعمل دون انقطاع ليهب من الوجود كما يقول عن ذلك ، وكما كتب : إن رهبة الانسان من الواقع جعلته يجد هذه المخارج الثلاثة : السُكرُ ، والحب ، والعمل"

بعد هذا الكتاب الذي ظهر اليوم ، سيرتد أدمون غونكور إلى الرواية؛ الرواية التي تنسي كلّ شيء ، وتحمل الكاتب إلى التخيل ، فتلفه به، وتهدهده ، وتبعده عن الأرض ، وتجعله يحيا في عالم خاص به ، معدّ من قبله ، منور بالفن . إنه العالم المثالي للمبدعين .

* * *

## ٧ -إيفان تورغُنِف

**مقال نُشر في "لي غولوا" بتاريخ ٥ أيلول ١٨٨٣**

الروائي الروسي الكبير الذي اختار فرنسة وطناً له ، إيفان تورغنف ، قضى نحبه بعد صراع رهيب مع الموت دام نحو شهر (١) .

كان واحداً من أكثر الكتاب تميزاً في هذا القرن ؛ وفي الوقت ذاته الرجل الأكثر تهذيباً ، واستقامة ، وصدقاً في كل شيء ، وتضحية ؛ بين الرجال الذين يمكن أن نلتقي بهم . دفع التواضع حتى الخشوع تقريباً ، فلم يرد أبداً التحدّث عنه في الصحف . وفي أكثر من مرة تألم من مقالات مليئة بالتقريظ كتألمه من الشتائم ، لأنه لم يكن يقبل أن يُكتَب شيء آخر غير النتاج الأدبي . وحتى النقد المتعلق بالأعمال الفنية يبدو له ثرثرة صرفة . وعندما كان يعطي أحد الصحفيين في معرض الكتابة عن أحد كتبه ، تفصيلات عنه وعن حياته ، كان يعاني تهيجاً حقيقياً مختلطاً بنوع من خجل الكاتب الذي يبدو لديه المتواضع احتشاماً .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

اليوم وقد غاب هذا الرجل الكبير فلنقل ، ببضع كلمات ، ماكانه .

المرة الأولى التي رأيت فيها إيفان تورغنف كانت لدى غوستاف فلوبير فُتح باب ، و ظهر عملاق ، عملاق برأس من فضة ، كما يقال في قصة الجنيات . شعره أبيض طويل ، حواجبه ثخينة بيضاء ، لحيته كثة بيضاء، وحقاً ببياض الفضة اللماع المشرق كلياً بالإنعكاسات ؛ وعبر هذا البياض يبدو وجه طيّب هادئ بقسمات ظاهرة ؛ إنه رأس نهر حقيقي مزبد " يتدفق بأمواجه" أوماهو أفضل أيضاً رأس الأب السماوي.

كانت قامته طويلة جداً ، وعريضة ، ومليئة دون سمنة أما حركات هذا الجبار فهي حركات طفل ، محتفظة وخجول . يتكلم بصوت رخيم، رخو بطيء قليلاً ، كأن لسانه الثخين يحرُك بصعوبة . يتردّد أحياناً ببحث عن الكلمة الفرنسية الدقيقة للتعبير عن فكرته ، لكنه يجدها دائماً وبإحكام مدهش ، وهذا التردد الخفيف يعطي لكلامه جاذبية خاصة .

هو يعرف كيف يقصّ بطريقة أخاذة، معطياً لأقل الأحداث أهمية فنية ولونا ممتعاً؟ لكن إلى جانب اكتسابه الحب للقيمة العالية لفكره يحبُّ أكثر لصفاء قلبه الطيب ، المندهش دوماً ، إذ أنه كان ساذجاً إلى حدّ لايصدق . هذا الروائي العبقري الذي طاف العالم ، وعرف مشاهير رجال عصره ، وقرأ كل مايمكن لكائن بشري أن يقرأه ، وتكلم إلى جانب لغته الأم جميع لغات أوروبة ؛ كان يبقى مندهشاً ، ومذهولاً أمام الأشياء التي تبدو بسيطة لطلاب المدارس الثانوية في باريس.

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

يبدو أن الحقيقة الحسّية هي التي كانت تؤلمه ؛ ذلك أن فكره لم يكن يندهش مطلقاً أمام الأشياء المكتوبة ، بينما كان يثور من أقل الأشياء المعاشة. وربما كانت استقامته الشديدة ، وطيبته الفطرية الكبيرة تجعلانه يحسُّ بالاهانة عند التماس مع قساوات الطبيعة البشرية ، ونقائصها، ورياتها ؟ وبالعكس كان ذكاؤه عندما ينصرف إلى التفكير وحيداً أمام طاولته يجعله يدرك الحياة ويتعمق حتى في أسرارها المخجلة ، كمن ينظر من نافذة إلى الأحداث التي تجري في الشارع ، دون أن يكون مشاركاً في أي منها .

كان بسيطاً، وطيباً ومستقيماً بإفراط ، ذا فضل كإنسان ، مخلصاً حتى أبعد الحدود ، وفياً لأصدقائه الاحياء منهم أو الأموات .

كان لأرائه الأدبية قيمة ومدى يزدادان اعتباراً ، خاصة وأنه لايحكم فيها من وجهة النظر المحدودة والخاصة التي نأخذ بها جميعاً ؛ إنما يقيم نوعاً من المقارنة بين آداب جميع شعوب العالم التي يعرفها بعمق ، موسعاً بذلك حقل ملاحظاته، مجرياً مقاربات بين كتابين يظهران في طرفين من الأرض بلغتين مختلفتين .

رغم تقدمه في العمر واكتمال مسيرته الأدبية تقريباً ، فقد كان له في الأدب الأفكار الأكثر حداثة والأكثر تقدماً ، نابذاً جميع أشكال الروايات القديمة ذات الطرائق والتراكيب المسرحية والمتحذلقة ، مطالباً ألا نجعل "من الحياة" إلا ماهو في الحياة ، - نعالج "شرائح من الحياة " بدون مكائد ولامغامرات ضخمة .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

كان يقول : "الرواية" هي الشكل الأكثر حداثة من الفن الأدبي ، وهي تتحرر بعد لأي الآن من طرائق السحر التي استخدمتها في البدء . لقد أفتنَتَ بجاذبية وهمية ما الأخيلة الساذجة ، أما الآن وقد تنقى "الذوق" فيجب طرح جميع هذه الوسائل الدنيا ؛ وتبسيط ورفع هذا الفن ، الذي هو فن الحياة ، والذي يجب أن يكون تاريخ الحياة .

عندما كان يُحدَّث عن المبيعات الضخمة لبعض الكتب المغرية كان يقول:

- " إن الأشخاص ذوي الاحساس المبتذل هم أكبر عدداً بكثير من أولئك الذين وهبوا إحساساً مرهفاً . فكل شيء يتعلق بدرجة الذكاء التي تتوجهون إليها . إن كتاباً يعجب الجماهير ، لا يعجبنا في الغالب أبداً . وإن

أعجبنا في ذات الوقت مع الجماهير فتأكدوا بأن ذلك يعود لأسباب غير أسبابهم قطعاً .

إن هبة الملاحظة القوية جعلته يتنبه ، إلى حميرة الثورة الروسية ، قبل أن تظهر للنور ؛ وقد سجل هذه الحالة الجديدة للأفكار في كتاب شهير الآباء والأبناء وسمى المتعصبين الجدد الذين اكتشفهم بين جماهير الشعب المضطربة العدميين ، على مثال العالم الطبيعي الذي يعطي اسماً جديداً للحيوان المجهول الذي يكشف عن وجوده .

أحدثت هذه الرواية ضجة كبيرة . فبعضهم سخر منها والبعض الآخر اغتاظ ، وما من أحد أراد الاقتناع بما يبشر به الكاتب وبقي اسم العدمية على البدعة الوليدة التي سرعان ماتوقف إنكار وجودها .

منذ ذلك الحين تابع تورغنف بهوى الفنان المترفع سير وتطور المذهب الثوري الذي توقعه ، واعترف به ، وكشف عنه .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

لم يكن منتمياً إلى أي حزب ، وكان يهاجم غالباً من هؤلاء وأولئك، ويكتفي بأن يلاحظ ويسجل . وقد نشر على التتابع أدخنة وأرض عذراء وهي كتب تظهر بالطريقة الأكثر وضوحاً مراحل العدميين ، وقوة وضعف هذه الأفكار المضطربة ، وأسباب ضعفهم وأسباب نجاحهم .

كان معبوداً من الشبيبة المتحررة ، يستقبل بالهتافات الحماسية في كل مرة يعود فيها إلى روسية، تحذره السلطة ، وتشتبه به الأحزاب المتطرفة لكنه يلقى الإعجاب من الجميع ؛ غير أنه لم يكون يعود إلى بلاده مختاراً مع أنه يكن لها كل "الحب" ؛ ذلك أنه كان يعاني من ذكرى بضعة أيام قضاها في السجن بعد نشر كتابه "مذكرات اقطاعي روسي" (١)

لايمكن أن نقوم هنا مؤلفات هذا الرجل الكبير جداً ، والذي سيبقى أحد أسمى عبقريات الأدب الروسي ؛ وسيظل - إلى جانب الشاعر بوشكين(١) صديقه ، الذي يكنّ له إعجاباً حاراً ، والشاعر لرمونتوف(٢)، الروائي غوغول (٣) - أحد هؤلاء الذين يجب على روسية أن تعبر لهم عن أكبر الشكر وأخلصه لأنه أعطى هذا الشعب شيئاً خالداً ونفيساً : أعطاه فناً ، ومؤلفات لاتنسى ، ومجداً أثمن وأبقى من جميع الأمجاد إن رجالاً مثله قدموا لوطنهم أكثر مما قدم الأمير دي بسمارك : أنهم استحقوا حبّ جميع النفوس السامية في جميع أصقاع الأرض

* * *

كان في فرنسة صديقاً لغوستاف فلوبير ، ولادموند دى غونكور ، ولفيكتور هوغو ، ولإميل زولا ، ولألفونس دوده ، ولجميع الفنانين المشهورين الآن .

كان يعشق الموسيقى والرسم ، ويحيا في جو من الفن يتأثر بجميع الانطباعات البارعة، والأحاسيس المبهمة التي يمنحها الفن ، وهو في سعي لاينقطع وراء هذه المتع المرهفة والنادرة .

مامن روح أكثر انفتاحاً ، ونعومةً ، ونفاذاً ؟ ومامن موهبة أكثر سحراً ؛ وما من قلب أكثر وفاءً ونبلاً .

===*===

□ غي دو موباسان □

## الهوامش :

١- كتبت هذه المقالة في حياة فلوبير الذي عرف عنه أنه لم يكن يحبذ التقريظ وخاصة ممن يعتبرهم تلاميذه ، وبالتالي فهي بحث في نتاج فلوبير بدأ به غي دي موباسان حياته الأدبية . لكنه خصّ بعد ذلك استاذه بعد وفاته في ٨أيار ١٨٨٠ - بمقالات عديدة كان آخرها في ٢٤ تشرين أوّل ١٨٩٠ بمناسبة نصب تمثال فلوبير- الذي أعده المثال الشهير هنري شابو - في روان مسقط رأس الأديب . وكانت من أواخر ماكتب غي دي موباسان قبل مرضه.

١ - STYLE كلمة تعني "الطراز" في الأثاث خاصة . وتعني "الأسلوب" في الأدب والتعبير .

٢ - شارل ديكنز : (١٨١٥ - ١٨٧٠) روائي انكليزي واقعي .

٣ - جان دي لابرويير : ( ١٦٤٠ - ١٦٩٦) كاتب فرنسي تميز بأسلوب ايجازي خاص .

٤ - ميغل سرفنتس : (١٥٤٧ - ١٦١٦) كاتب اسباني مؤلف دون كيشوت.

١ - تيوفيل غوتيه: (١٨١١ - ١٨٧٢) شاعر وروائي وناقد فرنسي ، اهتم بمظهر الجمال في القصيدة . من قصصه "النقيب فراكاس".

١ - بانتا غرويل : هو الشخصية الرئيسية في روايات رابله ، يمارس أولاً حياة الطالب المتجول ساعياً وراء العلم في الجامعات المختلفة، ويغدو صديقاً لبانورج ، ثم يبدأ مهنته كملك بإعلان الحرب على الديبسود .

١ – في هذا تلميح لنقد فلوبير اللاذع للأنسان السمج الذي يعرفه "بأنه العاجز عن تقدير الترفع واللانفعية والجمال ، ويفكر بخساسة .

٢ – سانت بوف (١٨٠٤ – ١٨٦٩) أديب فرنسي ، له مجموعة أشعار ودراسات ورواية "لذة VOLPUTE" لم يكن يراعى الطقوس الدينية ، وهو أقرب إلى الإلحاد ، أشيع أنه أقام حفل عشاء قدم فيه " مقانق الخنزير المطبوخة" (يوم الجمعة المقدسة العظيمة – يوم إنزال السيد المسيح عن الصليب وجنازته – وهو يوم صيام ) مما أثار سخط ونقمة الصحف الكاثوليكية عليه . فكانت تجدّد التذكير بذلك كل عام .

١ – ظهرت هذه المقالة بمناسبة نشر رؤية "الطبخة POT - BOVILLE لاميل زولا مسلسلة في صحيفة Le -Gaulois وبدءاً من ٢٣ كانون الثاني ١٨٨٢ . ولما كان زولا من مواليد ١٨٤٠ فعمره ، آنذاك اثنان وأربعون عاماً .

١ - بوالو ( ١٦٣٦ - ١٧١١ ) شاعر وأديب فرنسي أسس قواعد الكلاسيكية وحارب التورية والتبحر المتحذلق .

١ – مسالين : امبراطورة رومانية من منتصف القرن الأول الميلادي اشتهرت بفجورها

٢ – روبير ماكير : بطل مسرحية فردريك لميتر (نزل آدره) وقد اشتهر في العام ١٨٣٥ بتمثيله دور هذه الشخصية التي تعتبر نموذج الطماع المتبجح والوصولي النصاب ، ورسمه دوميه في صور كاريكاتورية ناقدة للبورجوازية في عهد لويس فيليب

١ – مدان MEDAN: قرية صغيرة غرب باريس . لاتبعد كثيراً عنها ، وهي قرب سان جرمن – ان لي

٢ – يعبر موباسان هنا عن قصه العميق للتحف القديمة التي تغزو تزيينات الأثاث ، وقد كتب مقلاً خاصاً بهذا الخصوص بعنوان : "الطرائف " ظهر في صحيفة "لي غولوا" بتاريخ ٢٢ آذار ١٨٨٣

□ غي دو موباسان □

١ - صدرت دراسة بول الكسيس عن إميل زولا في العام ١٨٨٢ لدى الناشر شاربنتيه.

١ - الأخوان دى غونكور : إدمون (١٨٢٢ - ١٨٩٦) ، وجول (١٨٣٠ - ١٨٧٠) لعبا دوراً مركزياً في الحياة الثقافية في زمنهما كروائيين " واقعيين " وألفا سوية روايتي جرميني لاسرتو ، ورينه موبرن ، لكنها اشتهرا خاصة كنا قدي فن ، وهما وبين لتحفه التي جمعها عدداً هاماً ، وقد ردا الاعتبار خاصة للثامن عشر بدراساتهما عن فنه . كما ساهما في موجة التوجّه نحو فنون الشرق الأقصى - الصين واليابان - ظهر كتاب "بيت الفنان" في العام ١٨٨١ لدى شاربنتيه ووجه موباسان في ٢ نيسان رسالة شكر لغونكور يؤكد فيها تقريظه للكتاب ومما قاله فيها:

"روعة الأسلوب الحميمة ، والصياغة المتقنة للجملة ، والإحكام الفائق والمدهش للتعبير يجعل من هذا الكتاب متحفاً رائعاً "

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

١ - داتو (انطوان) (١٦٨٤ - ١٧٢١) - رسام فرنسي برع في استخدام الألوان . من لوحاته "حيل" ، و"واللامبالي"

٢ - بوشه (فرانسوا) (١٧٠٣ - ١٧٧٠) رسام فرنسي له مناظر رعوية وميثولوجية أشهرها "ديان في الحمام"

٣ - فراغونار (جان أونوره) (١٧٣٢ - ١٨٠٦) من رسامي القرن الثامن عشر وأشهر لوحاته "العيد في سان لكو"

٤ - شاردن (جان باتيست) (١٦٩٩ - ١٧٧٩) رسام واقعي له رسوم تمثل طبيعة صامتة وأشخاص ومنها "صلاة المائدة "

٥ - كلود ميشيل - الملقب بكلوريون (١٧٨٣ - ١٨١٤) نحات من اللورين - اكتشفه الأخوان غونكور - له تماثيل ذات مقاييس صغيرة - باخوسيات . صنع منها نماذج عديدة من آجر مشوي وبورسلين .

□ غي دو موباسان □

٦ - أفكار وأحاسيس : كتاب يضم مختارات من مذكرات غونكور ، نشرت في العام ١٨٧٧ لدى شاربنتيه .

١ - تورغنف (ايفان سرحفيتش) "ولد في أورل ١٨١٨ - توفي في باريس ١٨٨٣" كاتب روسي مؤلف روايات "قصة صياد "١٨٥٢" الأباء والأبناء "١٨٦٢" المياه الربيعية "١٨٧١" وغيرها ومسرحيات منها "شهر في الريف "١٨٧٩" عاش في فرنسة ، ويعتبر الكاتب الروسي الأكثر تأثيراً في الفكر الغربي تعرف عليه موباسان لدى فلوبير وخصه بمقال أوّل في "لي غولوا" في تشرين ثاني ١٨٨٠ بعنوان "مبتكر كلمة العدمية" ثم بهذا المقال بعد وفاته .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

١ - مذكرات اقطاعي روسي : نُشر هذا الكتاب في موسكو ، العام ١٨٥٢ ، غفلاً من اسم المؤلف ، وترجم من قبل ارنست دى شاريير ونشر في باريس العام ١٨٥٤ لدى هتزل ، الذي نشر لتورغنف أيضاً الذخائر الحية (١٨٧٥) والأراضي العذراء (١٨٧٧)

١ - بوشكين : (١٧٩٩ - ١٨٣٧) شاعر وأديب روسي له ملحمة خرافية "رسلان ولودميلا" ورواية شعرية "أوجين أونغنين" وروايات أخرى منها "ابنة النقيب ، وبنت البستوني" قتل في مبارزة.

□ غي دو موباسان □

٢ - لرمنتوف (١٨١٤ - ١٨٤١) : شارع وأديب روسي ، دواوينه تحمل إيحاء روائياً منها "بويار اوركا والشيطان " كما أن له رواية "بطل من زمننا"

٣ - غوغول (١٨٠٩ - ١٨٥٢) روائي ومؤلف مسرحي له رواية "تراس بولبا - ومجموعة قصص "الأرواح الميتة " .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

# موباسان والحرب والسياسة

## بقلم : ماري ـ كلير بانكار

*ترجمة : كمال فوزي الشرابي*

منذ عشرين عاماً تقريباً مُنع فيلم المخرج لوي داكان DAOUIN عن رواية ( الصديق الظريف )(١) لغي دوموباسان من العرض بسبب مناوأته للاستعمار . واعتبر كتاب ( سهرات ميدان MEDAN )(٢) لدى صدوره معادياً للشعور الوطني لأن مؤلفيه ادعوا أنهم يتحدثون عن حرب ١٨٧٠ بين فرنسا والمانيا خلافاً لديروليد DEROULEDE (٣) . وهاجم موباسان كصحفي ، وهو المطلع على عمليات السمسرة السياسية والمالية ، غزو تونس باعتباره يكره الحرب ، وتشكل هذه الكراهية مظهراً أساسياً من مظاهر أعماله .

(( يهمني منظر آلة الحلاقة الميكانيكية ويهز مشاعري ويسحرني إلى أبعد حد أكثر من منظر فرقة من الجنود وهي تمر ، وفي مقدمتها موسيقا تعزف وعلم يخفق في الريح )) . هذه الجملة لم يكتبها جورج داريان DARIEN (٤) ، بل كتبها موباسان في صحيفة ( الغولوا أو الغالي LE GAULOIS ) . (( تجدون عمليات السمسرة السياسية والمالية لكبار أسياد الاستثمار العام في منتهى البساطة ، ما دمنا نعيش تحت حكم الرشوة

بمملكة الضمائر المنحلة ونحن نركع أمام العجل الذهبي )) . وهذا أيضاً تصريح لموباسان لا لأحد الاشتراكيين . ولا يخطىء المرء مع ذلك حين لا يعتبره اشتراكياً أو فوضوياً ، ولكن المرء يخطىء إذا ما صنفه بين الكتاب الذين ابتعدوا عن السياسة إما بدافع المصلحة وإما محاكاة لمعلمه غوستاف فلوبير في قرفه وبرودة رغبته . واما فيما يتعلق بفلوبير فان المسألة لا تبدو بسيطة بهذا المقدار : إذا استطاع موباسان أن يكتشف بعد موت معلمه ، وفي (( دفاتره )) مشروع رواية حول الطبائع والأخلاق في الامبراطورية الثانية (( حيث يمتزج المزيد من الفسق والمزيد من المال والمزيد من التقوى الممكنة )) . ومن المؤكد أن فلوبير وقف موقفاً رافضاً من المشاركة السياسية يتأتى من شلل ابتداعيته ومن انطوائه الشخصي في الحياة . بينما وجب على موباسان أن يسهم طوعاً أو كرهاً في حياة عصره . فكان في أثناء حرب ١٨٧٠ أحد جنود هذه الحرب وقد تجلى له مبدؤها في منتهى القسوة والعبث ، وأوشك أن يلاقي مصرعه بعد الهزيمة . هذا من جهة ، ومن جهة ثانية كان موباسان مضطراً الى العمل ليكسب عيشه ، وهكذا عرف خلال سنوات عديدة بدءاً من ١٨٧٣ مصاعب معيشية كموظف في وزارة البحرية حيث بدأ براتب شهري مقداره / ١٢٥ / فرنكاً في مهنة زيادات الرواتب فيها بطيئة ومنغصات العيش عديدة . وحين أصبح صحفياً لامعاً ، وكاتباً مشهوراً لم ينسَ قط هذه الحياة البائسة . وصار باستطاعته أن يقارنها بحياة الطبقة التي ارتفع اليها ، وأعني بها طبقة الأغنياء الجدد والمجتمع الراقي وعالم الصيارفة والأمراء كالصيرفي اليهودي كاهن دانفير DANUERS CAHEN ، والأميرة بوتوكا BOTOCKA ثم ان الصحافة مدرسة أتاحت له التغلغل في معرفة الأحداث المحلية . فلا نعجبنَّ إذن أن يكون الكثير من مقالاته وعدد من قصصه واثنتان من رواياته وهما

( الصديق الظريف ) و (مونت اوريول ) حكايات استقى موادها من تحولات الحياة المحلية ، وقدم لنا فيها سلسلة من الأحكام تتعلق بعصره .

منذ مئة وخمس عشرة سنة بالضبط ظهر كتاب ( سهرات ميدان ) وهو مؤلف جماعي نجد فيه ، إلى جانب قصصه الموقوفة كلها على الحرب ، قصة ( كرة الشحم **DE SUIF BOULE** لموباسان . وأوشك هذا الكتاب أن يدعى ( الهروب المضحك ) ويقصد به بالطبع ( الهروب الفاجع ) تمادياً في السخرية ... وتبين لنا رسالة من موباسان إلى فلوبير مقدار التناقض في هذا التفسير مع التفسير الذي أشاعه الأدب الانتقامي : (( لم يكن لنا ، حين صنفنا هذا الكتاب ، أي مقصد مناوىء للوطنية ... لقد أردنا فقط أن نحاول إعطاء قصصنا لهجة حقيقية عن الحرب ، وان تنزع منها كل شوفينية على طريقة ديروليد ... وهذه النية الحسنة من قبلنا في تقدير الوقائع العسكرية تعطي المؤلف بأكمله طابعاً غريباً )) . والواقع أن كتاب (سهرات ميدان ) قد تعرض لنقد شديد من قبل وولف **WOLEF** في جريدة ( الفيغارو ) ولكنه عرف أيضاً نجاحاً كبيراً ، وألغى موباسان نفسه وقد انطلق في عالم الأدب بحكاية (( بغي محترمة )) (٥) . وفي العام التالي ١٨٨٠ نشر موباسان في ( أيام آحادِ بورجوازي من باريس ) هجاء ضد الاستعدادات لأول عيد قومي في ١٤ تموز تحتفل به الجمهورية : (( اعياء، استئصال للأثفان ـ مسامير الأقدام ـ ، ادهاش كل فكر )) . وفي مطلع مهنته كصحفي وُجد موضوعان سياسيان من موضوعات أعماله : كراهية الحرب ، واحتقار الجماهير ، وبالطبع احتقار البورجوازي الغني ، وقد صوره في ( كرة الشحم ) جشعاً ومستعداً للتعاون مع المحتل (٦) .

ومع ذلك فإن ممارسة الصحافة هي التي ضاعفت وجهات النظر السياسية وأكدتها لدى موباسان . ففي بداية عام ١٨٨١ نشر بانتظام وكل

اسبوع في جريدة ( الغولوا ) مقالاً يمكن أن يعتبره وقائع أو حكاية أكثر اعداداً ، ولكن يجب أن يأخذ بالحسبان حتماً المحليات اليومية والا انصرف عنه الجمهور . وهناك رسالة من موباسان تبين أنهم كانوا يطلبون منه أن يتحدث بلهجة الملاحظ ، وهذا ما فعله من دون ما جهد كبير ، وسرعان ما ظهر سيداً في هذا الفن . وكان الأمر كذلك فيما يتعلق بالمقالات التي قدمها لـ ( جيل بلاس ) بدءاً من تشرين الأول ١٨٨١ . وهكذا كسب عيشه بشكل جيد حتى سمحت له ثروته أن يتحرر من الالتزامات التي كانت ترهقه بها مقالاته الاسبوعية . ولقد نسينا هذا الوضع المتعلق بالأديب إبّان العصر الذهبي للصحافة ، إذ كان وضع الكثيرين من كتاب أواخر القرن التاسع عشر . وأضاع بعض الكتاب كمنديس MENDES وسيلفستر SILVESTRE شيئاً من مستواهم في التهافت على العمل حتى أنهم هبطوا بمواهبهم الى العامية . أما موباسان ، وهو من مدرسة فلوبير الصلبة ، فقد بقي صامداً محتفظاً بجدة كتاباته عن المحلية .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

* * *

وهكذا استطاع في عامي ١٨٨١ - ٨٢ ، وبقوة تحرياته وتحقيقاته الصحفية ، ان يبني لنفسه نظرية عن السياسة وخزوناً من الملاحظات الملموسة ما لبث ان استعملها جميعاً في حكاياته أو يلهو أو يغضب فيها أسس أعماله الثابتة . فلنحيي هذه المقالات اذن ، وهكذا ففي عام ١٨٨٠ شغلت الأذهانَ تدخلاتُ ايطاليا في القضايا التونسية ، والهجوم المضاد بقوة الرشاوى للقائم بالأعمال الفرنسي روستان ROUSTAN ، ومشاريع حملة عسكرية فرنسية على تونس . ووجدت الحملة مسوِّغاً لهجومها عام ١٨٨١ : المقصود هو أن تقمع في الجزائر ثورة الكرومير KROUMIRS(٧) الذين يساعدهم جيرانهم . واجتاز الفرنسيون الحدود ، ونزل البحارة في

ميناء بنزرت ، ووُقّعت في أيار معاهدة باردو **BARDO** التي تقر وضع تونس تحت الحماية الفرنسية . وامتدت فترة الحملة الفرنسية ضد الكرومير حتى عام ١٨٨٢ وذلك لأن الحكومة سحبت بشكل مبكر جداً قسماً من قواتها لكي تطمئن الرأي العام قبل اجراء الانتخابات التشريعية ، وكان من جراء ذلك ان ثارت فضيحة سبقتها فضيحة الرشاوى من قبل روستان ، وتظهر المصالح المالية الكبرى بالطبع خلف هذه الحملة التي دعمها أصحاب مصارف بباريس ونواب يشاركونهم أعمالهم . وقامت الصحف التابعة لهم بشن حملة باسم الكرامة القومية ، واشتركت أعمال المضاربة في هذه الحملة، وحمي وطيس اللعب بأسعار البورصة في أحوال اقتصادية سيئة وصعبة . ونعم البعض بالازدهار المالي ( الاتحاد العام مثلاً ) بينما مُنيَ البعض الآخر بكارثة .

وكتب موباسان عام ١٨٨١ سلسلة كاملة من المقالات حول هذه القضية . بدأ بصدد الحملة الفرنسية على تونس فصبَّ جامَ كراهيته على الحرب التي سماها (( المجزرة البشعة )) ، وبشأن احترام القوات المسلحة أعلن (( انه يحترمها بقدر ما يحترم الجُدَري والكوليرا )) وعنوان أحد مقالاته (( صَهْ !! ZUT )) وذلك في الخامس من تموز وهو موجه الى الذين يريدون (( إقحامه )) . وفي السادس من الشهر ذاته أبحر الى افريقيا ، وكتب بصددها يقول : (( يبدو أنها أصبحت مشتلاً خصباً تنمو فيه الحروب بشكل خفي )) .

ومن الجزائر ، وحتى ايلول ، أرسل سلسلة مقالات في منتهى القسوة للطريقة التي تستعمر بها فرنسا الشعوب : سلب ونهب ، حكومة ممزقة ما

بين مدنيين وعسكريين ، وعدم فهم بخاصة للحضارة العربية : (( ما من فكرة يمكن أن تطبق على هؤلاء الناس . يجل أن نكون معهم قساة جداً وعادلين جداً . وعلينا خصوصاً أن نفهم عنصرهم وطبيعتهم وتكوين أفكارهم )) ، ولا يعني هذا أن موباسان كان مناوئاً للاستعمار من حيث المبدأ : إذ يفكر أن الزعماء العرب هم أيضاً أكثر ظلماً لإخوتهم في القومية والدين من الأوروبيين الذين تكيفوا مع العقلية البدائية ، ولكنه غاضب ان يكون هؤلاء أقل ندرة من المستفيدين الأصليين . وهو يرى أن الفرنسيين مخدوعون بدوافع الحملة ، ويضع فضيحة روستان في منظور الأمور : ((من منا لا يستطيع أن يروي حكايات تفوق بفضائحها هذه الحكاية ؟ رشاوى للكلام ، ورشاوى للصمت . أوه ! ما أتمناه مثلاً أن يكتب مالي مرتاب وذكي مذكراته حيث يروي لنا كل شيء ، كل شيء ليخدم تارخ جيلنا)) .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

• • •

وتبرز معارضة موباسان لجميع أسس السياسة والطبائع من موقفه المناهض للحملة على افريقيا . ونتبع آثارها في مقالاته وتعليقاته ومحلياته حتى عام ١٨٨٤ . وكتب ضد النظام البرلماني الذي نجح بفضل (( ممثلين رديئين )) كغامبيتا (٨) ، ومهرجين مشعوذين وعاميين مبتذلين GAMBETTA (٨)، ومهرجين مشعوذين ، وعاميين مبتذلين كغريفي GREVY (٩) . وفي رأيه ان الحكم لم يعد يتعلمه الناس كمهنة ، وكل جمهور ، حتى ولو كان مكوناً من رجال أذكياء ، انما يتذلل في ضعف مشترك . وعلى هذا فالنواب هم جمهور ، ينتخبه هو ذاته (( العدد الأبله )) . ويتمنى الكاتب لو أن هناك صيغة انتخابية أخرى كالصيغة التي تجعل الكليات والمعاهد المهنية تتدخل . ويهاجم موباسان المجتمع بأكمله على اعتباره يقوم على المال والنفاق . ويحارب جميع المبادىء فيطلق عليها أسماء

عديدة كـ (( الترهـات )) و (( الكـلام المكـرر )) و (( الشـعارات الطنانـة الفارغة )) ويعني بذلك فيما يعنيه أيضـا التربيـة الضيقـة والمحـدودة للنسـاء ، والزواج ، والمبارزة ، وتسلسل المشاغل والمراتب الاجتماعية وتـدرج القيـم الجماليـة . وينتقـد موباسـان التصنيـف الرسمـي لـ (( لتصويـر الكبـير )) و((التصويـر النوعـي )) في الصالونـات مثـلاً فيكتـب سـطوراً يضخمهـا في كتاباته ( صالونـات ) لعـام ١٨٨٦ . وأخـيراً فإنـه يفضـح الريـاء في النقـد الأدبي أو الفني الذي يساير الجمهور البورجواي الجاهل . (( انه لمـن الأهـم مليون مرة أن نسمع جزاراً يتحدث عن نقانق من دم الخنزير بكفاءة مـن أن نسمع سادة مستقيمين ونسـاء مجتمـع يفتحـون صنابـيرهم بـأنواع الترهـات والتفاهات))

وعلى هذا فإن موباسان يدين جميـع أنـواع (( الحقـارات والسـرقات والقذارات والدنايا في تمجيدها والقبول بها وتحيتها )) . وبممارسة الصحافة فإنه بلغ قمة النضج في كراهيته لعقلية عصره . ولكن هل يـدل شـعوره ذاك على فكر ثوري ؟ بالطبع لا ، وذلك لأنه تلميذ شوبنهور وسبنسر . وباسم ما في عقائد المساواةمن لا معقولية يهاجم موباسان النظام البرلماني والخدمـة العسكرية الاجبارية وسـواهما ... وتصريحاتـه حـول هـذه الموضوعـات في منتهى التعددية والدقة ، كتلك التي تعبر عن حـذره مـن الاشـتراكيين حـين يعتبرهم طوباويين مخفقين . ولا يسعى موباسان إلى أن يعرف العمال معرفـة أفضل إذ كان مقتنعاً بأن مسعاه في هذا المجال سيكون مصطنعاً . ويرثي لمـن يتحدثون من معاصريه كيول ألكسي **ALEXIS** (١١) عـن الأحيـاء الشـعبية والبائسة . وما نصادفه في مقالاته من اشارات نـادرة الى شـعب المدينـة انمـا هو مقارنة بـين هـذا الشـعب وصغـار الموظفـين ، وتـأكيد علـى أن هـؤلاء الأخـيرين ، وهـم غالبـاً مـا يكونـون ذوي رواتـب هزيلـة ، ومجـبرين علـى

الظهور بمظهر البورجوازيين ، هم في نهاية المطاف أكثر الناس تعاسة . إنهم هؤلاء البشر الذين دافع موباسان عنهم عام ١٨٨٢ ، ملتزماً في ذلك بحصته من حملة بدأها جول سيمون JULES SIMON (١٢) لصالحهم في جريدة (الغولوا) .

أثبتت دراسات تاريخية حالية فائدة الموقف الموباساني : إذ أخفى التحليل الماركسي الضيق لمدة طويلة في فرنسا وبخاصة في باريس تلك الحقبة، اهمية الطبقة المتوسطة التي تعيش في العوز والقلق والحرمان . ويدرك المرء جيداً بأنه لا يستطيع أن يقلب نظاماً ما باسم هذه الطبقة . والواقع ان موباسان إذ كان يفضح بهمة لا تعرف الكلل ولا الملل مساوىء المجتمع ، فإن هجومه لا يبرز إلا من خلال منظور عدمي . انه يعتقد أن الإنسان حيوان شرير ، لا يستطيع أن يعيش في المجتمع الا بتوسيع مرامي أنانيته ، تلك هي اللازمة التي تتردد في مقالاته . وعلى هذا فليس هناك حل بديل ، كما أنه ليس هناك مجتمع مثالي . ويجب أيضاً أن تأتي حكومة وتسيء الى وضعنا الطبيعي بتنمية أخلاق مزيفة من احتياجات مزيفة ، وبإنزال مبادىء المساواة منزلة مبادىء عدك المساواة بعد أن تؤسسها ظلماً على المال . وهل من المناسب أن يحل صراع عبثي من أجل الموت محل صراع لا يمكن تحاشيه من أجل الحياة ؟

حين قدم موباسان عام ١٨٨٩ لرواية ( الحرب ) التي أبدعها الكاتب الروسي الكبير فسيفولود غارثين VSEVOLOD GARCHINE (١٣) ، فضح الحرب بلهجة لا أمل فيها : (( لماذا لا يحاكمون بعد كل حرب تعلنها ؟ إذا أدركت الشعوب هذا الأمر ـ وإذا ما استعملت أسلحتها ضد من أعطوها إياها للقتل والذبح فإن الحرب حينئذ تتلاشى . ولكن هذا اليوم لن يأتي أبداً ! )) . فموباسان إذن معارض ، وهو إذ يشبه كثيراً من

معارضي أواخر القرن ، وإذ تتسم عقليته بالشؤم فذلك لكي يطالب فقط وعلى تواضع بإلغاء اللا معقوليات الصارخة في الحياة . انه صافي التفكير ولكنه متشائم . ولا يستطيع القارىء أن يضعه في قائمة المناضلين .

وعلى ضوء تجربته الشخصية وعمله كمعلق ومحقق صحفي يمكن ادراد عدة أعمال سطرها بقلمه من حكايات وروايات تبرز ما للحرب والسياسة من أدوارفعالة في هذه الأعمال . وكان لـ ( كرة الشحم ) نموذجٌ تمثلَ في محظية من مدينة روان عوقبت لأنها وضعت علماً أسود أمام باب دارها لدى دخول البروسيين . واستلهم البورجوازي كاريه ـ لامادون عمدة روان وسواه من الوجهاء في استعدادهم للتعاون مع العدو بغية إنقاذ ما لديهم من أموال وأملاك من اعتداء البروسيين . ( ألم يكتب الدكتور ايليس HELLIS عام ١٨٧١ : (( أنا مقتنع بأن قدوم البروسيين قد أنقذنا من حركة ثورية . لذلك لا أشعر تجاههم بأية ضغينة )) . وتبرز قصة (المرعب ) احدى ذكريات موباسان : (( لقد شهدنا اطلاق النار على أبرياء وُجدوا على الطريق واشتبه بهم لأنهم خافوا )) . وتناصر القصصُ التي تعالج البؤس المحتشم لصغار الموظفين الحملةَ التي شُنت لصالحهم عام ١٨٨٢. ومن لا يتعرف في ( الصديق الجميل ) الى التحول الذي تم في الحملة الخيالية على مراكش ، وفي الحملة الحقيقية على تونس عام ١٨٨٢ ، الة النموذج الكبير الذي كشفت عنه عام ١٨٨٢ أحداث مصر ، وعام ١٨٨٤ أحداث تونكان ؟ لقد ظهر كتاب ( الصديق الظريف ) عام ١٨٨٥ : ولم يخشَ موباسان من أن يعتمد أكثر المحليات جدة . وثمة ما هو أفضل إذ يأخذ كنماذج قسماً من الصحفيين والزملاء . ويتصور ( الحياة الفرنسية ) وهي جريدة روايته ، بالاستناد إلى صحف حقيقية تأتي في طليعتها جريدة ( جيل بلاس ) (١٤) التي ظهرت عام ١٨٨٧ فهي حكاية

تحويل لتوسيع مركز المياه المعدنية في شاتيل ـ غويون الذي انشىء ما بين عامي ١٨٧٦ و ١٨٨٤ (١٥). ولا تقتصر الكتابة أبداً لدى موباسان على إعادتنا لذاتها فحسب بل الى ملاحظة منقوشة في صميم الحساسة أيضاً . ويفسر لنا هذا أن عمل الكاتب لا يصف في الواقع جميع طبقات المجتمع المحلي . وتُستثنى من ذلك بخاصة شعوب المدن ، وتنحصر باريس لدى موباسان في كونها مدينة الأعمال والمتع .

ولكن ما يهم أيضاً هو أن نعطي الكتابة مكانها الصحيح . وفي الأعمال الجاهزة لا تعود الحرب والسياسة توجدان لذاتيهما بل لتفاعلهما مع الخطاب ، إذ تدخلان في تضيقات المتخيَّل . وتترجم فيها انفعالاتٌ شخصية . مثال على ذلك أن يكون موباسان غير واهم فيما يتعلق بقيمة المال ، ومسحوراً في الوقت ذاته بالقدرة التي يهبها هذا المال , ويعجبه الانسان الذي يكون فريسة تحدثه . فـ ( الصديق الظريف ) تسكنه صور متدنية ) أما ( الصديق ) هو نفسه فهو ملآن بالحيوية وقسوة النشاط والغزو، ولقد اعطاه الكاتب الشيء الكثير من نفسه. وثمة ردة فعل عميقة" فمن خلال الادانة العامة للحرب، تظهر إدانة خاصة للألماني الغازي ، وهذا مااعطى خطأً تفسيراً انتقامياً لبعض القصص. وهناك انطباع آخر ينضم إلى الانطباع المشترك في القرن التاسع عشر : فإذا كان موباسان لايظهر اي عداء للسامية في مقالاته، فإن الصور الشخصية لوولتر walter في (الصديق الظريف ) والصور (الشخصية لانديرمات ANDERMATT في (مونت ادريول) تقدم لنا أناساً لانتعاطف معهم وذلك لأن جميع القيم لديهم يحكمها المال.

ويتطلب ابراز السياسة في الأدب اللجوء الدائم الى التبسيط بحيث أن موباسان يقدم لنا أناساً وأوضاعاً تصلح كنماذج. ولايمكن اعطاء "مفتاح " وحيد لكل شخصية من شخصيات (الصديق الظريف). وفي مراحل هذه الرواية، كما في مراحل (مونت ادريول) ايجازات يستحيل وجودها في الواقع. اما (كرة الشحم) فإن احداثها تجري بحسب وحدتي الزمن والفعل، الامر الذي يجعل منها قصة مثالية . وهكذا فإن السياسة بابتعادها عن العراقيل تدخل في منحى أدبي صرف. وتصبح الحرب تمثيليه مضحكة أو هزْجة FARCE ، وأحياناً مغناة قصيرة أو أوبريت، كما في قصة (انقلاب)، أو يقلب موباسان بتدخل بغي تتسم بالاحترام والشعور بالمقاومة نظام القيم الموروث (كما في (كرة الشحم)، و(الآنسة فيفي ) و(السرير ٢٩)) . وتمتزج تلاعبات (الصديق الظريف) مع نجاح العشق في خط مضاعف هابط بينما يكون الخط في (مونت أوريول) بالمقابل خطاً صاعداً، هو خط الاعمال الذي يتصالب مع الخط الهابط للغراميات. في هذا الحبكات السياسية التي اصبحت من ضمن مهمات الرواية يمكن أن تؤدي الاشياء دوراً رئيساً تكتسي به على الدوام من أجل ابراز حساسية موباسان: فحول سلة (كرة الشحم ) تخلق باليه حقيقية . وينظر دوروا DUROY الى نفسه في المرايا لعدة مراحل لكي يتحقق من نجاحه .ويصنع العقد الزائف ، وقد ظُنَّ أنه صحيح ، كارثة حياتين في قصة (الزينة)

* * *

تبقى الاشارة الى أن موباسان هو أحد أكثر الرسامين جاذبية في عصر يعتبر بأكمله من السياسة الفرنسية : ذاك هو عصر السياسة الرأسمالية الفردية، حيث يمكن أيضاً أن يسمي المرء أصحاب الثروات ، وحيث يخلق المال سلسلة من حالات عدم المساواة بشكل صارخ ، ولكن حيث

الاخلاق والدين يشكلان كلمتي مرور (ولم يعودا بالفعل الاكذلك). وفي مجموع يمرر عليه الكاتب لمساته ليصبح مثالياً، تدهشنا الامانة في ذكر اقل التفاصيل سواء تعلق الامر بالاسعار أو بلوائح الطعام أو بالملابس . واذا كان التحرك سريعاً أحياناً فإنه لايرتدي أبداً هذا الطابع الملحمي ولايثير في الوقت ذاته اعجاب القارئ وشكله كما لدى اميل زولا. فموباسان كصحفي سياسي، وموباسان ككاتب سياسي يستحق لأن يوضع في المرتبة الاولى بين الصحفيين والكتاب . ومايزال تحليله للقضايا الاستعمار يبدو لاذعاً حتى في عام ١٩٥٥، الأمر الذي أدى إلى منع عرض الفيلم المقتبس من روايته (الصديق الظريف) للمخرج الفرنسي لوي داكان.

على أن موباسان نفسه ليس من رجال السياسة. وبعيداً عن كل حزب ، وكل تنظيم ، وكل تمجيد عام، يفضح مساوئ المجتمع ولكنه لايقترح في مقابلها شيئاً. وهو يسهم بالوقت ذاته في جريدة المكيين (الغولوا) كما يسهم في جريدة الجمهوريين (جيل بلاس). فالسياسة لديه في نهاية المطاف ليست سوى عدة ودافع للعمل. ويظل ما يشغل باله معلقاً بشيء آخر. وبالنظر إلى ضعف تعلقه بالأشياء الميتافيزيائية ، فما يسكنه حقاً هو لغز الوضع الانساني الذي يبحث لاعن حل له بل عن تكرار الاشارة إليه باستمرار من خلال الطرائق الحياتية . كما لدى الآخرين فإن السياسة تؤدي الى أشياء تعتبر وحدها مهمة وهي الجنس ، الحب الظافر أو المريض، الهجران ، الموت، وأخيراً العلاقات البسيطة والاساسية للانسان مع جسده ومع الآخرين . ان كرة الشحم تبكي لانها وحيدة ، والصديق الظريف "يرى" في الشمس خليلته وهي تخرج من السرير ، بينما هو يسيطر على الجمهور من أعلى شارع المادلين . وتغدو كريستيان انديرمات في نهاية (مونت أوريول) غنية جداً ولكنها مع ذلك تقول "وداعاً " لسعادتها.

بعد هذه الرواية لم يكتب موباسان أي عمل سياسي كبير . وأخذ يبدع روايات يشار إلى أنها "ذات طابع اجتماعي" من غير أن يدرك تماماً أنه يعرض فيها هاجسه في أن يكون فناناً مخفقاً، وانساناً لاهوية غرامية لديه. ويكبر اضطرابه الداخلي في النظر الى حضارة يصفها الآن مع بطل (الجمال السوي) بأنها اصلاح هائل :"هذه الحضارة المدهشة التي تحوي كثيراً من الأشياء من كل نوع : من الجوارب الى الهاتف ... الى السكاكر والحلوى ، الى الملابس، الى الزينات ، إلى الأسرَّة، إلى العربات ، الى السكة الحديدية .." سدىً يصنع الانسان "أشياء والآن لاحصر لها" لأنه يحس بأنه زائد وزائل .. ان قلق عصرنا المنحدر ليعبر عن ذاته بلا مراعاة . ومما لاشك فيه أن السياسة اليومية لن تكون على مستوى هذا القلق . اما الحرب فهي على مستواه كبؤس شامل ولامعقولية جذرية.

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

قبل أن يصاب موباسان بالجنون التام حاول أن يكتب (صلاة التبشير ANGELUS) وبقيت هذه الرواية غير مكتملة . وتقع احداثها في منطقة النورماندي في أثناء الغزو البروسي. وبقي لنا منها لوحة تبين ماسببته الحرب من أهوال ، وكمقطع أخير يتصل بهذه الأهوال، ترك لنا موباسان (تأملات حول الخالق). وهكذا بعد عشر سنوات من (الغزو المضحك) ختم موباسان أعماله ، في الموضوع ذاته ، ينظره الى الحياة نشورية ويائسة.

**هوامش :**

(جميع الهوامش هي من وضع المترجم )

* ماري - كلير بانكار MARIE - CLAIRE BANEQUART : شاعرة وناقدة فرنسية مشهورة .

(١) الصديق الظريف BEL - AMI: في هذه الرواية التي صدرت عام ١٨٨٥ يروي لنا موباسان (١٨٥٠ - ١٨٩٣) مراحل صعود انسان وصولي اسمه جورج دوردا DUROY لاضمير لديه ولاأخلاق، وذلك بعد عدة مغامرات عاطفية ومالية.

(٢) ميدان: قرية في منطقة الايفلين YVELINES بفرنسا. سكانها ١٠٦٨ نسمة . كان أميل زولا يملك فيها بيتاً يجتمع فيه خمسة كتاب - منهم موباسان - ليؤلفوا قصصاً تحت عنوان كبير هو (سهرات ميدان).

(٣) بول ديروليد: كاتب وسياسي فرنسي (١٨٤٦ - ١٩١٤). مؤسس (اتحاد الوطنين) ورئيسه ، ومؤلف (نشيد الجندي) . كان من اتباع الجنرال والسياسي جورج بولا نجيه والمتحمسين له. وحين كان نائباً حاول أن يسوق الجيش ضد قصر الاليزيه الذي كان مقراً لرئيس الجمهورية الفرنسية آنذاك (١٨٩٩). وقد نفي من عام ١٩٠٠ الى عام ١٩٠٥.

(٤) جورج داريان (١٨٦٢ - ١٩٢١): روائي وثوري متمرد . كتب ضد الحرب والقوات المسلحة والتسليح. من أشهر رواياته (عدو الشعب / اللص، ١٨٩٧). أعاد اكتشاف هذه الرواية عام ١٩٥٥ اندره بريتون فوقف عليها مقالة رائعة قال فيها "أن أعمال درايان على العموم هي

أعنف هجوم على حد علمي قام به كاتي ضد النفاق ، والزيف، والحماقة، والجبن ". ولداريان نقد شديد اللهجة عنوانه (فرنسا الجميلة ، ١٩٠١) . وله أيضاً بعض المسرحيات .

(٥) "بغي محترمة" : تشبهاً بمسرحية جان - بول سارتر المعروفة (البغي المحترمة ، ١٩٦٦).

(٦) (كرة الشحم): هذه القصة هي بلاجدال من أروع القصص التي أبدعها غي دوموباسان . فبقفزة واحدة بلغ تلميذ فلوبير قمة الشهرة . ويروي لنا موباسان فيها قصة امرأة لعوب طروب قلبها الكبير ملآن بالطيبة والوطنية ويطلقون عليها اسم (كرة الشحم). تدعوها الظروف الى السفر في مركبة كبيرة مغلقة مع فريق من البورجوازيين زوجاتهم الذين لايلبثون أن يظهروا لها العداء الشديد . وأخيراً تستطيع كرة الشحم بملاطفتها وحسن تصرفها أن تكسب ودهم واحترامهم. في أثناء الرحلة يوقف المركبة ضابط بروسي ثم يحبس الجميع في فندق كئيب. ويصر على انه لن يسمح للمركبة بمتابعة السفر الاحين يحظى بقضاء ليلة مع كرة الشحم . تأنف المرأة الصبية الشجاعة في البدء من تلبية رغبة هذا العدو. يتحلق حولها الجمع بأكمله ويقنعها بعد لأي بأن تضحي بنفسها من أجل الآخرين. وتعاود المركبة سيرها في الصباح . ولكن المرأة المسكينة تصبح هدفاً لاحتقار الجميع ومعاملتهم ببرود هي التي ضحت بنفسها من أجل انقاذهم. هنا يفضح موباسان بشكل لاذع ورائع الرياء البرجوازي ، ويتوصل بنجاح الى وصف وتحليل طبائع هذه الفئة من الناس وأخلاقها.

٧ - الكرومير: نسبة الى منطقة تروميريا الواقة على الحدود بين الجزائر وتونس.

٨ - ليونغامبيتا : محام وسياسي فرنسي (١٨٣٨ - ١٨٨٢). ليبرالي جمهوري . أعلن الجمهورية بفرنسا في ٤أيلول ١٨٧٠ . نائب ، دافع عن الجمهورية ضد المليكة . رئيس مجلس الشيوخ . جابه عداوة جدل غريفي والراديكاليين.

(٩) جدل غريفي: سياسي فرنسي (١٨٠٧ - ١٨٩١). حل محل الماريشال كلما هون في رئاسة الجمهورية عام ١٨٧٩ . أعيد انتخابه عام ١٨٨٥، لكنه استقال عام ١٨٨٧ على أثر فضيحة الاوسمة التي اشترك فيها صهره ويلسون .

(١٠) جول فاليس : كاتب وصحفي فرنسي (١٨٣٢ - ١٨٨٥) . صحافي ملتزم (المال /الشارع) . أصدر جريدة (صرخة الشعب) وكان عضواً في الكومونة. نقع على جميع تجاربه في روايته المستندة إلى سيرته الذاتية (الطفل /طالب الشهادة الثانوية /المتمرد)

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

(١١) بول الكسي : كاتب فرنسي (١٨٤٧ - ١٩٠١). معجب باميل زولا ومن اتباعه في المذاهب الطبيعي . بدأ مهنته الأدبية بقصة عنوانها (بعد المعركة) ونعثر عليها في المؤلف الجماعي (سهرات ميدان ، ١٨٨٠). اما بقية المساهمين في هذا الكتاب منهم زولا موباسان هنري سيار ، هنيك، جوريس كارل ديسمنز، له روايتان وعدة مسرحيات .

(١٢) جول سيمون : سياسي فرنسي (١٨١٤ - ١٨٩٦). أستاذ الفلسفة في السوربون. استهوته المسائل العمالية فانصرف إليها . انتخب نائباً عام ١٨٤٨. توقفت نيابته بعد انقلاب واصبح وزيراً للتعليم العام ثم رئيساً للحكومة حتى عام ١٨٧٧ . عضو في الأكاديمية الفرنسية .

(٣) فيسفو لدغارتين : روائي روسي (١٨٥٥ - مات منتحراً ١٨٨٨). اشتهر بنزعته الانسانية وبأوصافة البارعة وأسلوبه الفني ن لذلك قورن بدوستويفسكي وتولستوي . كما أشتهر بابتكاره حكايات عن النباتات والحيوانات المؤنسنة. من أروع أعماله : (الحرب أو الأيام الأربعة)، (الزمرة الحمراء) ، (الرسكمان) ، (الاشارة ) وسواها.

(١٤) جيل بلاس GIL BLAS : اسم هذه الجريدة مأخوذة من رواية (جيل بلاس) دوصانتيلان) للكاتب الفرنسي أمن رنيه لوساج LE SAGE (١٦٦٨ - ١٧٤٨). وفي هذه الرواية يصف لوساج بواقعية طبائع عصره وأخلاقه.

(١٥) مونت أدريول : في هذه الرواية (١٨٨٧) يتخلى بول عن عشيقته كريستان زوجة رجل الاعمال ويليم اندريرمات، ليتزوج لويز ابنة الشيخ أوريول الغني وصاحب الأملاك الواسعة. وتتلهى كريسيان بالطفل الذي انجبته وتنسى غرامها بيول . الرواية بمجموعها لوحات هجائية كبيرة لاخلاق العصر على نظرة تشاؤمية .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

# المرأة في قصص : غي.دي.موباسان

## بمناسبة مرور ١٠٠ عام على وفاته

*عبد اللطيف الأرناؤوط*

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

للمرأة في قصص (( غي. دي. موباسان )) صورتان متناقضتان ، فهي تبدو في بعض قصصه ملاكا رحيما في حين نراها في قصص أخرى شيطانا رجيما ، ينسحب ذلك على بنات حواء كلهن عنده ، سواء كنّ من الطبقة الغنية المترفة أم من الطبقات الفقيرة ، من ربات البيوت المصونات أم من بنات الهوى ، ويعود ذلك التناقض الظاهري في جوهره إلى طبيعة المرأة في نظر موباسان الرائد العظيم للقصة القصيرة ، فالمرأة عنده تسلك وتتصرف بوحي من مشاعرها وأهوائها ، فإن وجهت شعورها في طريق النبل الإنساني بدت مضحيّة رائعة ، وصاحبة مثل عليا تقصر دونها مطامح الرجال ، وإن جنح هواها إلى الشر بدت قاسية لا ترحم ، لا ترعى حرمة لعهد أو ذمة .

بطلات قصص (( غي. دي. موباسان )) يتصرفن بدهاء أو بحمق ، لكن اندفاعهن وراء نزواتهن هو الغالب في سلوكهن ، وهو اندفاع قويّ كالتيار لا تقوى عليه أعراف المجتمع وتقاليده ، وهو يتحدى بوقاحة وخبث بطيبة فاتمة كل ما تواضعت عليه المؤسسة الاجتماعية من قيم .

لم تكن تجربة (( موباسان )) مع المرأة محدودة ، فقد عرف في حياته نساء من مختلف الطبقات ملأن عليه حياته ، وهو حين يتصدى لتشريح قلب المرأة في قصصه ويدرس أخلاق النساء ، إنما يستند إلى خبرة طويلة بالمرأة ، فقد أمدته حياته الصاخبة بالاحتكاك بالنساء من كل الطبقات .. لقد عاشر سيدات الطبقة الراقية ، وبنات الفلاحين في مراحل تشرده , وراقصات الملاهي والخادمات وبنات الهوى .. فتجمع له من ذلك كله معرفة واسعة بخبايا النساء , نزواتهن ، وشهد منهن من تعلقت به حتى الموت ، ومن كان حبّها كمرور الفراشة على الزهر لا تثبت ولا تستقر على زهرة معينة ، ولم يكن مخلصاً في حبه ، بل كان محباً للجمال ، وأكثر قصصه تتناول العلاقات الجنسية والخيانة الزوجية التي تجيد المرأة في إطارها خداع الزوج ، فلا يكتشف دهاءها إلا بعد فوات الأوان .

كان (( موباسان )) يرى الخيانة في أرقى نساء مجتمعه ، وقد يكتشف النبل الأنثوي في الطبقات الدنيا من المجتمع ، وهو في ذلك كله لا ينفي أثر البيئة في تكوين الشخصية ودورها الحاسم في تقرير مصيرها ولا سيما حين لا يبقى للمرأة أي قدر من الحرية لرسم مصيرها لأن ظروف حياتها آنذاك تتحكم كلياً في مصيرها .

كان (( غي. دي. موباسان )) يرى الزواج مؤسسة اجتماعية تحميها الأعراف ، وتغطي حقيقتها قشرة من الزيف ، ويبدو الرجل من خلالها أكثر تمسكاً من المرأة بالثبات على العهد ، وحماية بيته من الإنحلال ، لكن تلك القاعدة ليست مضطردة في قصصه ، فهو كثيراً ما يفضح نذالة الرجل، أو يجعل الزوج والزوجة شريكين في الخيانة .

وغي. دي. موباسان .. لم يتزوج في حياته ليدرك معنى العلاقة الزوجية ، وشجعه على نظرته التشاؤمية تجاه المرأة علاقاته بنساء متزوجات

كن يخن أزواجهن ، فبالغ في شكه بمؤسسة الزواج ، وعدم الثقة بالمرأة ، فكان يطلب جسدها دون روحها ، ولم يعرف معنى الحب الحقيقي في حياته . لقد أحب (( إيفون )) الراقصة ، غير أنه كان يطلب جسدها في حين أنها كانت تعشقه عشقاً خالصاً ، وحين استنزفها أبت أن تتركه ، وفضلّت الموت قربه على أن تفارقه ، في حين تحوّل هو عنها إلى التعلق براقصة أخرى زميلة لها ، وقضت نحبها في المشفى ، وقبل موتها لبست أفخر الثياب وتزينت بأجمل ما تملك وهي تنتظر حبيبها (( موباسان )) . لكنه لم يأتِ .

ما من شك في أن خلاف والده مع أمه ، واضطراب حياته الأُسرية قد انعكس على نفسيته ، فسخط على العلاقة الزوجية وعزف عن الزواج ، لكنه كان في أعماقه يخشى الوحدة ، ويتمنى لو تؤانسه في بيته امرأة ترعاه بدل خادمه (( فرانسوا )) الذي كان يخدمه حتى ساعة وفاته ، وقد عبّر موباسان عن وساوسه في وحدته ورغبته الخفية في الزواج في قصة (( هو )) وفيها يصوّر هلوسات رجل عازب يرفض العلاقة الزوجية ويقول : [ إني ما زلت ذلك الرجل الذي ينظر الى اندماج ذكر وأنثى ، وارتباطهما برباط الزوجية الذي سنّ له الناس شتى القوانين .. بأنه تقليد سخيف مستهجن ، لأن تسعة رجال من كل عشرة قد خدعوا وغرّر بهم ، وعلى ذلك فهم ينالون ما يستحقون ، فسخفهم جنى عليهم ، وحمقهم جعلهم يتعثرون ويسقطون ويرسفون في قيود العبودية ، ... الحب يا صديقي هو النواة التي تنمو منها شجرة السعادة ، وهو أحلى وأغلى ما وُجد ، فمتى ارتبط الرجل بامرأة قصَّ أجنحة عاطفته وخياله . هذه الأجنحة التي تطير به ، وتحلّق بقلبه وحسّه في جو متسع فسيح وتقرّبه وتدنيه من جميع النساء . ]

على أن هذه الشخصية الرافضة للزواج والتي تعاني في وحدتها من الوساوس ، والرؤى الليلية ترى أخيراً أن لا مهرب من الزواج ، وكأن (( موباسان )) يتحدث عن نفسه في القصة ، فقد كان يخاف النوم وحيداً في غرفته ، ويؤثر أن يقضي لياليه ساهراً في الملاهي .

ومن النقّاد مَنْ عاب على (( موباسان )) نزعته التشاؤمية وموقفه السلبي من المرأة وتعريته المجتمع الفرنسي ، وإظهار قبحه بلون من المبالغة جاوزت الحقيقة والواقع ، بل بدت مبالغته في نقد الطبقة البورجوازية ، ونزعتها الوصولية ، وتحللها من القيم أمراً مبالغاً به ، كما جسدها في شخصية (( جورج دوروا بطل قصته (( خليل ظريف )) وهو رجل فظ ، غليظ القلب ، شرس الطباع ، أتاحت له وصوليته أن يسهم في حكم فرنسا، ويتصرف بأمور الشعب .. وقد عبّر (( موباسان )) في هذه القصة عن تشاؤمه ويأسه .. ذلك أنه ما يقول : لم يرَ في الحياة إلا البؤس والشقاء، والنفاق والذب والألم والبكاء ..

ولد موباسان بعد أن ابتلعت أمجاد نابليون وغروره القومي شعارات الثورة الفرنسية ، واستردت البورجوازية مواقعها ومصالحها عبر سنوات الحرب التي خاضها ذلك القائد الطموح ، ثم لم تلبث فرنسا أن أصيبت بنكسة الهزيمة القاسية التي أودت بذلك القائد المغامر ، ثم تتالت الهزائم التي مُني بها خلفه نابليون الثالث ، وترتب على ذلك نقمة شعبية ، نشأ في ظلها أدب مجدد ثائر على القديم وعلى النكسة التي سببتها الطبقة البورجوازية الطامحة التي كان بيدها زمام الشعب ، وقد تجلّت تلك الثورة في أعمال شاعر فرنسا العظيم (( فكتور هوغة )) الذي ندّد بالبؤس ، وطالب بفتح أبواب التعليم لأبناء الشعب ، وفي أعمال الكاتب الواقعي (( بلزاك )) الذي نقد الواقع الاجتماعي في قصصه نقداً مرّاً ، والكاتب (( غوستاف فلوبير )) الذي فضح قيم الطبقة البورجوازية من خلال قصة (( مدام بوفاري )) ،

وفي هذا الجو الأدبي ولد (( غي. دي. موباسان )) من أسرة تنتمي إلى تلك الطبقة ، لكنه آثر صداقة العمال والطلبة والفقراء والشعراء الذين كان يحلمون بهدم أركان المجتمع القديم ، وإعادة تشييد بناء على أسس مبادىء الثورة الفرنسية وقيمها .

وموباسان يرى في المرأة مخلوقاً عاطفياً .. يقول بلسان بطلة قصة (( الحاجب )) : [ نحن النساء ضعيفات الإرادة ، سرعان ما تحطمنا الصدمات وتتركنا أشلاء ممزقة .. ونحن النساء عندما تسقط إحدانا تتردى بسرعة البرق ، وتستمر في السقوط ، حتى يصل بها فسقها ودعارتها إلى الدرك الأسفل . ] وقد وفّر الزوج الكولونيل لهذه المرأة كل ما تطلب من أحلام السعادة بعدما مات والدها ، غير أنها ارتمت في أحضان عشيق كان ضابطا تحت إمرة الزوج ، بتدبير من حاجبها فيليب الذي استغل علاقتها بالضابط . فأرغمها على مواصلته مقابل تستره على علاقتها بالعشيق الضابط ، وهكذا تجد نفسها بين ذئبين ينهشان جسدها ، فتؤثر الانتحار غرقاً في البحر ذاته الذي سبحت فوقه وصولاً إلى عشيقها الضابط ، وموباسان تهزّه الخيانة الزوجية ، فلا يتوانى من تصويرها في قصصه ، وإذا كانت بطلة قصة (( الحاجب )) من نمط المرأة الخائنة التي ما تزال تحتفظ بفضلة من شرف وضمير ، فإن بطلة قصته (( الجواهر الزائفة )) مثال للمرأة الخائنة التي تحسن تمويه خيانتها بالكذب ، فقد أحسنت تمثيل دور العفة ، وخدعت زوجها طوال حياتها ، تعرفها (( لانتن )) زوجها في ناد للرقص ، وكانت غادة ناعمة غضة الصبا بارعة الجمال ، وكان هو مستخدماً بسيطاً ، فوفرت له كل أسباب السعادة ، ثم لاحظ اهتمامها البالغ بالملابس والجواهر التي كانت تزعم أنها زائفة ، كما لاحظ خروجها من البيت بحجة شغفها بالمسرح ، ثم عادت ذات مساء ثلجي تجرّ قدميها ، وقد انتابتها نوبة من

السعال والحمى ماتت على أثرها ، فبكاها الزوج بكاءً صادقاً ، واضطربت أحواله المالية ، ففكر أن يبيع عقداً من عقودها الزائفة بفرنكات قليلة ..وكم كانت دهشته مثيرة حين دفع له البائع خمسة عشر ألف فرنك ، واتضح له أن جواهر زوجته الزائفة لم تكن إلا لآلىء حقيقية تقاضتها هدايا من الموسرين الذين كانت تبيع جسدها لهم ، واستطاعت أن تخفي حقيقتها عن زوجها المخدوع . وإذا كانت بطلة قصة (( الجواهر الزائفة )) تبيع جسدها بالمال ، فإن بطلة قصة (( الموسوم )) تبيع جسدها لترضي زوجها المصاب بعقدة العظمة والذي كان يطمح أن يعلق على صدره وسام النبلاء البرّاق ، وقد جهد للحصول عليه ، فبحث ودرس وألف ، لكن الآخرين كانوا ينعمون بالأوسمة دون جهد ، وأدركت الزوجة بحسّها عقدة زوجها ، وتمكنت من حلّها بأيسر السبل ، فقد أسلمت جسدها (( لروسالين )) الذي أنعمت عليه الدولة بوسام جوقة الشرف ، وحين ضبط زوجها سترته في مخدع زوجته ، تخلصت بدهاء ، وأفهمته أن هذه السترة اشترتها خصيصاً له ليلبسها بمناسبة الإنعام عليه بوسام جوقة الشرف .. فطار الزوج المخدوع فرحاً بالوصول إلى أمنيته ، ولم يدرك أن السترة كانت (( لروسالين )) أو من سينعم على الزوج بالوسام ، وموباسان في هذه القصة يندد بالفساد الحكومي ، مثلما يكشف دهاء المرأة ونزعتها الوصولية .

وفي قصته (( الإشارة )) يصور (( موباسان )) الأخلاق لدى النساء النبيلات ورغبتهن في تجديد حياتهن بالمغامرات ، فالسيدة البارونة ترقب من نافذة قصرها بيتاً مجاوراً تسكنه امرأة من بنات الهوى ، وتلاحظ كيف تصيد زبائنها بإشارة من يدها وإيماءة من رأسها ، ويستجيبون لها بسهولة ويسر ، وتحاول البارونة أن تحذو حذو المرأة الساقطة ، وتحفزها الشهوة للتجربة ، لأن النساء كما يقول موباسان في القصة . [ تمتّ أرواحهن بصلة وثيقة إلى أرواح القردة ، وأن عقل القرد كما يقول أحد الأطباء يشبه عقل

المرأة ، فالشبه بينهما في الفكر والعمل يجعل المرأة تكلف بالمحاكاة ، وتقليد هيئة غيرها وفعله وقوله فهي تحاكي زوجها في بداية الزواج ، لأن هيامها به لم يخمد بعد ، ثم تحاكي عشيقها بعد أن تزهد بزوجها ، وتحاكي صديقاتها ومَنْ تُعجب بهم من سائر الناس . ]

وتبادل البارونة المارة من الرجال الابتسام ، فيدلف أحدهم إلى قصرها ويهم بها ، فتحاول أن تصرفه لكنه يدفعها إلى الداخل ، ويعدها بأجر مضاعف ، وتخشى الفضيحة وعودة زوجها ، أو عودة الرجل الذي أفسدها ثانية ، فتذهب الى المركيزة ( دي ـ نيدون ) تستشيرها مبدية خشيتها من أن يعود الرجل الى القصر .. فيفضحها ، وتبتسم المركيزة ، وتنصحها أن تشكو أمره للشرطة .. ثم تعلق قائلة :

[ تحرري يا عزيزتي من الشفقة ، وانزعي الرحمة من قلبك ، واعلمي أن يخلق بنا في مثل هذه الحالة التي يتوقف عليها مصيرنا أن نتذرع بالشدة والقسوة ، أما المال الذي أعطاك إياه ، فاشتري به هدية صغيرة قدميها لزوجك رمزاً للتوبة وتكفيراً عما فعلت .. ]

إن بعض قصص (( موباسان )) التي تبدو قريبة من الواقع تختلط أحياناً بقصص أخرى ، جمعها (( موباسان )) مما كان يسمعه من حكايات شعبية تبتعد عن الواقع ويبرز فيها الخيال الشعبي ، وتفصح عن نظرة الناس المتشككة وغير الواثقة بالمرأة عبر العصور .

ففي قصة (( خدعة )) تزور (( ليليفر )) المرأة الفاتنة الجميلة التي سكبها الخالق في قالب من السحر .. تزور طبيبها الكهل ، وهي زوجة تاجر موسر ، فتعلمه أن عشيقها مات بين يديها ، وهي تلجأ إليه ليدرأ عنها الفضيحة ، فيذهب معها ، فيلبسه الطبيب لباسه ، وتعكف المرأة العاشقة على وجهه وشفتيه لثماً وشماً ، وينحيها الطبيب ..

ويدخل الزوج فجأة ، فيخبره الطبيب أنه جاء لزيارته مع صديقه هذا، لكن صديقه أغمي عليه وسينقله إلى المشفى ، ثم يحمله إلى أسرته ، وبذلك استطاع أن يجنب السيدة الفضيحة ، ويقص الطبيب هذه القصة بعد زمن لسيدة نبيلة أخرى ، بدا أنها سئمت زوجها مثل (( ليليفر )) ويقول لها: (( ربما احتجت الى طبيب مجرب فأنا رهن إشارتك .. ))

فالقصة كما نلاحظ بعيدة عن الواقع ، استلهمها الكاتب من حكايات الناس في المقاهي عن غدر النساء ، وهي أقرب في خيالها الى قصص ألف ليلة وليلة ، ومؤامرات الحريم .

وقد يلتمس (( موباسان )) عذراً للمرأة في خيانتها ومكرها ، لكنه عذر مبطن بالسخرية ، فالسيدة (( جوني روبير )) في قصة (( ضوء القمر)) تنتظر أختها العائدة من السفر مع زوجها بفارغ الصبر ، ويحين موعد وصولهما ، لكنهما يتأخران ، فيصيبها القلق ، ثم تدخل أختها وقد وخطها المشيب وبان عليها الإرهاق والتعب وهي بعد فتية دون الرابعة والعشرين ، فتسألها الأخت عن همومها .. فتعلمها أنها ظلت وفيّة لزوجها مع أنه يتصف بالبرود والجمود حتى أنه أحجم عن تقبيلها حين طلبت منه ذلك في موقف رومانسي طلع فيه القمر ، فانعكس نوره على الغدران والجداول ، فآلمها ذلك وخرجت الى الشاطىء وهي تتحسر لأن الله ابتلاها برجل جامد لا يقيم لمشاعر الحب وزناً ، وأثناء سيرها تبعها شاب كان يلاحقها منذ زمن ، فاستجابت لنداء القلب وهتاف العاطفة والمشاعر ، وهي نادمة على ما فعلت ، فتقول لها الأخت :

[ حسبك ندماً يا أختاه ، وثقي بأننا معشر النساء تمر علينا فترات لا نحب فيها الرجل لذاته ، وانما نحبه من أجل الحب ، بل نحب الحب بالذات، واعلمي أن عشيقك الحقيقي الذي شغفك حبه في تلك اللحظة كان ضوء

القمر . ]و لم تكن (( فينوس )) زوجة الفقيه اليهودي الذائع الصيت في قصة: (( فينوس مدينة برانيزا )) لتختلف عن (( هنرييت )) بطلة القصة السابقة، فإن زوجها رجل الدين .. كان منصرفاً عنها إلى قراءة التلمود والتبشير بهبوط (( المسيا بن داوود )) المنتظر ، مع أن زوجته كما يقول موباسان (( تهيج البلابل على الأغصان ، وتصلي بجمالها قلوب الشبان . )) وهي تتبرم من انصراف زوجها عنها إلى مطالعاته الدينية ، فتلتفت إليه وهو غارق في تلموده .. فتسأله : هلاّ أخبرتني عن (( المسيا )) المنتظر .. ؟؟ ومتى موعد مجيئه ؟؟

فيجيبها : لا شك بأنه سوف يأتي ، إمّا عندما يتخلص الشعب اليهودي من قبح أعماله ، وإما ساعة تتغلب نزعة الشر على طبيعته .

ثم يعود الفقيه إلى بيته مساءً ، فيلاحظ جندياً بباب منزله ، فيسأله عن سبب وجوده ، فيقول له : إنني أنتظر سيدي الضابط ، وقد كلفني أن أحرس الطريق ، وأترصّد زوج اليهودية الحسناء ، فيدخل بيته من باب الحديقة الخلفي ، وتعثر قدمه بمهماز الضابط في الحديقة ، ويرى زوجته الحسناء مضرجة الوجه ، تضطرم شفتاها بالشهوة . فيسألها : ويحك .. من كان هنا .. أمو ضابط الحرس ؟؟

فتجيبه ببرود : و لمَ الغضب، ؟؟ رأيت أنْ أنحرف عن الجادة وأسعى إلى المعصية معاضدة لقومي كي يأتي (( ماسيا )) المنتظر بسرعة ، فينقذنا نحن اليهود المساكين .

ولا يخفى أن القصة من القصص الشعبية التي كان يتداولها العامة ، حاول (( موباسان )) أن يخرجها بأسلوب فني ، ليسخر من رجال الدين وممارساتهم الزوجية ، ويشير إلى رخص المرأة اليهودية ، وكان (( موباسان)) قليل التدين ، بل انه يلتمس للزوجة عذراً إذ يقول [ إن هذه

الحسناء ما خُلقت إلا لتصير عملاً خالداً لريشة رسام عظيم لإزميل مثّال مبدع . ] وكأنه يحمّل رجل الدين مسؤولية سجنها بين أربعة جدران ، وانصرافه عنها الى كتبه .

والمرأة عند غي. دي. موباسان هاجس للرجل ، حتى إنه ليعشقها ولو كانت صورة من الماضي السحيق ، ففي قصة (( جنون الحب )) يعرض موباسان مذكرات رجل مجنون يتحدث فيها عن عشقه لمرأة ماتت منذ زمن بعيد ، وأحبها من خلال ساعة أثرية كانت لها ، وزاد هيامه بها حين فتح الساعة ليجد فيها خبأ سرياً فيه ضفائر ذهبية اللون من الشعر ، تعبق بالطيب ، وقد دفعه هوسه بالمرأة وشعرها الى الجنون .

على أن عدم ثقة (( موباسان )) بالمرأة لم تكن مطلقة ، فإلى جانب المرأة الشيطان عنده ، تعثر في قصصه على المرأة الملاك التي يعمر قلبها بالأمومة والنبل ، فهو يدافع بحرارة عن بنات الهوى اللواتي دفعتهن الظروف الى احتراف البغاء والدعارة ، ويعجب بعظمة النساء المضحيات بأنفسهن خدمة للوطن أو دفاعاً عن الأمومة ، ومن نماذج تلك النساء ((الأم كلوشيت )) التي ضحت بنفسها لتنقذ حبيبها المدرس من الفضيحة ، يوم ضبطهما المدير في غرفتها ، فرمت بنفسها من النافذة فتحطم جسدها ، غير أن ذلك الحبيب الجبان تخلّى عنها ، فظلت وفية للحب ، وآلت على نفسها ألا تتزوج احتقاراً للرجال .

ويصفها (( موباسان )) بلسان الطبيب الذي روى قصتها في مصاف الأبطال المخلدين ، وكذلك أرملة (( باولو سفريني )) بطلة قصة (( الثأر )) التي قتل أحد الرجال الأشرار ابنها ، فعزمت على الانتقام ، وظلت سنوات تدرّب كلبها وتضع له اللحم في جوف دمية بشرية صنعتها من القماش والتبن ، فينطلق الكلب كالسهم ليمزقها مستخرجاً منها اللحم بعدما

كانت تجيعه ، فلما حدّدت لحظة الإنتقام ، قادته الى حيث غريمها (( نيكولاوس )) فانطلق الكلب يمزقه إرباً إرباً ، وهي سعيدة إذ نالت ثأر ولدها ، ولما كانت حددث القصة قد جردت (( سردينيا (( فمن المرجح أن الكاتب استمدها من أقاصيص البحارة الشعبية ..

وغي. دي. موباسان في تصويره للمرأة متأثر بشخص أمه التي أحبها، فهو يروي في قصة (( المقهى )) اضطهاد الأب للأم ، وضربه إياها لأنها رفضت منحه المال الذي يبدده على معشوقاته وملذاته ، مدافعة عن حق ولدها في التعلم والحياة .

وفي قصة (( تاريخ فتاة )) يدافع (( موباسان )) عن الفتاة المومس التي لم تتخيّر حياتها ، وإنما دُفعت للرذيلة دفعا ، فقد نشأت يتيمة الأبوين ، ولما بلغت من العمر أشده ، خدمت في منزل شاب غني ، فأغواها سيدها الشاب ثم تخلى عنها بعد أن نال مأربه منها ، وطرحها في الشارع ، فتقاذفتها أكف الرجال المفترسة مقابل طعامها .

ويختم (( موباسان )) القصة قائلاً : [ فبكيت لها ، ومددت يدي الى جيبي ، فأخرجت ما وسعت يدي وأعطيته لها ، وفارقت الفتاة وأنا أبكيها، ونبا بي مضجعي طوال الليل لذكرها ، وأصبحت منذ ذلك الحين أرحم المرأة وأمقت الرجل . ] وفي مثل تلك الظروف التي كانت تعاني منها المرأة كان من البدهي أن تتسلح النساء بالمكر والدهاء والخديعة، ترى .. هل كانت قصص (( موباسان )) دعوة صادقة لتحرير المرأة من قيودها في ظل مجتمع رأسمالي ينظر اليها على أنها سلعة تُباع وتشرى .. ؟؟ وعلى أنها منهل لذة قبل أن تكون مخلوقة كريمة ، ان صحّ ذلك فإن الأسلحة التي تسلحت بها المرأة لتدافع عن نفسها عبر العصور ، والتي وصفها ((موباسان)) بالمكر والدهاء والخيانة وجعلت المرأة تبدو في قصصه

مخلوقاً قوياً تفوق قوة الرجل الذي يمارس سيادته عليها هي أسلحة مسوّغة توجهها النساء للرجل المستبد المغرور انتقاماً من سيادته على المرأة ، ووراء ذلك الغدر كله جوهر حقيقي من الصفاء والنبل تحتفظ به لأنها مخلوق مرهف الحسّ ، دافق المشاعر ، تؤمن بالحب والعطاء ، لكن الظلم الواقع عليها شوّه سلوكها فهابها الرجل واحتقرها .

وإذا كان (( موباسان )) في حياته ، قد مارس لعبة الرجل القاسية على المرأة ، فاتخذ جسدها متعة له ، ولم ينفذ إلى روحها ، إلا أنه يحتفظ في تكوينه بطبع أنثوي ، ويطيب له أن يلبس في مقالبه زيّ امرأة ، فيتنكر بثياب النساء ، كما صوّر ذلك الميل عنده إلى تقمص شخصية المرأة في عدد من قصصه ، موضحاً طموح المرأة إلى أن تكون نداً للرجل ، وميل الرجل إلى أن يمارس عنصر الأنوثة فيه ، ففي إهاب كل رجل وامرأة يجتمع عنصرا الأنوثة والرجولة ويطغى أحدهما على الآخر ، ومنهما تتكون لعبة الغالب والمغلوب في علاقة الرجل بالمرأة ..

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

=====**=====

# البحر المحظور

للشاعرة البلغارية بلاغا ديمتروفا

ترجمة : ميخائيل عيد

عن مجلة ( المعاصر ) البلغارية العدد رقم ٤

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

- ١ -

بحر - هواء أزرق ،
أفق منكشف
شمس مالحة
نظرة -
نهاية اللانهاية
تحمله لي في حفنةٍ
يدُ الأب أولاً ،
ثم اليد الأخرى

الكريمة مثلها تقريباً

... ... ... ...

بحر - حيازة ضخمة

لحظة - كاملاً كان لي .

ونظرة أخرى ،

ولا وجود له .

أكرر في إيقاع لا يستكين ،

بح - بحر ، لا يقاس

وقت ، بناء عالم

ينسحب البحر مني ،

تبقى كلمتي -

بحراً ساخناً .

- ٢ -

أرمي كلماتي

كي تعبر الحظر

بيني وبين البحر ،

بين الحياة وبيني ،

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

من غير كلمات أكون كأنني من غير يدين -
لا أستطيع أن ألمس أي يدين ،
إذا قطعوا كلماتي ،

- ٣ -

الريح تحمل البحر إلى شفتيك .
وإذا تهم برشفة منعشة -
تُبعد الكأس .
يترك العطش شقوق لفح على جلدك .
أنت رمل لا تصل إليه الأمواج ،
بأيقاع سعال الربو .
تستطيع أن تغوص قدر ما تريد ،
تستطيع أن تسبح حتى عتبة السماء
بالنظر وحده .
تنظر إلى خط الشاطىء المبلل -
هذه الحافة الباردة للكأس التي
لن تلمسها .
وكمن اجريت له عملية فراح يهذي أول ليلة

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

مستنفذا كل الصنابير والينابيع
التي شرب منها الماء
ترزح أنت تحت تأثير النسيم المخدر
تغوص في كل الأمواج الغابرة
بذاكرة الجلد العارية .
تمسك البحر كله بيديك .
تجري هذه الانفعالات كلها عبر مسافاتك .
كلها . الا تكفيك ؟

- ٤ -

استلقينا على الرمل ـ
حبتي رمل ،
تنسكب الواحدة في الأخرى ،
تلفحهما الشمس .
اثنتان ـ واحدة متوحدة .
ثانية تجري
في ساعة الأبدية
الرملية .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

- ٥ -

طيف حب

منكسر في الذاكرة -

طحلب لا جذر له

منجذب من بعيد

بتيار ما دافىء

كم من تكيفات مع الظروف

كم من دورانات

أي صراع مع أنفسنا

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

مك مغامرة ومجازفة

في سبيل لقاء واحد .

البحر قريب أمامنا

ينبثق من ذاته .

حولنا المستجمعون ،

على خلفية تغلي - من بقايا زعيق .

وحدنا هادئان -

وسط عماء الجزيرة الصغيرة

الساكنة حتى الوهم .
على الرغم من الواقع
على الرغم من بطاقات العودة
على الرغم من غلٍ .

- ٦ -

حين تعلمت السباحة
خرج البحر كله مالحاً
من أنفي
حين ألفت أن أستسلم له
عبر في البحر كله
عبوراً موّقعاً .
الآن ، إذ هو بعيد عني
أمتص من لثتي الجافة
لعاب البحر .
ياتهم ملح الذكريات
الجسد ، الذي ما كان ينبغي
أن يحب أكثر

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

- ٧ -

في الصيف الماضي ، حين مضيت
في وقت متأخر ظهراً إلى المظلات المطوية
مثل أشرعة قارب مهجور
ناداني البحر بصوتٍ داخلي خفي ..
ومع أنني كنت وحيدة على المسبح المقفر
وبقلب لقلقٍ قلقٍ أبقيَ وحيداً
عدتُ كي أغطس مرة أخرى

... ... ...

كي أذوب بكليتي مثل قطعة ملح
في الكف ذات التلال التي تؤرجح حياتي
كي أنحني في الموج ، كي أصير بحراً
وكم جهدت ، من ثم ، كي أتخلص
من الموجة التي لا تنتهي
لأعود إلى ثقالة الجسد ،
كي أغرز خطا في الرمل مثل مجذافين .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

## □ البحر المحظـور □

أيها البحر ، أيها البحر ! لماذا لم تقل لي
حينئذ بمزيد من الوضوح
بلوعة الفراق ، أنني سأذهب منك إلى الأبد ؟
كيف نسيت لغة أمي ،
كل الوئامات الهامسة والأصوات المغنية ،
كل الفواصل والنبرات كثيرة المعاني ؟
كيف لا أستطيع اليوم أن أستوعب صوتك
المفعم بالرموز المرة والمالحة ؟

... ... ... ...

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ألهمتني ، ولا ريب ، حقيقة بسيطة
وما زلت لا أريد أن أفهم :
أولاً ، تركتك باللمس ،
ثم سأتركك بالنظر
وأخيراً ، سأتركك بالذاكرة
إلى أن أتركك تماماً ..

... ... ... ...

أما أنت فسوف تبقى ترش النسيان .

- ٨ -

العمياء تعاشر البحر
أكثر منا جميعاً .
قادوها إلى الشاطىء
وتركوها وحدها مع البحر .
أدارت وجهها نحو صوته الأزرق
وبابتسامة
غرقت في التفكير .
خطوط كفافه الراكضة في الرمل -
مرتسمة بصراخ الطفولة ...
اللانهاية - مقاسة بفتحة الأنف .
وعلى أهدابها يرتعش البحر
مثل دمعة .
وبأصابعه الرطبة يقرأ الأفق
رسَمَته الخاصة
على وجهها .

- ٩ -

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

## □ البحر المحظـور □

أعدّني البحر منذ زمان بعيد
لهذا الضياع
وما زلت لا أفهمه .
انفرج باب واسعاً
على الأبد .
أمواج تتقدم وتتراجع
مع ظهور فيلة بحر كسالى
تكاد تكون متماثلة
ما عدا تلك التي
ترفع رأسها فجـاءة
كي تشد البحر إلى الأعلى ،
مختلطة بالزبد ...
الرمل موهن ..
الشمس ترخي مفرشها
كي تصيد البحر مثل سمكة
مرمية على اليابسة
تضرب بذيلها .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الأفق ـ قيد يلمع
معطياً وهم الحرية .
الصيف يخدرني على مهل
بلا مبالاته الزرقاء
كي أحتمل من غير مشقة :
الخبر .
لقد سقط على الشاطىء عمودياً
لا كعاصفة من سماء صافية
لا كثلج في الصيف ،
بل ببساطة كخبر موته .
وجه قبالة وجه مت ترهة .

وقال لي عند الذهاب :
(( سنلتقي حتى الخريف ))
وبدا لي ذلك بعيداً
فكأنني أحسست
أنني لن أنتظر ،

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

(( حتى الخريف )) هذه .
رأيت بنظر لايريم
كيف يرمي البحر
الأيام الغرقى ، السنين ،
فصول الصيف والخريف ،
فصول الخريف التي انتُظِرتْ .
الهاوية التي انفغرت فيَّ
أكثر خواء ، أكثر فراغاً
من الهاوية التي أمامي .
تحطم التوازن
في العـالم
إلى الأبـد .

- ١٠ -

الليلة ، يذّكر البحر بالاجتياح
الذي جاء منه ذات حين .
أضاع الأفق صداه وسط الضجيج .
الأحلام ممزقة بالصواعق .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ها هوذا المهد
الذي انحدرنا منه .
حدة وتصادمات عناصر
فمن أين يأتي هذا الحنين ؟
ولماذا وقد جئنا من العماء ،
تشتاق أرواحنا إلى السكينة ؟

- ١١ -

صخب الأمواج يرتمي ، يرمي
شظايا من إيجاراتي القصية .
وأنا يحملني الأرق
مثل من تحطم قاربه تمسكني
هذه المحارت المهمشة
عسى أن أصل إلى منام .
القمر من وراء الغيمة
يكاد يعرّي كتفه الخلاسي .
الحديقة غارقة في الظلال
مع عطر المطر المورق .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

والأغرب فيما لقيت ، ناطور في المدار
ديبلوماسي بوجنتي بحّار مسفوعتين
وصوت فيه آثار احتراق شاعر
وقد حكى لي عن هذه الأرض المجلوبة ،
وكأنه يقشر لي قشرها
ويقدمها لي ، شريحة ، شريحة ،
ريا ولها مذاق المانغو .
وتماماً عند طرف الكرة الآخر ينتظر في قمر منزّه
تحت الماء وفوق الجبل
رجل له عينان مثل ثلمتين
مسنونتان على مسن همجية القرن ،
يُظهر أمامي بأصابع قصبية
ستارة الدغل الثقيلة الصمغية
ثم يقودني إلى بلاده ،
شارحاً لي ، والأمر لا يُشرح ،
كيف تحيل بكاءها إلى ابتسامة .
أصغيت اليه صامتة

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وتحولت ابتسامتي إلى بكاء .

... ... ... ...

وقفزة - إلى مدينة على بحر الشمال
حيث لم أعرف أحداً
أما المدينة فقد قادتني إلى ذاتها ،
بشوارعها الطويلة والفاتنة
مثل حديث مع صديق
نكون نحن من اقترحه
ثم لن نلتقي أبداً ..

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

صخب الأمواج يرتمي ، يرمي
شظايا من إبحاراتي القصية
التي كدت أنساها .
استلها الآن وأشربها ،
بعطش طويل عبر قشة ،
مثل نوم غير مشبع .

- ١٢ -

## □ البحر المحظـور □

على أية خطايا ،
عبر حياة محدودة ،
نعاقب بعطش تانتال
في جحيمنا الأرضي هذا ؟
فما دامت الشمس والحب والبحر
تؤرجحنا في شبكة عنكبوتية من الضوء،
فسوف تثيرنا ، أبداً ، البحار البعيدة
والشموس البعيدة والحب .
وفجاءة إذ نضيّع القرب
فكأنهم يسلخون جلدنا
وكأن شفاهنا تتشقق
بجرعة من حياة مقتطفة .
الآن عرفت ، يجب أن أحتمل
عقوبتي حتى النهاية :
صيف واحد : قرن كامل من الأبدية
تحت رشاشك المغري ، أيها البحر .

- ١٣ -

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ماذا خطر له فجاءة ؟
غرز رأسي تحت الماء
وأمر : انظري !
فتحت جفني بجهد ،
رفعت اليهما البحر
ورأيت ـ امتلاء فارغ .
دخل البحر عينيَّ
ذرفت دموعاً ضخمة
حادةَ الملوحة
وبكيت بحراً كاملاً ..
أما هو فيمسك رأسي
ويُلّح : انظري !
ونظرت مضطرة
كعمياء بعد العملية
وقد أُميط الضماد .
علم لدن يعج
بألوان وقوافٍ مغسولة

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وانفعالات مترسبة .
مستغرق في شؤونه
ذاهل في علم جماله
مستقل عن الأعلى .
حتى الشمس في القاع ،
كانت شمساً تحتمائية
منكسرة على الأمواج .
أحدّقُ إلى الدموع العجيبة
أرى من غير نفس عالماً تحتي
غير أرضي ، عميقاً بذاته .
وما كنت أعلم
أنه تكوّن
على الرغم من عماي .

- ١٤ -

كلمات ، طويلاً أُعمِّقُ الكلمات
لكأنني مشيت على صخور عمودية
كي أصل إلى البحر

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الذي يرغي على بعد بوصة مني .
مهما تتنفس بالكلمات
مهما تتسلق على درجاتها
مهما تتعثر ، تسقط
وتنهض مثخناً بجراح من كلمات
فلن تصل إلى البحر
الذي يرغي على بعد بوصة منك .

- ١٥ -

أريد أن أشد طفلاً من يده
من غير أن أفصله عن اللعب مع البحر ،
كي أنسّل في وهلة بين موجتين ،
لأدير سمعه إلى كلام
الماء والريح ،
لكنه على الفور يداور ، يدفعني - انتظري .
ويرتمي برعونة في حضن الموجة الزيتي
وما يزال أصم لهذا الشمع الأبيض صوت البحر
الذي يدعوه الأكبر سناً فالأكبر

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وصايا الحكمة ..
عبثاً ستكون حكمي اللطيفة
عبثاً شربت البحر المر حتى الثمالة
عبثاً غزلت تجربتي مع الأيام في عدد
ما دمت لا أستطيع أن أقدمها حتى لابنتي .
حياة غريبة ، ألا تسند في الجوهر
عدم قابلية تلّقي تجربتنا
كي يبدأ كل واحد من جديد
مع براءة الطفولة ،
وكي يعود إلى الوراء نحو أمه
التي توقفه ؟

- ١٦ -

يوجعني البحر -
الحقيقي ،
مفتول العضلات ، القوي ،
الذي تركته مراراً
من أجل بحر الكلمات المخترع .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

أحدهما ، الطروب ،

يشدني

إلى ضوء الشمس المُعرّي

والثاني يبقيني

تحت عين المصباح

المراقبة .

الآن أنسبك مع الرمل

ويخيّل إليَّ

أنني أسمع

ضحك الأمواج الانتقامي .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

- ١٧ -

مرمية من حلمي

استيقظت على هذا الشاطىء

لاقيت نظرة البحر

بلون كرم مبعثر .

قربي يسبح كتف رجل

مثل كثيب دافىء

أسندت اليه خدي
كي أطبع صورتي
في رمل الجلد الطري .
وغار في حلمي رجل آخر
ملاحقاً تكراراً
بترافق
الزمن والمسافة .
نبض البحر المتناسق
أرجحني من كتف إلى كتف
كما لو بين شطين رمليين -
أحدهما يظهر هنا ،
الآخر في الحلم هناك .
وأنا بين الاثنين
فوق الهـاوية .

- ١٨ -

أسير في خطـا
الأمواج الحـافية

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

تماماً على الحد المتلوي
بين الماء واليابسة
هذا الثلم يمر عبري ويقسمني نصفين
ينسكب الواحد منهما في الآخر .
ملتصقة أنا بالأرض
بلعاب البحر المالح .
أبقى مزدوجة
لا أستطيع الانقسام إلى اثنين :
الصلابة والدموع

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

- ١٩ -

وهكذا لم أتعلّم العيش
ببساطة الطيور الربانية
الفاتنة .
فهل سيكون ثمة وقت
كي أتعلم كيف أموت
كما تموت الطيور ؟

... ... ... ...

أتملى باهتمام
وجوه أمواتي
اللامعة في التراب .

خسروا المعركة التي عرفوها خاسرة
منذ البداية .
وحافظوا على الصورة -
المتفردة التي لم تبعد عنهم الموت .

... ... ... ...

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ألمس عمى الحجر
الذي ما زال يدفأ
بشريان نابض .

اعطوني فكرتكم الأخيرة ، أيها المتوحدون ،
المتروكون من الأحياء ،
حين تنكبتم الدرب
أعرف : في ساعة سفري
لن أكون متروكة ، منكم ،
من الأموات ،

ستتلفت روحي إلى
ظلال الطيور الرخية
التي ترافقها بهدوء .

- ٢٠ -

اكتشف مغزى الفقدان .
كم كنت فقيرة حين ملكت كل شيء .
لعبت بالحب ،
رميته ثم التقطته في الهواء ،
تركته ، لكنه غفر لي .
خرجت راكضة إلى الشاطىء ،
منفتحة على اللانهاية ..
ارتدتني ريح الشمس
وارتشفت القطرات على جلدي بشغاه حارة .

مكتفية من البحر
استلقيت كأنما وسط صحراء رملية
وأمام أجفاني المغمضة

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

تدور دوائر خضر من غير مغزى .
يكاد الربح يكون أنني خسرت كل شيء .
يعذبني الآن العطش
عطش العنصر
الذي يجتذبني
من ذلك المحرق
بشيء من مدى قطعة من الحواس
بشيء لا يوجد في أي مكان .
ويقارب الخلاص كوني زلت
من مكونات العالم الأكثر عادية
من أجل أن أحسها وأن أنتسب
بالألم إلى غبطة المصير .
اكتشف مغزى الزوال القاسي .
اهوّم في ظل ما بعد الظهر المُتعَب
وتعود روحي إلى المدينة التي ولدت فيها
مدعوة اليها بصوت أمي .
افتح دفتر الطفولة الأزرق

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

كشرخ خفي في حاجز
وأنسل عبر كروم وبيوت متعرجة .
المشهد مرتسم كأنما بيد طفل :
فوق سقف البيت يمر حصان ،
ويمتزج عرفه بدخان المدخنة .
يمتطي الحصانَ بيتٌ وسرادق
تنمو فوق قرميدها شجرة
فوق الشجرة ـ بيت آخر يشبه العش .
ينتصب لقلق على رجل واحدة فوق المدخنة
فوق منقار اللقلق ـ بيت آخر بسرادق على سطحه قطة لها خطوة سائر في نومه.
وهكذا حتى السماء يقوم سرادق فوق سرادق
كأنه غسيل العيد بنيلة قوية
والمؤكد أن أمي قد هرمت .
إنهم يسيرون ، جنود صامويل العمي
وإذ ننشدُّ صيفاً إلى الشاطىء الكسول
متعرين من تاريخنا

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

## البحر المحظـور

غاسلين في البحر بقع الدم من ذاكرتنا
مغرقين في القاع مثل مرساة ،
ظلال القيود الصدئة ،
وحين ننسى تماماً ،
من أين جئنا ، أو ما إذا جئنا .
يسيرون عمياً ، جنود صامويل ،
عبر أكوام ثلج القرون العميقة
يسيرون دائماً وسط ضحكنا الذي
نخفي به مخاوفنا ،
يسيرون عبر نومنا حتى الشروق
قبل أن نمضي على الدرب .
يسيرون ويصرون على أن يفتحوا عيوننا ،
كي نبصر في محاجرهم السوداء الفارغة
مصيرنا الخاص في ذواتنا :
كتف إلى جانب كتفك : هل تصدقه ؟
صوت قرب أذنك : أليس صوت خائن !
خطوة قرب خطوتك : أتعرف إلى أين ؟

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

- ٢٣ -

لم نكن ، قط ، معاً كما نحن الآن ،
في صيف الفراق هذا ،
الذي نرفض أن ندعوه (( الأخير )) .
كل منا يبتسم للآخر ،
كل منا يخفي صمته عن الآخر
وكلانا نستمع إلى الريح القادمة ذاتها .
ريح من لا مكان وإلى لا مكان هي التي تقسرنا
على أن نشد ، خرافياً ، دفئاً إلى دفء
وأن نجدل أصابعنا في عقدة بخار .
أيها السكون ، حين توقف النَفَس فوقنا ،
تحمل لنا تلك اللحظة الوجيزة اللانهاية ،
وكأن البحر اللطيف يملؤنا من الداخل .
فإلى توقف جديد أقصر للريح
وكأنما قد سخطت لحظة خاطفة .
وإذ نكون معاً أكثر نكون اثنين أكثر .

- ٢٤ -

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

## □ البحر المحظـور □

اشتريت في صيف واحد
آلاماً تطاق وأخرى لا تطاق
ما الذي يهمني
وأنا استلقي على الرمل ؟
وبأهداب مغمضة
اقطع شعرة الشعاع .
ضيعت حركاتي الخاصة
أغور في الأرض مثل حجر ،
وأتلقى دورانها
حول نفسها وحول الشمس .
أفتح عينيَّ من غير أن أتحرك ،
أرتمي في أول موجة .
أحسد الغارقين في البحر ـ
أنا الكلمة الغريقة في اليابسة .
أما البحر فيشد الشراع الضخم ،
يرسم بألوان مائية لوحات شتى
مجردة ، منعمة بالحركة

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ويبدل لوّن عينيَّ .
طويل جداً وقصير جداً هو الصيف
الذي يمضي من غير أن يقود صيفاً آخر .
وهناك عند شفتي الأفق المطبقتين ،
يمتزج الشك والأمل في قبلة .

- ٢٥ -

أحاور الموتى أكثر ما أحاور -
لأن الأحياء يهربون
من الكلام على الأمر الأهم .
أما الموتى فلا يخافون الموت .
يشرحونه لي بصوت هادىء
تماماً ، كما أوضح لي أبي بلسان طفل
على هذا الشاطىء ،
أن مياه البحر في مرجل لا غطاء له
تتبخر وتتحول إلى غيوم .
ويكلمونني بخطاب أفهمه
في المنام ، والحلس ، والأحوال .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

لا يلتبسون عليَّ إلا في أمرٍ ،

وهو جوهري عندي :

في لحظة ، وكما لو أنني قطرة من بحر ،

أتبخر وأتحول إلى شيء آخر

في اللحظة ذاتها كي التقيهم ،

في آخر زاوية صغيرة من الذاكرة

في الومضة الأخيرة من المنام ،

آخ لو أنني التقي أنظارهم وحسب ،

لو أنني أكشف لهم كل ما هو صامت ،

وما يعيش ، وقد أخفيته عنهم .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

كيف يعذبني شكهم

كيف أغلي في مرجل لا غطاء له

- ٢٦ - .

حين استلقيت على الشاطىء مولودة من الأمواج ،

متحولة إلى رمل لطيف ، تخترقني حزمة من الأشعة

مثل فراشة على مشباك شعر وتغرزني في الأرض

حزمة الشمس هذه مرسلة لي وحدي ، عمداً

مسددة الليَّ بدقة ، ولم يبق أحد
بيني وبين الشمس فيحجبها عني بظهره .
الحزمة الحارقة كانت المحور الذي تديرني الشمس حوله
على أصبعها مثل ثمرة وكوكب .
وكل شعاع يربطني بأحد طرفيه بالشمس
وبالآخر ، عبر محور الأرض ، بنجمة ما بعيدة .
وملتهبة أنا ، صرت مترجمة الاشارات
بين عالمين مرتعشين . الشعاع الذي
يمر عبري جعلني مشاركة أرتشف من خلاياي
من ذاكرتي الأولية الغافية إبلاغاً هاماً ما
عن شخص ما ، مكان ما ، زمنٍ ما .
وفجاءة ، اخترقني سهم هذا الشعاع الشمسي
وظل يطير بعيداً
ولا شيء يستطيع أن يوقفه .
وحتى حين ننطفىء ، أنا والشمس الخالدة
سيسافر الشعاع عبر المدى بي
أنا الفراشة التي على مشبك ،

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وقد ربطت مصيرياً بالعالمين المرتعشين .

لدي ما يشبه الدليل :

على أن أي دليل لم يوجد بعد .

- ٢٧ -

استعد ، استعد

فجاءة سوف يدعوك

صوت القدر .

سيضعونك في مشفى

كي تعطي كل ما لديك ،

كما في سجن :

تخلع ماضيك ،

تخلع دروبك تنزل وجهك .

علامات المرض

ستصبح سيرتك الذاتية ،

الآلام والصبر -

وجهك الحقيقي .

سيكون سندك

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

في حزمة صغيرة
مدسوسة خفية تحت الوسادة
لا تنسها ،
إحملها معك دائماً
حيثما تذهب ـ
فأنت لا تعرف متى وأين
سيصل اليك صوت القدر .
وحين تغفو الآلام ،
وإذ تتعب وتتكسر
الحقنات في عروقك ،
فك العقدة
ثم أخرجها واحدة واحدة
حبيبات حكمة الحيـاة
التي جمعتها طوال العمر
بدأب النمل ـ
إنها الشيء الوحيد الذي
لا يُفارق أبداً .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وستبدأ تتحرك

شفتان مشققتان

تنظمان الكلمات باضطراب

كأنك تهمس بصلاة

وستحدث الأعجوبة :

سوف تُبعث .

- ٢٨ -

لي أمل واحد

إذ لا يوجد أمل -

أن تنفتح أعين الموتى

أن ترفع التراب بالأهداب

وأن تنظر مباشرة إلى روحي -

فهم يعرفون لغة

العذاب والصمت.

ينبغي أن أقول لهم مهما كلّف الأمر

قبل أن أغرق في عدم إحساس الحجر :

لم أفهم إلاّ بعد موتهم

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ماذا تعني (( معاً ))
ليس إذ كنا الواحد قرب الآخر
بل إذ كنا الواحد من غير الآخر ،
نكون معاً حقاً أمر واحد يعذبني :
هل يعرفون ذلك .

- ٢٩ -

النسيان هو ذاته
لدى الأشياء ، التي تتكرر
رتيبة متماثلة تماماً
مثل تنفس أمواج البحر .
أنسى الثمار الموسمية
وعطر خبز المساء الذي يومىء لي
على الدرجات (( مساء الخير )) .
وتحطيم فجائي وحسب
لهذا الايقاع المؤرجح ،
يوقظ الذاكرة من سباتها .
الموت - أكثر الانقطاعات حدة

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

أمضى ضربة سيف عبر الايقاع
حين يتدفق سيل الدم
كما من شريان نوم
ذكرياتنا المستيقظة .
كيف كانت الليالي نهارية ،
ما الكرزات السود الفتية ،
ماذا هو (( مساء الخير )) الظليل ،
وبأي عطر من اليدين -
الخبز المقسوم بالتساوي .
فليكن مباركاً وملعوناً الايقاع -
مهد النسيان الأول .

- ٣٠ -

طوال المساء نتكلم عن الصديق الميت
وكل واحد يلده مجدداً من ذاكرته
وكل واحد يجعله لا يُحصى
غير مثناه ،
وخالداً ،

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

أصغي ، ناظرة بنهم
إلى قطعة الأفق ـ
هذا الامتزاج الأفلطوني للبحر والسماء ـ
وحده الوصول المنفتح
والمنغلق
للعين إلى اللانهـاية
هذه الرؤية للسمة
تكشف لي سمة أخرى :
النظر الانســاني
يدرك اللامحدوديـة
عبر الخط
وعبر الحد
أما ذكرى الميت
فتكشف لي سمات الأحيـاء :
نظرنا الداخلي
يدرك الخلود
عبر نقطة ،

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

عبر الموت .

- ٣١ -

ومن ثم ، أليس أكثر من أعجوبة
أنك تستطيع أن تنظر أيضاً
إلى هذا المتنوع الزرقة ، المتنوع الحركة ، البحر ذاته ،
الذي يلامس ، على البعد ، السماء بابتسامة ،
وأنك ما زلت تستطيع أن تستنشق
عبق اللانهاية المقبض هذا
وأنك ما زلت تستطيع أن تمد شفتيك
نحو الرقة الرطبة لقبلته الهوائية ؟
وكم من أولئك النساء الشمعيات ،
قد جعلنك صديق المرض ،
ولم ينتظرن حتى هديتك المستجداة :
أن تدخل شباك نافذة المشفى
عبر غيمة بحرية مهـاجرة
مثل شراع قارب منتفخ
ويبحر نظرهن معه بعيداً

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

بعيداً عن مرساة الألم المنفرزة .

حين تنضج وتنفصل عن الغصن ساعتك أيضاً

قل مما ستخاف

أمام ظلالهن المسروقة ؟

نحو ماذا ستمد روحك أيضاً ،

ما الذي ستشتاق اليه روحك ،

في حضن البحر غير المحدود

مفعمة بتناغمات كثيرة الألوان ،

تطير في اللانهاية مثل موجة بيضاء الجناحين ؟

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

- ٣٢ -

حين تنتظر امرأة ما

طوال الليل

أن يعود زوجها ،

من حضن ما ،

من طريق ما

مما لا أدري ما هو

فانها تقيس ثانية فثانية

شكاً فشكاً

الليل ذاته حتى القعر

وإذ تسبح إلى الغد

بجفنين منفتحين

مثل محارتين بأظافر الأرق

تكون قد صارت وحدة دائرية .

فحتى لو صر المفتاح من الخارج

فلن يستطيع أن يفتحها .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

- ٣٣ -

صخب البحر الهائج

أعاد الزمن إلى الوراء ،

حين لم تكن قد افترقت الأصوات ،

ولا العناصر

بل انسكب الكل في سبيكة تغلي :

بكاء وضحك

صرخة وهمسة ،

رعد وتنهدة ،

صراخ وأغنية ،
أنة وقصيدة .
وفي هذا الصخب
تزدحم أجنة
كل لغات الناس والطيور ،
تقرقر جينات
الموسيقى
وتُنعم الرنة الأولى
بالكل الأول .
وحين في الصباح
يتفكك الصخب ثانية
إلى نغماته المكونة له ،
تعلو صرخة نورس
يمضي إلى الحرية ،
وحيداً .

- ٣٥ -

وإذ يُلمس ما لا يفسر

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

## البحر المحظور

ابدأ أفسر
بعض الأشياء .. مثلاً :
أعود من سفر بعيد
وقد أعشتني النظرات .
غداً أذهب إلى البحر
كي أغسل عينيَّ بالضوء المالح
وعند حاجز من متاع ،
تخترقني ، فجاءة ،
رمية من نزوة غريبة .
اقفز ، طيرانا ، الحقائب
أرفع السماعة
أدير رقماً .
من أرغمني ؟
كي أسمعه لآخر مرة .
مسروراً بالمفاجأة
ما زال صوته يرن في أذني -
حياً خالياً من الشبهة

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

مع صدى الأبدية :

(( سوف نلتقي حتى الخريف ))

من لقنه هذه الكلمات ،

التي تعني المزيد فالمزيد ؟

سنلتقي - أجل

حين نغيب

عن النظر إلى الأبد ،

في ضوء الدموع المالح .

حتى الخريف - أجل

حين نضج الثمار المتأخرة

للضرورة الانسانية .

- ٣٦ -

لحظة دخول البحر هذه

رجوع إلى جرن المعمودية .

الفقدان المغبوط للوزن

والاستلقاء فوق الظهر المائي الفسيح

هذا البريق من الموجة القوية

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

باردة الوجنة
هو تماس مع البداية
الأبعد كثيراً من النهاية .
تنخر وتتنفس بخيشوم ،
رافعاً صدر البحر كله .
وتلك اليد السائلة
تشدك نحو أبديتك
وتهب ذاتك لذاتك .

- ٣٧ -

دافئة وخيّرة ،
طلقة يا جَدّةِ الموجة ،
أنت يا من أرجحتِ
بأول نبض دافع
قبل ملايين السنين
خليتي العمياء الأولى
الحاملة الذرة المختومة
عن ظهوري البعيد

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

مع قفلة طبعي
حيث سأكون حية مشيدة
مدى الحياة وربما بعد الموت .
وأتمنى لك وحدك
موجة ، قوية حرة
طلقة .
أنت قد سكبت
مع أول دفع ولادي
ايقاعك الرحب المنتفد
كي أرتطم بجدراني ،
كي أفرق القضبان ،
عدواً ، طيراناً ، ابتكاراً
كي أتغير ، أحرّف ،
كي أكون ذاتي وغير ذاتي ،
موجة حرة ، وغير حرة .

- ٣٨ -

أعود من العالم الآخر

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ومع كل خطوة أتأوه :
البحر يخرج ويدخل حراً
عبر جدار الأفق
تابي يدق مع صدى
نبض الأمواج الأبدي
لقاء تفاهمنا بنظرة واحدة
مع نجمة وحيدة لا تطال .
والمسافة من (( آخ )) إلى (( أوخ ))
من (( أكون )) إلى (( كنت ! ))
في مثل رفرفة أهداب .

- ٣٩ -

البحر هو ذاكرتك الأولى
من القطرة إلى الحجر والعظام ،
من الفوسفور إلى الدماغ ،
من الملح إلى الدم والدموع ،
من الزفير والصمت إلى الكلمة ،
من العصور إلى اللحظة .

مغسولة من ذكرياتي الخاصة ،
معادة إلى الذكريات العامة ،
المفتوحة على النسيان .

- ٤٠ -

يبقينا الحب
في أوج تفجره -
هناك على قطعة من الأفق ،
ففي حين يظل أحدنا هنا ،
يغوص الآخر هناك .
أعلم أننا سنبدو حتى ذاك الحين
قصيري النظر
عبر ضوء الدموع
في عاصفة الغياب المكبرة
وسيتعانق كياننا
حتى ينسكب تماماً
أحدنا في الآخر .
أخاف إمكان هذا الشعور

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الذي نحمله في نفسينا

مثل لغم .

أريد أن أزيحه ،

أن أدور حوله ، أتجاوزه

أن أنبشه من الموت

وأزداد قرباً منه .

كيف سنحمل

الإنفجار الممزق

للحب بين كلينا

حين نصير واحداً ؟

- ٤١ -

لم يحدث قط

أن غصت ، هكذا ، حتى الالتحام في البحر ،

كما مع الفكر

عبر هذا اليوم المبهور النفس ، الحار حتى ضربة الشمس .

الأمواج الخضر كالأفاعي ،

الباردة الدم

☐ البحر المحظـور ☐

يكون كذلك حمودها الأجوف .

وبقدر ما تكون الصاعقة قوية

تنطفىء بسرعة البرق .

وينفتح البحر على الغور

من غير أثر لجرح

وبابتسامة وقور .

- ٤٢ -

سجينة أحادية هذا الجسد ،

محكومة بالموت

عند مصباح الفكر الفكر

انتظر الغد وكأنه جلاّد .

يشرف من بحر صيفي مبيض .

الأمواج تنقلب أمامي

أوراق قاموس الأبدية الضخم :

(( البداية )) و (( النهاية )) مترادفان .

- ٤٣ -

حادي غير مقتنعة



ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

تلتف حول جسدي ،
مثل ضمادات مبردة
فوق قفاعة التهاب .
المياه تغسلني بيد مدهشة ،
من القيظ ، والنسيان ،
من الآلام ، من القبلات ،
من الندامات ، من الأمل .
أية راحة !
استبدل البحر كل جلدي
بدرعه السيالة التي لا تخدش ،
التي لا يستطيع الحجر ، ولا الصرخة ، ولا الصاعقة ،
أن تجرحها ، أو تخرقها ، أو تحرقها .
لأن كل ما يُرمى إلى البحر
يغور فيه من غير أثر -
قدر ما يكون الحجر ثقيلاً
يغوص أعمق ،
قدر ما تكون الصرخة أوقح

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

بقناعتي ،
بأن حياتي كانت استيقاظة
بين نومين ،
وأنني أخذت نفسي من الهواء
وأنني سأصير هواء ،
وأنني سألتقط لحظة الموت
حين تصير الحياة كلها لحظة واحدة .

- ٤٤ -

في البدء كانت الكلمة
فهل في النهاية ـ الصمت ؟
أقبل الموت ،
والطفل لا يقبله .
البحر الممحظر
كما الريح للنار .
الكلمة
هي بحري المكشوف .
أرتمي فيه

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

## □ البحر المحظـور □

وحيدة والكلمة في الحنجرة
مثل حجر على العنق
أغوص ، أغوص ،
كي أسبح في كلمة ،
أيتها الكلمات ،
يا كاسرات الوقت ،
يا كلماتي اليتيمات .
أبلغن شاطئاً ما
وسرن على المنحدر
مع شرايين ساعي البريد المنتفخة .
الكلمات مجدولات في حبل قارب ،
متصلات بانشوطة مشنقة ،
كلمات مكرورة ومعادة .
منغمة ، مرنانة ، كما في مدرسة ،
( كلمات ) عارية مثل (( بزاقة ))
تزحف على الجدران إلى الأعلى ،
نحو السقف ، دائما نحو السقف .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

كلمات منتقاة ـ أعشاب تشفي الألم ،
كلمات ، أشجار مقتلعة الجذور ،
نحملها الدوامة
الى الضفة الآخرى.
أيها البحر الحظور ،
أريد أن أتغلغل فيك عبر الكلمة ،
متوغلة حتى جذرك .
المجدول من سكون وحركة
عميقاً ، عميقاً حتى القعر ،
كي اقتلع حفنة من سماء .
أيها البحر الذي لا يهدأ
كن قدوة لي ،
كي أطرح من ذاتي
المهترىء القذر .
كن معياري
أيها البحر .
أبتلعُ مرارة الكلمة المالحة :

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ملح ، دمعة ، قوة ، كلمة .

واذا حظروا كلمتي

فسوف أقبل الموت

كي أحرر الكلمة

من أجل انبعاثي .

فارنا ـ صيف ١٩٧٤

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

* * *

# مسرحية الأسرّة

## تأليف : ماركو انطونيو دي لابارا

## مسرحي ومحلل نفسي من تشيلي

*ترجمة : ممدوح عدوان*

« أصوات البحر والأمواج والنوارس البعيدة تأتي من أعماق الظلمة . يدخل شارل مع بدء الإضاءة وهو يحمل بين ذراعيه اندريا التي فقدت وعيها . يضعها على سرير في مؤخرة المسرح ، بين مجموعة من الأسرّة تشكل الديكور . يغطيها كأنها جثة . ثم يذهب الى الطرف الآخر حيث يجلس بطقوسية منتظراً ابتداء المسرحية . يتوقف صوت البحر . يدخل فيليب ، نصف عار وكأنه قد انتهى لتوه من الاستحمام .

ليس على المسرح سوى الأسرّة العارية التي رتبت وكأنها متاهة . يتوقف فيليب عند سرير وسط المسرح وهو يلقي بملابسه حوله بلا اهتمام. ومع نعاسه وملله يبدو كأنه يتخيل نفسه أمام جمهور كبير » .

**فيليب** : « يخاطب الجمهور مستثاراً وكأنه يستظهر . » شكراً . شكراً جزيلاً . الليلة سأقرأ عليكم خيرة قصائدي . القصائد الأكثر شعبية وشهرة في بلدي التي غبت عنها مدة لابأس بها . إنها أناشيد للحب والموت . آلام وطن ، أو جيل ، عانى المواجهة الدائمة مع الموت . الموت الذي لا ينظر في العينين مباشرة . بل

يتسلل من الخلف . هذه إذن قصائدي عن وطني أقدمها إلى جميع من أحبوها وإلى العشاق الخالدين . « يقلد التصفيق بإطلاق أصوات من فمه . ثم ينتظر انتهاء التصفيق المتخيل من الجمهور الوهمي لكي يبدأ قراءة شعره . »

آتون من الطرف الآخر للبحر

وأيديكم تحترق .....

جئتم مثخنين بجراح الحرب

ظامئين .. متعبين

وبريق الحياة ما زال يسطع في عيونكم

وحين نطقتم اخترقتم السماء الرمادية

كأنكم ضربتموها بسيف ....

أيها الملاك المخيف

إنني أكرهك .

أيها الملاك المخيف

لقد باركت البحر الذي

لم يستطع إغراقك

والجحيم الذي لم يستطع

أن يسفع شعرة واحدة منك .

« تدخل دانييل ومعها البطانيات والملاحف وتبدأ بترتيبها بهدوء. إنها ربة المنزل المنهمكة في شغلها . تفاجئها صرخة فيليب . »

**دانييل** : فيليب . مرة أخرى تعود إلى الزعيق في الحمام . « يتوقف إلقاء الشعر بشكل مفاجيء . »

**فيليب** : سأنتهي من الحلاقة وأخرج حالاً .

**دانييل** : ستوقظ الأطفال إذا ظللت تصرخ .

**دانييل** : أف . إنهم لا يتركونني أنظم شعري حتى في الحمّام ... قولي لي كيف ستتفتح أعظم موهبة وطنية إذا ظلت الزوجات تتآمرن عليها بهذه الطريقة ؟ إنني أبتكر طريقة جديدة لنظم الشعر .. قصائد جديدة .. أنشودة حب ستكشف عن القلق الجديد في مجتمعنا .. طريقة جديدة في النظر إلى العشاق . دون كليشيهات. دون ابتذال. حديثة وممتعة ..

**دانييل** : إذا تابعت هذا الصراخ ستوقظهم . جميل منك أن تستيقظ باكر . ولكن فكر في الأولاد . كوني تأخرت في وظائفها فنامت متأخرة. الأولاد ليسوا مثلك . وأنت لا تعيش وحدك في البيت .

**فيليب** : طَيب . طَيب . الحق معك دائماً يا عزيزتي . « يقفز عائداً إلى الحمّام ويعود إلى وضعية إلقاء الشعر »

أيتها الحمامة المسمّممة بالحياة

أيتها الحمامة التي ألقت بقنبلة على رأسي

وخلّتني محكوماً عليَّ بالتذكر .

نظّفت عينيَّ من الليـــــل
وأضاءت وجهي بالقبل
نهداك العاريان يتأججان كأعنف الرايات.

« دانييل تكاد تفقد أعصابها . لكنها تظل مسيطرة على نفسها.»

**دانييل** : فيليب . صوتك عال جداً . « فيليب يصمت . »

**فيليب** : « وهو يقلدها ساخراً » صوتك عال جداً .. عال جداً . « للجمهور مستعيداً دوره كشاعر شهير « أنا أتحدث بصوت عال ؟ .. أكيد أتحدث بصوت عال . ليس لدي إحساس بالمسؤولية . نعم أنا بلا إحساس بالمسؤولية هل سأتأخر عن عملي ؟ سأصل إلى العمل متأخراً بالتأكيد . « يشير إلى دانييل وكأنه يريها للجمهور . » نعم هذه زوجة فنان مبدع .. « لها » حين أصير مشهوراً على مستوى عالمي ستتوسلين إليَّ لكي أسامحك ..

**دانييل** : الفطور جاهز . وهذا وقتك يا عزيزي .

**فيليب** : طَيب طَيب . أنا قادم . « ينتهي من ارتداء ملابسه » أتعرفين أن زوجة غارسيا ماركيز كانت تتكفّل بكل شيء حين يختلي بنفسه للكتابة ؟ لم أكد أهمهم ببيتين من الشعر في الحمّام ، في الوقت القليل الذي تتيحه لي وظيفتي اللعينة ، حتى قلبت الدنيا . يا إلهي. هذه الاستهلاكية تدمرني . ماذا أفعل بك يا شارع المال وول ستريت ، ويابينوتشه ، لا أكاد أجد دقيقة إضافية لأفعل أي شيء...

**دانييل** : حاول أن لا تنسى محفظة أوراقك .

**فيليب** : ومن يهتم لمحفظة الأوراق يا عزيزتي ؟ اسمعي .. الا تفضلين أن تكوني متزوجة من شاعر شهير ، وترين صورتك على أغلفة الكتب ؟ ويكون حولك أتباع ومعجبون ؟ وتجوبين كافة أنحاء أوربا وأنت تقيمين الحفلات ؟ « يقلد المعجبين .. ثم يضحك ضحكة قصيرة من أحلامه بالعظمة . » فيليب . فيليب . فيليب .

**دانييل** : ليست الأمور دائماً بهذه السهولة . هذه تخيلات وأوهام من عندك .

**فيليب** : أرجوك . هذه ليست تخيلات من عندي .. هذا ما ستصير عليه الأمور حتماً .. وخاصة حين تعرفين أين تذهبين وكيف تعملين لنفسك مركزا . حين تتوجهين الوجهة الصحيحة وتصلين إلى الناس المعنيين . الجمهور الذي تريدينه بعد أن تكوني قد كونت جمهورك الذي يزداد يوماً بعد يوم .. ما أضيع العمر الذي راح في الإعلانات .

**دانييل** : كتابة القصيدة ليست مثل بيع المنظفات ..

**فيليب** : نحن كلنا مثل المنظفات . نحن منتجات قابلة للتسويق كله تجارة .. كان يمكن أن أكون عبقرياً وعبقرياً غنياً أيضاً . وليس مثل أولئك الفنانين الحقيرين الذين تحبينهم كثيراً ....

**دانييل** : رأيي أنهم شرفاء . ماذا تريدني أن أقول عنهم ؟

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

فيليب : أكثر من شرفاء .. سُذَّج . هذه هي حقيقتهم . ونحن كان يمكن أن نكون متفوقين . كان يمكن أن تساعديني . إنك تكتبين بشكل جيد .

إذن لماذا درست الصحافة ؟ من أجل مقالات الاستكتاب السخيفة تلك التي تحاورين فيها فيها .

بدلاً من ترتيب الأسرّة مثل امرأة معتوهة . قولي لي بربك اذن لماذا درست الصحافة ؟ من أجل مقالات الاستكتاب السخيفة التي تحاورين فيها رجال الشرطة ؟ لو أنك مرة واحدة فقط تركت لي الفرصة للكتابة .. لو أنه لم يكن من الضروري إرسال الأولاد إلى تلك المدارس الخاصة التي تكلف ما فتح ورزق « لكي يكبروا في مناخ ملائم» .. كلام فارغ . آخ .. لو أن تسيير تلك السيارات لم يكن مكلفاً بهذا القدر .. لو أن السياسة اللعينة في هذه المدينة لا تجعل دمي فائراً بشكل دائم .. أية قصائد كنت سأكتب ..

دانييل : ستتأخر .

فيليب : سأذهب إلى عملي اللعين حين أكون منضرباً على قلبي وجاهزا .

دانييل : أليس عندك موعد مع بعض الزبائن ؟

فيليب : هذه مشكلتي وشغلي .. تعرفين ؟ أنت لا تصدقينني . لا تستمعين إلي . لا تحرضينني . أنت تهبّطين معنويّاتي يا دانييل .

دانييل : أنت تعرف أن الأمور ليست على هذا النحو .. أنا أرى بالفعل أنك موهوب . ولم أتعود على رؤية أية كتابة رديئة من شغلك.

قصائدك كانت جميلة . وأفكارك كذلك أيضاً . ولكن الأيام تمر يا فيليب .

**فيليب** : كنت أكتب . كنت أكتب .. والزمن يمر . عمرك لم تقولي لي كلمة طيبة حول ما أفعله . هل اهتممت أي اهتمام بما كنت أقول في الحمّام ؟

**دانييل** : لا . لم أكن أستمع .

**فيليب** : أناشيد للحب والموت . أليس عنواناً رائعاً ؟ أعرف أنك ستقولين لي الآن إنه ليس فيه ذرة من الأصالة .. وأنني لا أكتب أي شيء له أهمية .. وأنني لا أفعل ما أقول ولا أقول ما أفكر به .. ولا أفكر بما أفعل .. الأمر الذي لن يوصلني إلى غاية . ولكن يجب أن تعرفي أن المقطوعات التي أدندن بها هي القصائد الأكثر أهمية في هذا الجيل .. ستكون مجهولة المؤلف ولكنها لن تنسى .. هل هناك من لا يحفظ هذه الأبيات عن ظهر قلب ؟ «يترنم ببعض الأبيات التي من الواضح أنها اناشيد تستخدم للإعلان عن بعض المنتجات التجارية » .

**دانييل** : أنا أحبك يا فيليب ويؤلمني جداً أن أراك على هذه الحالة .

**فيليب** : أية حالة ؟ ما الذي يزعجك ؟

**دانييل** : أنك ما تزال الآن مثلما كنت ونحن في العشرين من عمرنا . أنا أيضاً تخيلت أنني سأكون أورياني فالاشي التشيلية . إنك رجل إعلانات ناجح .. فلماذا تظل تحلم بأن تكون شاعراً مشهوراً ؟

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

فيليب : أوه .. هاهي الحقيقة ، الآنسة الحقيقة متجسدة . « ينهض ويبدأ بارتداء ملابسه بسرعة . » هل ستلقين عليّ تهمة مرض نفسي في الساعة السابعة صباحاً ؟ اسمعي . عليّ أن أذهب إلى عملي يا دانييل هناك مجموعة من الزبائن يرغون تهيؤاً وهم ينتظرونني ليبينوا لي أنهم لا يحتاجون إلى إعداد إبداعي ولا إلى توجيهات فنية أو موظف حسابات . يظنون أنهم العباقرة المختارون لأنهم درسوا التبويق . فحين يعرفون أنني رجل اقتصاد يضعفون ويبدؤون بالمغص . إن السبب الذي يمنعني من الممارسة الميدانية هو أن اقتصاد هذه البلاد منغلق . دعيهم يحاولون الابتكار . لقد سخروا من أفكاري التي بذلت فيها العرق والدم والدموع ، والتي قدمت فيها موهبتي كلها . هذا كله لكي تزيديها عليّ بالتظاهر بالإحباط . هل هذا ما سيحرضني ؟ كان من عادتك أن تقولي إنني عبقري . قولي إنني عبقري .. هل هذا ممكن ؟ « يتطلع إلى ساعته . » ياه . هذا وقتي . باي باي يا دانييل .

دانييل : « تقبله » باي حبيبي . موفق .

فيليب : « يمشي بين الأسرّة وكأنه يتصرف بسرعة فيما تستمر هي في أعمالها المنزلية المعهودة . تتجه إلى السرير الذي تتمدد فيه أندريا . تحدق إليها وتبدأ بإزاحة الملاءة التي تغطيها . يكلمها فيليب دون أن ينظر إليها . » نسيت أن أقول لك .. حمني بمن التقيت أمس بالصدفة .

دانييل : من ؟

**فيليب** : لا تستطيعين أن تتصوري . لن تصدقي . كانت جميلة كأنها ملكة جمال العالم . قطعة رائعة فعلاً . ورائعة . ألن تحسي بالغيرة ؟

**دانييل** : ممن ؟

**أندريا** : « تنهض لأنها لم تعد مغطاة » مرحبا ... فيليب ... ألا تتذكرني ؟

**فيليب** : كدت لا أعرفها بالفعل . كأنها كانت شخصاً آخر . ولكن بالفعل كانت مفاجأة حقيقية . لا . لا تقلقي يا دانييل . كانت هي نفسها . ولكن أكثر روعة . ومعها الكثير من المال . واضح أنها قد لاقت توفيقاً كبيراً في أوربا .

ARCHIVE

**أندريا** : هيه . أيها الجاحد . لا يمكن أن تكون قد نسيتني .

**فيليب** : أندريا سان مارتان .

**دانييل** : أندريا ؟

**فيليب** : « لأندريا » يا عزيزتي . أية فرحة أن أراك وأية مفاجأة . لم تتغيري أبداً . مثل صورة لدوريان غراي . غريبة قليلاً . متى جئت ؟ واضح أن الأمور كانت حسنة معك ..

**أندريا** : لا أعرف إن كنت تستطيع أن تسميها حسنة . فأنا لم أستطع أن أعود إلا مؤخراً . « دانييل وشارل يراقبان المشهد . خلال المسرحية كلها يبقى الأربعة على المسرح . »

فيليب : آه صحيح . ذلك المنفى اللعين . أولاد العواهر . لم أعد أرى القوائم كثيراً في الفترة الأخيرة . هناك كثيرون ، ولكن ما هذا الخاتم ؟ يبدو أنك قد تزوجت . هل هو موريس ؟

أندريا : لا . تلك قصة انتهت في باريس . حين تلتقي بشارل ستحبه بالتأكيد .

فيليب : يعجبني ما أراه الآن . تعرفين أن زوجك رجل محظوظ ؟ عندي موعد . ولكنني سأتجاوز عنه . مثلما كنا نفعل بدرس التفاضل المقيت . ما رأيك نذهب إلى مقصف ؟

أندريا : وهل هناك مقاصف في سانتياغو ؟

فيليب : طبعاً . صار عندنا كل شيء . مطاعم برازيلية وفييتنامية وهندية وسويسرية . هذا عدا عن المطاعم الصينية التي لا تحصى . وزيادة على ذلك صار عندي سيارة . لن نضطر للمشي كما كنا نفعل ونحن طلاب . تحسسي هذا اللون الأحمر الكرزي الفاتح .

أندريا : لقد تفوقت أكثر مما كان متوقعاً ليساري متطرف .

فيليب : فلنطو هذا الموضوع يا أندريا . دعينا نذهب .

دانييل : « تبتسم وهي تتطلع إلى الاثنين وهما يفترقان . » لم أنزعج حين لفظ اسمها . ولكن وقتها لم أكن أعرف كأنني قلت لنفسي . وما المانع ؟ لا شك أنه سعيد برؤيتها . لا أعرف إن كنت قد أحسست بالغيرة . لا أعرف إن كانت تلك هي الغيرة . ربما كنت مجرد غبية . مرات عديدة أحسست فيها أنني غبية . ولكن

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

كأنني لم أعد أهتم لهذه المسائل . لا أعرف . لا . لا أستطيع أن أقول له ذلك . الحقيقة أنني أحس برغبة في البكاء .

**شارل** : « يقف منزعجاً بسبب المشاهد السابقة . يبدو عليه وكأنه مضطر لمقاطعة ما لم يعد يستطيع احتماله فيسرّع أحداث المسرحية . يحرك الأسرّة ليفسح مجالاً في الوسط سيكون غرفة المعيشة في منزل فيليب ودانييل . حركاته متوترة وسريعة . يهدىء نفسه . يخاطب أندريا . » أهذا هو البيت ؟

**أندريا** : شارل . ستحبه حتماً . إنه ممتاز وذكي وظريف . كان متخصصاً بإلقاء النكات في حفلات المدرسة .

**شارل** : « يحصن نفسه باتخاذ مظهر اللامبالاة وعدم الاهتمام . » قبل قليل حدثتني عن حفلات المدرسة .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

**أندريا** : ستلتقي به . وسيكون الأمر رائعاً بينكما . أراهن أنكما ستصيران صديقين ..

**فيليب** : أنا سعيد ياأندريا لأنك استطعت أن تتدبري أمورك هنا . كنت ظن أنك لن تستطيعي المجيء . لا بد أنك شارل . « شارل يبتسم بما يتلاءم مع الموقف . يبدو كأنه يدرسه . « قالوا لي عنك أشياء مفرحة : كم كنت محظوظة وموفقة . وأية امرأة عظيمة قد أصبحت . إنهم على وشك أن يموتوا كلهم حسداً في تشيلي .... « يقوم بالتعريف . » زوجتي دانييل . أندريا . شارل .

**دانييل** : سعيدة بلقائك .

**شارل** : سعيد جداً بلقائك .

أندريا : « تجلس » يا له م منزل جميل . وأولاد ظرفاء . وزوجة رائعة . كل شيء مرتب بشكل رائع فعلاً . ترتيب يدل على شخصيتيكما بالفعل . جو مضياف ومريح .

فيليب : هل يبدو لك كذلك ؟

دانييل : شكراً جزيلاً .

فيليب : سأريك بقية المنزل إذا أحببت . لدي بعض الأشياء التي ستعجبك حتماً . حتى أنه لدي بعض الصور من أيام الدراسة . ستموتين من الضحك ... هيه يا أولاد تعالوا وسلموا على صديقة عظيمة لأبيكم من أيام الدراسة . كوني . ماجي ... تعالي يا أندريا . «يتوجهان نحو سريرين منفصلين ويستلقيان فيهما ليلعبا لعبة الاستغماية باللحافين مثل ولدين صغيرين . يضحكان وهما يغطيان نفسيهما ثم يكشفان . »

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

دانييل : « شارل » هل تحب أن أعد لك كأساً ؟

شارل : كلا شكراً ؟

دانييل : تأكل لقمة ؟ مربى ؟ .. كانت فكرة فيليب . قال إنكما عائدان للتو .

شارل : إني أسافر كثيراً . أسافر وأعود كثيراً كجزء من شغلي .

دانييل : أوه . لا بد أن الأمر مثير ومسل .

شارل : أحياناً .

**دانييل** : آه « ضحكات فيليب وأندريا تصبح أعلى . » إنهما فرحان فعلاً» .

**شارل** : يبدو ذلك . لم ير كل منهما الآخر منذ زمن طويل .

**دانييل** : صحيح .. بالمناسبة هل تحب موسيقى « العصر الجديد » ؟

**شارل** : أندريا تحبها كثيراً .

**دانييل** : وفيليب كذلك .

**شارل** : القيثارة آلتها المفضلة .

**دانييل** : أظن أن الصغير يبكي .

**شارل** : يبدو ذلك .

**دانييل** : سألقي نظرة . عن إذنك .

**شارل** : تفضلي . « تبتعد دانييل عن وسط المسرح . يخاطب شارل الجمهور . « لا أعرف كم مرة التقيا . كم مرة تقابلا دون أن يخبراني . من منهما جاءته هذه الفكرة أولاً ؟ يذهب باتجاههما وهما ما يزالان مختبئين تحت الأغطية . يعثر عليهما . « لا أعرف إن كان يعيان ما يفعلان . إن كانا قد فكرا بما يمكن أن يحدث . أو ربما بما قد حدث . أو إن كانا معنيين بالأمر أصلاً .

**فيليب** : « قلقاً » لا أعرف .

**أندريا** : ولا أنا .

**فيليب** حدث الأمر بسرعة فائقة . هل ستستطيع أن نفر لنا ؟

**أندريا** : أقول لك بجدية : لقد حدث الأمر وكأننا لم نكن ندرك ما يحدث ... بغتة وجدته أمامي ، وهو يتطلع إليّ بنظرته الغريبة . وراح يرسل لي بقصائد على بطاقات ، ويقدم لي الزهور ...

**دانييل** : زهور ؟

**فيليب** : نعم . كان هناك دافع مثل الإعلان التجاري ... شوكولا ، تماثيل صغيرة ، بطاقات غازي لارسون . يحدث هذا للكثير من الناس .

**أندريا** : ولا تدرك حقيقة ما يجري إلا بعد فوات الأوان .

**فيليب** : ربما حدث الأمر يوم ذهبنا إلى ذلك المطعم الإيطالي .

**أندريا** : أو حين ذهبت معي لانتقاء ربطة عنق لشارل في عيد ميلاده .

**شارل** : يجب أن أقول لك إن تلك الربطة قد أرضتني .

**دانييل** : أظن أن الأمر قد حدث حين التقيا من جديد للمرة الأولى .

**أندريا** : نظرة واحدة ووقعنا في الحب .

**فيليب** : لا . لا تحدث الأمور في الحياة كما تحدث في الأغاني . أظن أن الأمور كانت سيئة بيننا ، وكانا يتحدثان كثيراً في المكتب عن النساء والعلاقات وكنت ...

**شارل** : ألم تكن لك أية علاقات ؟

**فيليب** : تعودت أن أرى نفسي فوق التصرفات . ماذا أستطيع أن أقول لك غير ذلك ؟ كانا غبيين . ولم أعرف كيف أقرر معنى الحركات إلا إذا ...

**أندريا** : إلا إذا وقعت في الحب . أليس كذلك ؟

**شارل** : ياه أنتم من أسوأ الأنواع .

**فيليب** : إنها غلطتي . أردت في لحظة ما أن تكون لي امرأة أخرى ...

**أندريا** : أكان الأمر بهذه التفاهة ؟

**فيليب** : ربما . الآن بعد مرور ذلك الوقت كله ، وبعد كل ما حدث ... يبدو الأمر كله بلا معنى .

**أندريا** : ومع ذلك فقد جننت بك حباً . ولم أكن أدرك أنك .... وأنا فكرت بالطريقة ذاتها أيضاً يا أندريا .

**شارل** : « يقف وكأنه يأمر بوقف هذا الاستطراد والخروج عن الموضوع. يتوقف صوت البحر» . أندريا . يبدو لي وكأنك قضيت الليل كله في مغازلة فيليب ...

**أندريا** : أنا ؟ هل حدث لعقلك شيء ؟ إنه زميل قديم من أيام الدراسة . وليس أكثر من ذلك . الأمر كله متعلق بنشوة العودة . أنت مجنون . ليس بيننا أي شيء على الإطلاق .

**شارل** : لكنكما كنتما على علاقة وثيقة في تلك الأيام . أليس كذلك ؟

**أندريا** : أوه ، كلنا مجانين في تلك الأيام .. كيف يخطر لك أن تفكر بهذه الطريقة ؟ أنت تعرف أنني أحب الرجال الناضجين ، مثلك .. فيليب ليس إلا ولداً .. إنه ما يزال في المرحلة الحليبية .

**فيليب** : « يقاطعها » أقلت له ذلك ؟

**أندريا** : نعم .

**دانييل** : ما كان بوسع أحد أن يعرف ما الذي كان سيحدث بعد ذلك . « يمشي فيليب وأندريا بين اسرّة وكأنها واجهات حوانيت . تتحدث بطلاقة وحرية . شارل ودانييل يراقبان . »

**أندريا** : لا أفهم ما الذي حدث لكم كلكم هنا . إنكم غير منظمين ، ولا تتفقون على أي شيء . كأنكم تغرقون في شبر ماء . التفاصيل تربككم . كأنكم تنتظرون مجيء من يرتب لكم كل شيء .

**فيليب** : الحقيقة أنك أدركت أن هذه هي السنوات التي يمكن التأكد من أي شيء .

**أندريا** : لقد عشت سنوات من هذا النوع . كانت مختلفة من حيث المظهر . كان هناك تضامن أفضل .. هنا أنتم تؤذون أنفسكم بالتقاتل فيما بينكم . كيف حدث أنكم لم تدركوا الخطر الذي تتعرضون إليه ؟

**فيليب** : هل فكرت في ما نحس به هنا ، في الداخل ؟ نحافظ على حياتنا على حساب الآخرين . مرتزقة . عواهر . نبيع أرواحنا للشيطان. جميعنا ، بلا استثناء ، متواطئون بشكل أو بآخر .. هل فكرت في الإحساس بالذنب ؟ في كل ما فقدناه ؟

**أندريا** : هذا ما كنت أقوله . كلكم متواطئون . تقفون وأنتم تتلفتون حولكم وكأن شيئاً لا يحدث .

**دانييل** : « لنفسها » فعلاً . لم يقم أحد بشيء . كأننا لم نكن نعي ذلك كله .

**شارل** : أرسلت من يتعقبهما . كانا يلتقيان في مقهى في بروفيدينسيا . وعن بعد كانا تحت المراقبة . لا يزعجني أقل إزعاج أن أقول ذلك

الآن . كانا يتحدثان هناك عن السياسة والحكومة إلى أن بدأ فيليب يزداد قرباً منها . أمسك بيدها وقال لها ما كنا كلنا نخاف أن يقوله .

**فيليب** : أندريا . لقد أجبرنا على أن نكون منفيين في وطننا . أجبرنا على أن ننسى كل ما كان يخصنا ، ما كان لنا : أحلامنا ، آمالنا ، وأضيفي إلى ذلك الألم ، والخيبة ، وعدم وجود مستقبل واضح ، والوطن الضائع ، والمرارة والإحباط .. العيش مثل جثث تتحرك بلا إرادة ، جثث تحاول أن تتذكر ما الذي ، ومن كان ، يسعدها .. إلى أن يأتي شيء ، أو شخص يذكرك بأنك حية ..

**أندريا** : فيليب ..

**فيليب** : « منفعلاً بما قاله ، يتحرك في المكان مبعثراً الأسرّة ، ملقياً بالوسائد والملاحف والبطانيات » أنت ما زلت تتنفسين ، وما زالت لديك انفعالات وعواطف . ما زلت قادرة على الحب . ما زال لديك من يريك الحياة ، ويظهر لك العواطف .. هذه هي المسألة : العواطف ... بينما نحن هنا كلنا مسحوقون .. ممزقون .. ثم أراك .. أنت العائدة من المنفى حاملة معاناتك . ولكن ، وعلى الرغم من كل ما عانيت منه ومما مررت به ما زلت حية يا عزيزتي أندريا . كأن عواطف السنوات السالفة كلها ما تزال حية في عينيك . لم تمت .

**شارل** : فلنوصل هذا الأمر إلى نهايته يا دانييل .

**دانييل** : لا . أنا لا أريد أن أرى .

أندريا : لم يكن الأمر على هذا النحو يا فيليب . لم يكن بهذه البساطة . الحقيقة هي أنني لم أكن في المنفى بهذه الصورة .

فيليب : أستطيع تصور الأمر .. أستطيع تصور كله . إنك لا تعرفين بما حدث لي في ذلك اليوم الذي رأيتك فيه من جديد .. بعد تلك السنوات كلها .. لم أكن قادراً حتى على النوم ، أو على التركيز على أي شيء . لم أكن مهتماً بالبيت ، أو بالأولاد ، أو بدانييل.

أندريا : أولادك ظرفاء يا فيليب ، وامرأتك حلوة .

فيليب : إنهم لا يعنون لي شيئاً .. أنت وحدك الجواب والحياة والقوة والنار ..

أندريا : أنا لست أكثر من صديقة لك من أيام سالفة .. إنك لا تعرفني جيداً . ولا تعرف ما عشته وما مررت به . نحن مختلفان كثيراً .

فيليب : لا . لسنا مختلفين . نحن متشابهان . مثلما كنا قبل الإنقلاب .. الحياة فرقت بيننا . ألقت بنا في اتجاهين مختلفين . وها هي تعود وتجمعنا . إننا لا نفعل إلا ما خططه لنا القدر . ألم تقولي ذلك أنت نفسك ؟ إنني لم أنس .. القدر سيجمع بيننا .. وسنكون كما كنا من قبل ، وكما كان يجب أن نكون دائماً لا توافقين على ذلك ؟ لا يمكن أن تكوني قد نسيت ... تماماً كما اعتدنا أن نحلم بالمستقبل ، قبل مرور تلك السنوات البغيضة ...

أندريا : توقف عن هذا . شارل سيقتلني .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

فيليب : ولكن .. أليست الحياة التي نعيشها الآن شبيهة بالموت ؟ هل سنظل نعيش مثل مغامري المدن ؟ خائفين من أن نصير كما نستطيع أن نصير ؟

أندريا : « تركض إلى حيث يقف شارل » أنا أحب شارل .

فيليب : « يسحبها ليبعدها عن شارل » هذا ليس حباً ، يا أندريا . هو يمثل لك الأمان والحماية . إنه جواز سفرك إلى الوطن .. أنت لست امرأة باردة . إنك حية ومليئة بالعواطف . أنت مثلي تماماً.

أندريا : لا تسترسل يا شارل . لا تستطيع أن تتابع الكلام في هذه الأمور. لن أسمح لك .

فيليب : أنت ، يا أندريا تستطيعين أن تمنعيني عن أي شيء تريدين إلا عن هذه العاطفة التي أحس بها نحوك . هيا اعتقليني . اطرديني . دعيهم يقذفوا بي إلى مكان لا يعرفه أحد . لكنهم لن يستطيعوا ن ينتزعوا عواطفي من قلبي ، ولا حقيقة كونك تمثلين كل شيء النسبة لي . هل يبدو هذا غريباً بالنسبة لك ؟ هل أبدو لك عتوها؟ أنت التي جعلتني كذلك يا أندريا . أنت جعلتني أهتز ..

أندريا : « محبطة » طوال عمري وأنا أتمنى أن أسمع هذا الكلام من رجل ما .

فيليب : كل شيء ممنوع هنا . كل ما فيه حياة . الموت وحده يتحرك على هواه في الشوارع . سآخذك معي لكي نعثر على الحب الذي انتزعوه منا ، وعلى كل ما سرقه الزمن منا . تعالي معي .

أندريا : أنت مجنون يا فيليب ..

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

فيليب : مجنون بك يا حبيبتي ..

أندريا : وتجعلني مجنونة مثلك « يتعانقان بحرارة » .

شارل : « يراقبهما وهما يتعانقان على السرير . من وراء دانييل » كانا في غاية السعادة . أو على الأقل هذا ما قاله المخبر . كانا مفعمين بالحياة . كما لو أنهما اكتشفا نبع الحياة ـ أو إلدورادو ، أو الثمرة المحرمة في جنة عدن . كنت أستطيع أن أقتلهما .. أقصد أن المخبر كان يستطيع ذلك طبعاً .

دانييل : « وهي على سرير بعيد عنه . ترتب الفوضى التي تسبب بها فيليب خلال محاولته إغواءها » : ( أكثر ما يثير الدهشة ، خلال إقامة النظام الذي يعتبر نفسه أنه هو الذي سيستعيد الأخلاق والقيم المنهارة ، وأنه نصير المثل الأخلاقية الصارمة والحازمة ، هو تكاثر البارات التي تقدم عروض عاريات الصدور ، ودهاليز المسّاج ، والفنادق المبتذلة .. صناعة حقيقية مواكبة للضبط الأفضل المفترض لمسألة المواطنة ) ... لا ، هذا بارد جداً . يبدو مثل تعليق على الأخبار . يجب أن يكون الكلام مؤثراً . سأغير البداية .. ( أحد التناقضات الفاضحة بالنسبة لنظام يُفترض أنه أخلاقي صارم ) .. هذه أفضل .. سأتابع ( يبدو أن الحب غير المشروع هروب من التوتر . لقد حدث مثلاً بعد انهيار الازدهار الاقتصادي أن بنيت مطاعم فخمة وباهظة التكاليف ؛ لكنها وعلى الرغم من غلاء الأسعار فيها تظل مزدحمة بالزبائن ) . وأتساءل : هل هي طريقة أخرى للحصول على الشبع الفوري عند الإحساس بانعدام الثقة والأمان مختفياً وراء كثافة الشرطة المدججة بالسلاح وانتشار الجيش في الشوارع واستمرار قوانين الطوارىء ، وما إلى ذلك ؟

ويجب أن أتذكر أنه خلال وقوع فرنسا تحت الاحتلال ظهرت معظم المطاعم الفرنسية وحدث التطور الكبير في الطبخ الفرنسي . من المضحك مقارنة تشيلي بفرنسا تحت الاحتلال النازي . ألم تكن أنت يا فيليب من أخبرني بذلك ؟ أليس صحيحاً يا فيليب ؟ فيليب ؟ « تبحث عنه في كافة أرجاء المسرح دون أن تعثر عليه . ولكن من الممكن سماع أصوات ممارسة الحب تصدر عن السرير خلال مونولوج دانييل . » أين أنت يا فيليب ؟ فيليب .

**شارل** : أندريا . أين أنت يا أندريا ؟

**دانييل** : فيليب .

**شارل** : أندريا . « يتابعان إطلاق صرخاتهما إلى أن يختفيا ضمن صمت متوتر . »

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

**فيليب** : « يبعد نفسه عن أندريا وهو مرتاح وفي أحسن حالاته . يقوم ببعض التمرينات الرياضية » . لا أستطيع تحمل دانييل . إنها ليست عذبة وحنوناً مثلك .

**أندريا** : وأنا لا أستطيع تحمل شارل . يراقبني دائماً . ليس مثلك .أنت تجعلني أحس بالأمان وبأني محترمة .

**فيليب** : دانييل تظل تسأل عني . لا تستطيع أن تقوم بأي شيء بنفسها ؛ وكأني أنا الآخر لا شغل لدي غيرها . ليست مثلك . أنت لا تلاحقينني بالطلبات والضغوط .

**أندريا** : وأنا عليّ أن أتحمل شارل الذي يثير أعصابي دائما . كل يوم تزداد طلباته ويزداد هو تلاعباً . وفوق هذا كله هو غيور أيضاً .

**فيليب** : إنني سعيد معك يا أندريا .. أشعر كأنني أعود الرجل الذي كنته. هل تعرفين بأنني ما كنت أجرؤ تقريباً على إقامة علاقة مع أية امرأة أخرى بعد أن كنا معاً ؟

**أندريا** : ها أنت جاد ؟

**فيليب** : بالفعل .. كأنما كنت أحبك طوال عمري .

**أندريا** : ولكن .. ماذا بشأن دانييل ؟

**فيليب** : لا أعرف . لا أعرف كيف انتهيت إلى الزواج منها . لا أعرف أين كان عقلي حين اتخذت ذلك القرار المجنون . أتذكر ما مضى فلا أكاد أعرف نفسي . لقد كان ضعفاً كبيراً مني أن لا أذهب معك ، يا حب حياتي .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

**أندريا** : أحس الإحساس ذاته .. ما كان يجب أن نفترق .

**فيليب** : حتى حين كنا نتشاجر ، كان ذلك بسبب ما يجري في البلاد . المناخ السياسي هو الذي أرهبنا . لا يترك لك مجالاً لأن تفكر أو تحس أو تشعر . الحزب ، الخط المتشدد ، يساوم اليمين .. هذا ما مزقنا . الأزمة التي كانت تمر بها البلاد . لا شيء غير ذلك .؟ هي التي أضعفتنا كحبيبين ...

**أندريا** : أوه يا فيليب . كان من الممكن أن تكون الأمور رائعة لولا أنني ذهبت مع موريس . لو أن الانقلاب لم يقع .. كنا رجعنا معاً ، أنا وأنت.

**فيليب** : على الأقل أنت كنت شجاعة حين رحلت .

**أندريا** : إنك تخطىء في ذلك .

**فيليب** : لا . أنا كنت البورجوازي الجبان . لقد خنت مبادئي . لم تكن لدي الشجاعة والجرأة .. أنت فعلي الشجاع .. قولي لي يا أندريا هل أنت على استعداد للتخلي عن كل شيء من أجلي ؟

**أندريا** : ماذا ؟

**فيليب** : أسألك إن كنت على استعداد للتخلي عن كل شيء من أجلي ، يا أندريا .

« الجميع يرددون ، مثل جوقة يونانية : هل تتخلين عن كل شيء من أجلي ؟ »

**أندريا** : « لنفسها ، وبنغمة حزينة تعلو بالتدريج ، كأنها تؤدي أغنية دينية. » حين طلبت مني ذلك ، خيل إلي أنك مجنون . ولكن في الوقت ذاته ، أحسست كأنني كنت في حاجة إلى أن أتلقى هذا السؤال . حياتي كلها مكونة من أمور كهذه ؛ سنة في كلية الحقوق ، سنتان في كلية الاقتصاد .. ثم العلاقة مع فيليب : عرضية ومتوترة؛ لكنها واحدة من علاقات أخرى كثيرة . لم أكن أظن أن لها أهميتها . ثم الرحيل إلى باريس مع موريس . ولكن ما الذي كان يعنيه موريس بالنسبة لي ؟

**الجوقة** : ( هل تتخلين عن كل شيء من أجلي ؟ يا حبيبتي هل تتخلين عن كل شيء من أجلي ؟ )

**أندريا** : نعم رحلت إلى باريس ، وليس إلى المجر كما ظن الجميع . منذ أن درست في الأليانس تحسنت أحوالي ، وصرت أكثر قدرة على تدبير أموري . كنت خائفة ، وكنا كلنا خائفين . ولم أخفّ ؛ بل ظهرت في التلفزيون . وظهرت كذلك في الصحف

أكثر من مرة ، وأنا أنقل طفلي معي أينما ذهبت . آه يا ولدي الذي فقدته إلى الأبد ... والأومانيتيه تقدمني باسم الصبية المنفية التي اضطهدها بينوشيت .

**الجوقة** : هل تتخلين عن كل شيء من أجلي ؟ أسألك إن كنت على استعداد للتخلي عن كل شيء من أجلي ؟

**أندريا** : قلت لهم في القيادة إنني مع اليسار الثوري المتطرف . ولكن ليس إلى الدرجة التي يصورونني بها . الأمر شبيه باليسار المسيحي ، ولكن ليس إلى هذا الحد . موريس كان مع المتطرفين ، لكنني لست متأكدة حتى من هذا . في تلك الأيام ، قبل الحادي عشر ، لم تكن الأمور واضحة .. أو لعلها كانت واضحة . لا أعرف . على الأقل ليس بالنسبة لي . يا إلهي ، أنا كنت كاثوليكية . حين كنت صغيرة كانت أمي تأخذني إلى القداس وأنا ملفعة بالبياض من رأسي إلى قدمي . كانت السياسة في ذلك الحين شأناً احتفالياً مفرحاً ؛ مثل حلم يتحول ، دون أن نفهم ما يجري ، إلى مشهد دموي . ذات يوم كنا نريد أن نتعانق مثلما أعانق فيليب الآن ... أنا فعلاً لم أنخرط في السياسة بشكل جدي في حياتي .

**الجوقة** : هل تتخلين عن كل شيء من أجلي ؟ من أجلي أنا يا أندريا ؟

**أندريا** : لا أعرف . لا أعرف . لا أعرف .ماذا أفعل . صوتي يجيئني مثل بندقية آلية فقدنا السيطرة عليها . امنحوني الفرصة لكي أحكي لكم . اختبأت في منزل خالي . أقرضوني نقوداً . كان والدي حياً. وأنتم تعرفون أنني لم أكن أبداً علي وفاق مع والدي . انسحب موريس . لم يعد يريد مني شيئاً ولم أعد أجرؤ على

الاقتراب منه . كنت خائفة . وكنت أعرف ما الذي سيحدث . كنت أعرف .

**الجوقة** : هل ستتركين كل شيء من أجلي ؟ هل ستتخلين ؟

**أندريا** : كل شيء ؟ كل شيء ؟ لكي أعود إلى اليأس من جديد ؟ أرجع مع الزمن ؟ محطة أخرى ؟ مطار آخر ؟ حزم الحقائب والرحيل مرة أخرى ؟

**الجوقة** : أندريا ، كل شيء من أجلي ، كل شيء من أجلي ؟

**أندريا** : أوه ، شارل قصة أخرى . هو أكثر عقلانية . إنه بمثابة الأب بالنسبة لي . إنه يفهمني ، ولكنه لا يحاول أن يسيطر عليّ . النوم عه أشبه بالذهاب إلى السينما . ليس فيه التوهج الذي يحدث معك. تقبيله يثير قرفي بدل أن يسكرني مثلما يفعل بي تقبيلك . هو هبة هواء ساخن وليس عاصفة جامحة مثلك . لقد كان تذكرة عودتي إلى سانتياغو .. سانتياغو .. هل تذكرين السانتياغو التي كانت في رؤوسنا ، والتي لن تعود ؟

**الجوقة** : هل ستفعلينها ؟ ألن تفعليها ؟ ألن تفعليها ؟

**أندريا** : وأترك نفسي تنجر إلى ما بين ذراعيه ؟ وآلامي ... مشاعره ؟ أنا القارب ، وهو المرفأ ؟ أنا الغيمة ، وهو السماء ؟ أنا المطر ، وهو الأرض ؟

**الجوقة** : ذراعاه ، ذراعاه .

**أندريا** : « لشارل ودانييل » لم أكن أريد أن أسبب لكما الأذى . أقسم على ذلك . دانييل . شارل . بحق الله سامحاني . أرجوكما . أتوسل إليكما .

<< فترة صمت >>

**فيليب** : هل ستتخلين عن كل شيء من أجلي يا أندريا ؟

**أندريا** : حبيبي ، هل أنت جاد فعلاً حين تطلب مني ذلك ؟

**فيليب** : هل ستتخلين عن كل شيء من أجلي يا أندريا ؟

**شارل** : غطي عينيك يا دانييل .

**دانييل** : دعنا نذهب . لم أعد أستطيع الاحتمال . « تتنهد » .

**أندريا** : كل شيء . كل شيء . يا فيليب . كل شيء . أنا أعبدك . أحبك . لا أستطيع أن أعيش إلا معك . إلى الأبد . حتى نهاية الزمن .

**فيليب** : أنا أحس بسعادة لم أحس بها طوال عمري . أشعر بسعادة فائقة في أعماقي . أحس بقلبي ، بموسيقى ، بحياة ، بالطمأنينة أخيراً . طمأنينتي . لي .

**أندريا** : لك في الحياة والموت ، يا حبيبي .

« يتعانقان بحرارة . دانييل تغطي عينيها . شارل يغطيهما ببطانية كأنهما طفلان . ثم يتقدم من دانييل . »

**النهـــــــــــاية**

... ... ... ... ... ...

# ليـــــلابي

جان ماري لو كلوزيو

*ترجمة : عماد موعد*

في اليوم الذي قررت فيه ليلابي عدم الذهاب إلى المدرسة ـ من أواسط تشرين الأول ـ نهضت من فراشها ، اجتازت ، بأقدامها العارية ، غرفتها وباعدت بين شفرات الستارة لترى الخارج . كان الوقت لا يزال باكراً ، والجو مشمساً ، وبإنحناءة صغيرة ، استطاعت رؤية جزء من السماء الزرقاء . في الأسفل ، على الرصيف ، ثلاث أو أربع حمامات تتقافز ، تشعث ريشها من الريح ، من فوق أسقف السيارات المتوقفة . كان البحر أزرق داكناً ، وكان هناك شراع أبيض يتقدم بمشقة . تنظر ليلابي إلى هذا ، فتشعر بالراحة لقرارها عدم الذهاب الى المدرسة .

عادت إلى وسط الغرفة ، وجلست أمام طاولتها ، ودون إضاءة المصباح بدأت تكتب رسالة :

بابا العزيز :

صباح الخير :

الجو لطيف والسماء كما أحبها صافية جداً جداً .... أحب أن تكون هنا لرؤية السماء ، البحر أيضاً صاف جداً جداً ، قريباً سيجيء

الشتاء ، ها هي سنة طويلة أخرى تبدأ ، أتمنى لو تستطيع المجيء قريباً لأني لا أعلم فيما إذا كان البحر والسماء يستطيعان انتظارك طويلاً هذا الصباح عندما استيقظت ( حدث هذا منذ أكثر من ساعة ) ظننت من جديد أني كنت في استامبول . أحب أن أغلق عينيّ وحينما أفتحهما أجد نفسي في استامبول أتذكر ؟ كنت قد اشتريت باقتين من الزهور ، واحدة كانت لي والأخرى كانت للأخت لورانس ، أزهار كبيرة بيضاء ، رائحتها قوية ( أهذا اسميناها الأريج ؟ ) كانت رائحتها قوية حتى أننا اضطررنا لوضعها في صالة الحمام ، قلت أننا نستطيع شرب الماء في الداخل ، وأنا ذهبت إلى صالة الحمام وشربت لوقت طويل ، وأزهاري كلها تلفت ، أتذكر ؟

توقفت ليلابي عن الكتابة . عضعضت للحظة طرف قلمها ((البيغ)) الأزرق ، وهي تنظر إلى ورقة الرسالة . إلا أنها لم تكن تقرأ . كانت تنظر إلى بياض الورق ، متخيلة أن شيئاً ما ربما سيظهر ، كالطيور في السماء ، أو كقارب صغير يعبر ببطء .

نظرت إلى المنبه على الطاولة : الثامنة وعشر دقائق . كان منبه سفر صغيراً ، مغطى بجلد عظاية سوداء ، لا حاجة لربطه إلا كل ثمانية أيام .

كتبت ليلابي على الورقة .

بابا العزيز :

أريدك أن تحضر لتأخذ المنبه أنت أعطيتن إياه قبل أن أغادر طهران ، ماما والأخت لورانس قالا بأنه جميل جداً ، أنا أيضاً أجده كذلك ، إلا

أني، الآن أظنني لم أعد بحاجـة إليـه ، لأجـل ذلـك أريـدك أن تـأتي لتـأخذه سيفيدك من جديد ، إنه يعمل جيداً ، لا يصدر أي صوت في الليل .

وضعت الرسالة في مغلف بريد جـوي . قبـل أن تغلفـه ، بحثـت عـن شيء ما لتضعه في داخله . إلا أنها لم تجد شيئاً على الطاولة سـوى أوراق ، كتب ، من البسكويت . كتبت العنوان على الغلاف :

**السيد بول فرلاند**

**( ٨٤ ) شارع فردوسي**

**طهران ايـران**

وضعت المغلف على طرف الطاولة ، وذهبت بسرعة إلى الحمام كـي تنظف أسنانها ووجهها . كانت ترغب بالاغتسـال بالمـاء البـارد ، إلا أنهـا خافت أن يوقظ الضجيج أمها . دائماً بـأقدام عاريـة عـادت إلى غرفتهـا . لبست ، على عجل ، كنزة صوفية خضراء ، بنطلـون مخمليـاً بنيـا ، وسـترة كستنائية . ومن ثم ارتدت جواربها وحذاءهـا الطويـل ذا النعـل المطـاطي . مشطت شعرها الأشقر دون أن تنظر إلى المرآة ، ووضعت في حقيبتهـا كـل ما وجدته حولها ، على الطاولة والكرسي : أحمر الشفاه ن منـاديل ورقيـة ، قلم حبر ناشف ، مفاتيح ، أنبوبة أسبرين . لم تكن تدري تماماً ما هي بحاجة إليه ، تلقي نظرة على الفوضى التي نراها في غرفتها : ايشارب أحمر ملفوف بشكل مكور ، اطار قديم من فرو ، مدية ، كلب صغير من البورسلين . في الخزانة ، تفتح علبة وتأخذ مجموعة من الرسائل . في علبة أخرى ، وجـدت رسماً كبيراً ثنته ووضعته في حقيبتها مع الرسائل . في جيب معطفها المطري، بعض النقـود الورقيـة وحفنـة مـن القطـع النقديـة والـتي أسـقطتها أيضـاً في حقيبتهـا . في لحظـة الخـروج ، عـادت إلى الطاولـة وأخـذت الرسـالة الـتي

كتبتهـا. وفتحـت الـدرج اليسـاري وبحثـت بـين الأشـيـاء والأوراق إلى أن وجدت هارمونيكا صغيرة كتب عليها :

**ECHO super**

**VAMPER**

**MADE IN**

**GERMANY**

وحفر بحد السكين :

**David**

نظرت الى الهارمونيكا لثانية ، ثم أسقطتها في الكيس ، وضعت حمالة الحقيبة على كتفها الأيمن وخرجت .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

في الخارج ، كانت الشمس حارة ، والسماء والبحـر لامعـين بحثـت ليلابي بعينيها عن الحمام ، إلا أنه كان قد اختفـى . في البعيـد ، قريبـاً مـن الأفق ، كان الشراع الأبيض يتحرك ببطء على البحر .

شعرت ليلابي بقلبها يخفق بشـدة. كـانت مضطربـة والصخـب يمـلأ صدرها . لماذا كانت في هذه الحالة ؟ ربما كان كل ضوء السماء يسكرها . وقفت ليلابي على الدرابزين ، ضامة ذراعيها بقوة على صدرهـا . وتمتمـت بشيء من الغضب : (( إن هذا يضايقني )) ..

ثم سارت في طريقها ، محاولة أن لا تنتبه لاضطرابها .

كان الناس يتجهون إلى أعمالهم . يقودون سياراتهم بسرعة ، على طول الشارع ، باتجاه مركز المدينة . وكانت الدراجات النارية تتسابق بضجيج محركاتها . كانت العجلة بادية على راكبي السيارات ذات النوافذ المغلقة . عندما يعبرون قليلاً ليروا ليلابي . بل كان هناك رجال يضغطون على زمامير سياراتهم ، دون أن تعيرهم ليلابي أي انتباه .

هي أيضاً ، كانت تمشي بعجلة على طول الشارع ، دون أن تصدر صوتاً بكعبيها المطاطيين . كانت تسير بالاتجاه المعاكس ، نحو التلال والصخور . كانت تنظر إلى البحر ، مطبقة عينيها لأنها نسيت أن تأخذ نظارتها السوداء . كان يبدو أن المركب الشراعي الأبيض يتبع نفس إتجاهها، بشراعه الكبير المتساوي الساقين والذي نفختـه الريح . أثناء مسيرها، كانت ليلابي تنظر إلى البحر والسماء الزرقاء ، والشراع الأبيض ، وصخور الرأس البحري ، كانت مسرورة جداً لقرارها عدم الذهاب إلى المدرسة . كل شيء جميل جداً ، كأنما المدرسة لم تكن موجودة أبداً .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

كانت الريح تعبث بشعرها وتشبكه ، ريح باردة تلسع عينيها وتصيب جلد وجنتيها ويديها بالأحمرار . كانت تفكر بأنه شيء رائع السير بهذا الشكل ، تحت الشمس وفي الريح ، دون أن تعرف إلى أين تمضي .

عندما خرجت من المدينة ، وصلت أمام طريق المهربين. كان الطريق يبتدىء في وسط أجمة صنوبر ، نازلاً على طول الشاطىء ، حتى الصخور . البحر هنا أكثر جمالاً ، واسع ، مشبع بالضوء .

كانت ليلابي تتقدم في طريق المهربين ، ملاحظة أن البحر أصبح أكثر قوة . كانت الأمواج القصيرة تصطدم بالصخور التي بدورها ترسل موجات

مضادة ، تتقعر ، تعود . توقفت الفتاة على الصخور كي تصغي إلى البحر . كانت تعرف جيداً هديره ، الماء يتلاطم ، يتفتت ، ثم يتحد ويفجر الهواء ، تحب هذا كثيراً . لكن اليوم ، يبدو الأمر كما لو أنها تسمعه للمرة الأولى . لا يوجد شيء غير الصخور البيضاء ، البحر، الريح ، الشمس . كما لو أنها على قارب ، بعيداً في عمق البحر ، هناك حيث تعيش أسماك التون والدلافين.

لم تعد ليلابي تفكر بالمدرسة . البحر هكذا : يمحو أشياء الأرض ، لأنه يحوي الأشياء الأكثر نفاسة في العالم . الأزرق والضوء الشاسعان ، الريح ، هدير الأمواج العنيف والهادىء ، كان البحر يشبه حيواناً كبيراً ، حيواناً يقلب رأسه ويسوط الهواء بذيله .

إذا ، كانت ليلابي في أحسن أحوالها . ظلت جالسة على صخرة ملساء ، على طرف طريق المهربين ، وتنظر . كانت ترى الأفق الصافي ، الخط الأسود الذي يفصل البحر عن السماء . نسيت الشوارع ، المنازل ، السيارات ، الدراجات النارية .

ظلت لوقت طويل على صخرتها . ثم أخذت طريقها . لم يعد هناك منازل . المنازل الأخيرة أصبحت خلفها . استدارت ليلابي كي تراها ، وجدتها مضحكة بشابيكها المغلقة على واجهاتها البيضاء ، كما لو أنها كانت تنام . هنا ، لا توجد حدائق . بين الحصى ، نباتات كثيفة غريبة ، كرات شوكية واخزة ، صبار أصفر مغطى بندبات شوكية ، عليق ، عرائش. لا أحد يعيش هنا . كانت هناك فقط العظايا تركض بين الصخور، وإثنان أو ثلاثة من الزنابير التي تطير فوق الأعشاب ، التي لها رائحة العسل.

تشتعل الشمس بقوة في السماء . والصخور البيضـــاء تلمـع ، والزبـد كان فاتناً كالثلج . يكون المرء سعيداً ، هنا ، كما لو أنه في آخر العالم . لا ينتظر شيئاً ، لا يحتاج لأحد . نظرت ليلابي إلى الرأس البحري الـذي كـان يكبر أمامها ، الجرف الصخري مكسور عمودياً على البحـر . كـان طريـق المهربين يصل إلى حصن ألماني، مما يقتضي النزول إلى أخدود ضيـق ، تحـت الأرض . داخل النفق ، أصاب الهواء البـارد الفتـاة بقشـعريرة . كـان رطبـا وداكناً كما لو أنها في مغارة . جدران الحصن مليئة برائحة العفونة والبول. أما الطرف الآخر من النفق ، فقد كـان ينفتـح علـى مصطبـة اسمنتيـة بجـدار منخفض . نبت قليل من العشب في شقوق الأرض .

أغلقت ليلابي عينيها ، مبهورة بالضوء . كـانت تماماً تواجـه البحـر والريح .

فجأة ، علـى جـدار المصطبـة ، وجـدت الإشـارات الأولى . كـانت كتابة بالطباشير ، بأحرف كبيرة غير منتظمة تقول فقط :

(( اعثروا عليّ ))

نظرت ليلابي حولها للحظة ، بعد ذلك قالت بصوت منخض .

(( نعم ، لكن من أنت ؟ ))

عبر خطاف بحر كبير فوق المصطبة زاعقاً .

هزت ليلابي كتفيها ، ومضـت في طريقهـا . أصبـح طريـق المهربـين أكثر صعوبة ، لأنه كان قد دمر ، ربمـا خـلال الحـرب الأخـيرة ، مـن قبـل الذين بنوا الحصن . كـان يقتضـي الأمـر الصعـود والقفـز مـن الصخـرة إلى

أخرى ، بمساعدة اليدين كيلا تنزلق . أصبح الشـاطىء أكثر وعـورة ، وفي الأسفل ، كانت ليلابي ترى الماء عميقاً ، بلونه الزمردي ، يلاطم الصخور.

لحسن الحظ ، كانت تحسن السير جيداً على الصخـور ، بـل كـانت أفضل دراية بذلك من أي شيء آخر . يجب أن تخمن ، بسـرعة بنظراتهـا ، رؤية المعابر الصالحة ، الصخور التي يمكن الصعود عليها أو النزول منها ، أن تكشـف الطـرق الـتي تقـود إلى الأعلـى : يجـب تجنـب الطـرق المسـدودة ، الصخور الهشة ، الصدوع ، أدغال الشوك .

ربما يصلح هذا أن يكون تمريناً لدروس الرياضيات . (( لنأخذ صخرة بزاوية ٤٥ درجة مئوية ، ولنأخذ صخرة أخرى على بعـد ٢٫٥ م مـن باقـة وزال ١ ، من أين يمر المماس ؟ )) الصخور البيضاء شبيهة بمكتـب ، تخيلـت ليلابي الوجه القاسي للآنسة لورتي جالسة فوق صخرة كبيرة بشكل شبه منحرف ، وظهرها ملتفت نحو البحر . ربما لا يكون هذا ، حقـاً ، مسألة لدروس الرياضيات . هنـا ، يقتضـي الأمـر قبـل كـل شـيء تخمـين أمـاكن الخطورة . (( رسم خط عمودي على الأفق من أجـل الإسـتدلال بوضـوح على الإتجاه (( هكذا كان يقول السيد فيليـبي . كـان منتصبـاً بتـوازن علـى صخرة مائلة ، مبتسماً ابتسامة متسامحة كان شعره يبدو كتـاج تحـت ضـوء الشمس ، وخلف نظارته الحسيرة البصر ، كـانت عينـاه الزرقـاوان تلمعـان بغرابة .

كانت ليلابي مسرورة لإكتشـافها بـأن جسـدها يجـد الحـل بسـهولة للمسائل . تنحني إلى الأمام ، إلى الخلف ، تتوازن على ساق واحدة ، ومـن ثم تقفز بمرونة ، كانت قدماها تهبطان ، تماماً ، في المكان المراد .

(( جيد جداً )) ، يقول صوت السيد فيليبي في أذنها (( الفيزياء علـم الطبيعـة ، لا تنسـي هـذا أبـدا . تـابعي بهـذا الشـكل ، أنـت علـى الطريـق الصحيح )) .

(( نعم ، لكن إلى أين ؟ تتمتم ليلابي . في الحقيقة ، لم تكن تعرف ، بشكل جيد ، إلى أين يقودها هذا الطريق . ولكي تلتقط أنفاسـها ، وقفـت أيضاً ونظرت إلى البحر ، إلا أنه هنا ، أيضاً ، توجد مشكلة ، مادام أنه يراد حساب زاوية انكسار ضوء الشمس على سطح الماء .

(( لن أعرف أبداً )) ، تقول في داخلها .

(( لنضع في التطبيق قوانين ديكارت )) يصيح السيد فيليبي في أذنها .

بذلت ليلابي جهداً كي تتذكر .

(( الشعاع المنعكس )) ....

.... (( يبقى دوماً على مستوى السقوط )) ، قالت ليلابي .

يقول فيليبي :

(( جيد . القانون الثاني ؟ ))

(( عندما تزداد زاوية السقوط ، فإن زاوية الإنعكـاس تـزداد والنسـبة بين جيبي هاتين الزاويتين تبقى ثابتة )) .

(( ثابتة .. )) ، يصيح الصوت (( إذا ؟ )) (( جيب زاويـة السـقوط / جيب زاوية الانعكاس = ثابت معامل الماء / الهواء ؟ ))

(( ١ر٣٣ ))

(( قانون فوكو ؟ ))

(( معامل وسط بالنسبة لآخر يساوي نسبة السرعة للوسط الأول على سرعة الوسط الآخر )) .

(( من هنا ؟ ))

(( $N = V\ 1 / 72$

إلا أن أشعة الشمس كانت تتدفق من البحر دون توقف ، وكان العبور من حالة انكسار الأشعة إلى حالة ارتداد الأشعة الكامل يتم بسرعة ، بحيث أن ليلابي لا تستطيع أن تقوم بحساباتها . خطر ببالها أن تكتب فيما بعد إلى السيد فيليبي ، كي تسأله .

ARCHIVE

الجو حار . بحثت الفتاة عن مكان تستطيع أن تستحم فيه . فوجدت، على بعد مسافة قصيرة ، خليجاً صغيرا يحتوي على أنقاض رصيف . نزلت ليلابي إلى حافة الماء وخلعت ملابسها .

كان الماء صافيا ، بارداً . غطست ليلابي دون تردد ، شعرت بالماء وهو يضغط على مسامات جلدها . سبحت للحظة طويلة تحت الماء ، بعينين مفتوحتين . ثم جلست على اسمنت الرصيف كي تجفف جسدها . الآن ، الشمس في محورها الشاقولي ، والضوء لم يعد يرتد . يلمع بقوة على القطرات المعلقة بجلد بطنها وعلى الزغب الناعم لفخذيها .

جعلها الماء البارد تشعر بالراحة . غسل أفكار رأسها ، و لم تعد تفكر بمسائل المماسات ولا بالمعاملات المطلقة للأجسام . كانت ترغب أيضاً بكتابة رسالة لوالدها . أحضرت ورق الرسائل من حقيبتها ، وبدأت تكتب

بقلم ناشف ، تماماً في أسفل الصفحة . تاركة آثاراً على الورقة من يديها المبلولتين .

(( ليـبـبي

أعانقك :

تعال بسرعة لتراني هنا حيث أكون )) ..

ثم كتبت في وسط الصفحة :

(( ربما أقوم ببعض الحماقات لا أستحق أن يحقد عليّ . كان لدي الانطباع بأني مسجونة ، إنك لا تستطيع أن تدرك ذلك ، ربما تدرك كل ذلك إلا أنك تملك الشجاعة للبقاء .ليس أنا ، تخيل كا هذه الجدران في كل مكان جدران كثيرة لا تستطيع عدها ، مع الأسلاك الحديدية الشائكة ، الأسيجة ، قضبان النوافذ ... تخيل الباحة بكل هذه الأشجار ، أشجار الكستناء ، الزيزفون الدلب ، خصوصاً، الدلب البغيض، تفقد بشرتها ، ويقال إنها مريضة..

قليلاً الى الأعلى ، كتبت:

"أتدري هناك الكثير من الأشياء التي أريدها هناك الكثير الكثير الكثير

أشياء أريدها لاأدري إذا كنت أستطيع أن أذكرها لك . أشياء تفتقد كثيرا هنا اشياء كنت أحبهامنذ زمن بعيد العشب الأخضر الزهور والطيور الأنهار لو كنت هنا لأستطعت أن تكلمني عنها وأن أراها حولي لكن في المدرسة الثانوية لايوجد أحد يستطيع أن يتكلم عن هذه الأشياء الفتيات غبيات ليس لديهن غير البكاء .. والفتيان حمقى .. لايحبون إلا دراجاتهم النارية وستراتهم ....

تصعد إلى أعلى الصفحة

"بابا العزيز

نهار سعيد. أكتب لك من شاطئ صغير جداً ، أنه حقاً صغير لدرجة اني أعتقد أنه شاطئ بمكان واحد مع رصيف مدمر عليه أجلس الآن (بعد أن استحسنت) بريد البحر أن يأكل الشاطئ الصغير يرسل لسانه إلى العمق ولاتوجد طريقة كي يبقى جافا سترى الكثير من بقع ماء البحر على رسالتي، أتمنى أن يرضيك هذا إني وحدي هنا إلا أني أستمتع بشكل جيد الآن، لن أعاود الذهاب الى المدرسة ابدا إن هذا قرار نهائي. لن أذهب أبدا، حتى ولو وضعت في سجن وهذا لن يكون الأسوأ".

لم يبق كثير من الفراغ على الورقة. لذلك، أخذت ليلابى تتسلى بسد الفراغات الواحد بعد الآخر، بكتابة كلمات، مقاطع عبارات ، دون ترابط:

"البحر أزرق"

"شمس"

"أرسل لي السحليبات البيض"
"أكتب لي"
"هناك قارب يعبر ، إلى أين هو ذاهب ياترى"
"أريد أن أكون على جبل كبير"
"قل لي، كيف يكون الضوء عندك"
:كلمني عن صيادي المرجان"

"كيف حال سلوقي"
وتغلق الفراغات البيضاء الأخيرة بكلمات:
"طحالب"
"مرآة"
"بعيد"
"حباحب"
"رالي"
"رقاص"
"كزبرة"
"نجمة"

بعد ذلك ثنت الورقة ووضعتها في المغلف، مع ورقة عشب برائحة العسل.

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

حين صعدت عبر الصخور ، رأت للمرة الثانية إشارات غريبة مكتوبة بالطبشور على الصخور. كان هناك أيضاً أسهم كي تشير إلى الطريق. على صخرة ملساء كبيرة ، قرأت:

"لاتتراجع"..

وعلى مسافة قصيرة:

"ربما سينتهي كل هذا في ذيل سمكة"

نظرت ليلابي، من جديد، حولها، فلم تر أحدا بين الصخور ، أيضاً في البعيد حيث تستطيع الرؤية. تابعت طريقها. تسلقت، عاودت النزول ،

قفزت فوق الشقوق ، إلى أن وصلت في النهاية إلى طرف الـرأس البحـري، حيث كان هناك ، هضبة حجارة، والمنزل اليوناني .

وقفت ليلابي، مذهولة. أبدا لم تر مـنزلا بهـذا الجمـال . بـني وسـط الصخور والنباتات الكثيفة، مواجها البحر ، مربع وبسيط مع شرفة مسنودة بستة أعمدة، كان يشبه معبداصغيراً. بياضـه فـاتن، جـاثم مقـابل الجـرف الشديد الإنحدار، والذي يحميه من الريح والنظرات.

اقتربت ليلابي، ببطء، من المنزل، بقلـب يخفـق بقـوة. لم يكـن هنـاك أحد، لابد أنه مهجور منذ سنين، لأن الأعشاب والعرائـش غـزت الشـرفة، والأرجوانيات تلتف وتحيط الأعمدة .

حين أصبحت قريبة من المنزل، رأت كلمة محفورة فـوق البوابـة ، في جبصين أعمدة الواجهة:

XAPIEMA

كاريسما

قرات ليلابي الأسم بصوت عال ، معتقدة أنه لايوجد أبـداً مـنزل لـه جمال هذا الأسم .

كان المنزل محاطاً بسياج شبكي صدئ. مشت ليلابي بمحاذاة السياج كي تجد مدخلاً. إلى أن وصلت إلى مكان، كان فيه السياج مرفوعـاً، ومـن هناك عبرت على أربع . لم تكـن خائفـة، كـل شـيء كـان صامتـاً. مشـت ليلابي في الحديقة إلى أن وصلت إلى سلم الشرفة ، وقفت أمام بوابة المـنزل. بعد لحظة تردد، دفعت الباب. كان داخل المنزل مظلماً، مما دعاها أن تنتظر

حتى تتعود عيناها الرؤية. رات غرفة واحدة بجدران تالفـة، وبأرضيـة مليئـة ببقايا خرق قديمة وجرائد ، كان داخـل المنزل بـارداً ، دون شـك لم تكـن النوافذ مفتوحةمنذ سنين ، حاولت ليلابي فتح أحد أبـواب النوافـذ، إلا أنـه كان مستعصياً على الفتح حين اعتادت عيناها على العتمة، رات ليلابي أنها لم تكن الوحيدة التي دخلت هنا. كانت الجدران مغطاة برسوم فاحشة. ممـا جعلها تغضب، كما لو أن المنزل، كان حقاً منزلها. حاولت مسـح الرسـوم بخرقة. ثم خرجت إلى الشرفة، وسحبت بقوة الباب مما جعل مقبـض البـاب ينكسر، وجعلها تقع.

إلا أنه من الخارج ، كان المنزل جميلاً. جلست ليلابـي على الشـرفة مستندة إلى أحد الأعمدة، ومحدقة إلى البحر أمامها . كان شيئاً جميلاً، فقـط هدير الماء والريح التي تهب بين الأعمدة البيضاء. بين الأعمدة المنتصبة، كان البحر والسماء يبدوان دون حدود. لم تعد هنا الأرض ، لم يعد لها جذور.. كانت الفتاة تتنفس ببطء، بظهر منتصب وبرقبة مستندة إلى عمـود معتـدل الحرارة ، وفي كل مرة تستنشق الهواء فيها ، كـانت كمـا لـو أنهـا في عـالم آخر ، على حافة موشور.

كانت ليلابي تتنصت إلىصوت يأتي من الريح ، يتحدث قرب أذنيها لم يكن صوت السيد فيليبي، لكنه صوت قديم جدا، اجتاز السماء والبحـر. صوت رقيق وخفيض يتردد حولهـا، في الضـوء الحـار يـردد اسمهـا القديـم ، الأسم الذي سماها به والدها ذات يوم، قبل ان تغفو.

"أريل ... أريل ..

بهدوء، ثم شيئاً فشـيئاً بصـوت مرتفـع ، كـانت ليلابـي تغـني الهـواء الذي لم تنسه منذ سنين كثيرة :

: أرشف أينما يرشف النحل

في أجراس الربيع أستلقي:

هناك أسلتقي حين تصرخ البوم.

على ظهر الخفاش أطير

بعد الصيف، بمرح:

سأعيش الان تحت الأزهار التي تتلى على الغصن، بمرح بمرح"٢

كان صوتها المضيء يذهب إلى الفضاء الطلق ، يحملها فوق البحر . كانت ترى كل شيء ، وراء الشطآن الغامضة ، وراء المدن، الجبال. كانت ترى طريق البحر المريض، حيث تتقدم خطوط الأمواج، كانت ترى الطرف الآخر من البحر الشريط الطويل للأرض الرمادية والداكنة حيث تنمو غابات الأرز، بل أكثر بعداً، كالخيال ، الذروة الثلجية لكاها يانبور.

ظلت ليلابي لوقت طويل جالسة مستندة إلى الأعمدة ، تنظر إلى البحر وتغني لنفسها كلمات أغنية أريل، والأغاني الأخرى ، التي ابتكرها والدها. ظلت إلى أن أصبحت الشمس قريبة من خط الأفق، وإلى أن أصبح البحر بنفسجياً.

غادرت المنزل اليوناني، متبعة طريق المهربين في اتجاه المدينة. حين وصلت إلى جانب الحصن ، لمحت فتى صغيراً عائداً من الصيد . التفت لينتظرها.

"مساء الخير .."، قالت ليلابي.

"مرحباً .." قالت ليلابي.

"مرحباً .." قال الفتى .

على وجهه تبدو علامات الجدية ، يخفي عينيـه بنظـارة. كـان يحمـل سنارة كبيرة وكيس صيد ويعلق حذاءه حول عنقه كي يمشي.

مشيا معاً، يتكلمان. عندما وصلا الى آخـر الطريـق ، كـان قـد بقـي للنهارعدة دقائق، لذلـك جلسـا علـى الصخـور لرؤيـة البحـر. لبـس الفتـى حذاءه. وروى لليلابي قصة نظارته . فقال إنه في يوم من الأيام، منذ سنين عديدة ، أراد رؤية كسوف الشمس ومنذ ذلك الوقت تركـت لـه الشـمس علامة في عينه.

اثناء هذا الوقت ، اختفت الشمس . رأيا المنارة تضـاء، ثـم مصـابيح واضـواء مواقـع الطـائرات. أسـود المـاء فنهـض الفتـى اولاً. التقـط سـنارته وكيسه وأشار لليلابي قبل أن يغادر.

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

حين ابتعد قليلاً، صرخت ليلابي:

"غداً ـ أرسم لي صورة "..

هز الفتى رأسه، مجيباً : نعم.

منذ أيام وليلابي تذهب ناحية المنزل اليوناني . كانت تحـب اللحظـة التي تعقب القفز على كل الصخور ، تلهث بقوة مـن الركـض والتسـلق في كل مكان ، تمتلئ من الريح والضـوء، تـرى مقـابل الجـرف ، انبثـاق الظـل الأبيض يمكن رؤيـة ذرى الأمـواج. حـين تصـل ليلابـي أمـام المـنزل، تقـف وقلبهـا يخفـق بسـرعة وبقـوة ، شـاعرة بحـرارة غريبـة في عـروق جسـدها، بالتأكيد أن هناك سراً في هذا المكان.

كانت الريح تهب مباغتة ، وكانت ليلابي تشعر بضوء الشمس الذي يغطيها برقة، مكهرباً بشرتها وشعرها , تتنفس بعمق أكثر ، كما لو أنها ستسبح طويلاً تحت الماء.

ببطء ، تدور حول السياج، إلى أن تصل المدخل. كانت تقترب من المنزل، وهي تنظرْ إلى الأعمدة الستة التي ابيضت بفعل الضوء .

وبصوت عال ، كانت تتفوه بالكلمة السحرية المكتوبة في جبصين الواجهة، ربما بسبب هذه الكلمة كانت تشعر بهذا القدر من السلام والضوء:KARISMA

كانت الكلمة تشع في داخل جسدها، كما لو أنها كانت مكتوبة في داخلها، أو كما لو أن الكلمة تنتظرها. كانت ليلابي تجلس على أرض الشرفة ، مستندة إلى العمود اليميني الأخير ناظرة إلى البحر .

كانت الشمس تحرق وجهها. وأشعة الضوء تخرج من جسدها، من أصابعها ، من عيونها ، من فمها، من شعرها، منضمة إلى لمعان الصخور والبحر.

الصمت يملأ المكان، صمت كبير وقوي ، مما يدخل الإنطباع إلى ليلابي بأنها ستموت. بسرعة، تخرج الحياة منها وتغادر ، ذاهبة إلى السماء والبحر. كان ذلك عسيراً على الفهم، إلا أن ليلابي كانت متأكدة ان الموت يحدث هكذا . يبقى جسدها حيث هو ، في وضع الجلوس ، الظهر مسنود على العمود الأبيض ، مغطى بالحرارة والضوء . إلا أن الحركة تغادرها، تذوب أمامها. لاتستطيع أن تمسك بها. تشعر بكل شيء يغادرها، يبتعد عنها بسرعة كبيرة كطيران الزرازير، كاندفاعات الغبار . كل

حركتهـا: حركـة ذراعيهـا وسـاقيها، اضطرابهـــا الداخلـي، القشـعريرة ، الرجفة. كل هذا يغادرها بسرعة ، إلى الأمام ، مرمياً إلى الفضاء نحو الضوء والبحر. كان شـيئاً رائعـاً، لم تكـن تقاومـه. لم تكـن تغلـق عينيهـا . تتسـع حدقتاها ، تنظر أمامها، دون أن ترمش ، دائماً إلى نفس النقطـة، إلى الخـط الرقيق للأفق، هناك حيث الثنية التي تفصل السماء والبحر.

يتباطأ تنفسها شـيئاً فشـيئاً، وفي صدرهـا، يبـاعد القلـب بـين دقاتـه، ببطء، ببطء . تبدو كما لو أن الحياة قد غادرتها فقـط نظرتهـا الـتي تتسـع، التي تتمزج في الفضاء كحزمـة ضـوء. تشـعر ليلابـي بجسـدها ينفتـح برقـة، كباب، وتنتظر الأنضمام إلى البحر. تعـرف بأنهـا سـترى كـل هـذا ، قريبـاً لذلـك، لاتفكـر بشـيء ، لاتريـد أي شـيء آخـر. جسـدها يبقـى بعيـداً في الخلف، يصبح شبيهاً بالأعمدة البيضاء وبالجدران المغطاة بالجبصين سـاكناً، صامتاً. هذا هو سر المنزل. الوصول إلى أعلى البحر، تماماً، إلى قمة الجـدار الكبير الأزرق ، إلى المكان الذي تستطيع منه رؤية الشـاطئ الآخـر. كـانت نظرة ليلابي تتسع ، تطير في الهواء، على الضوء ، فوق الماء.

لم يكن جسدها بارداً كالموتى في غرفهم. كان الضوء يتابع الدخـول الى عمق أحشائها، إلىمـخ عظامهـا، كـانت تعيـش بنفـس حـرارة الهـواء ، كالعظايا.

كانت ليلابي كغيمة ، كغاز اختلطت بكل ماحولها. كانت كرائحـة الصنوبـر المسـخن بحـرارة الشـمس، علـى التـلال، كرائحـة عشـب برائحـة العسل. كان رذاذ أمواج حيث يزدهي قوس قزح، كـانت الريـح ، النسـمة الرطبة القادمة من البحر ، النسمة الحارة كأنفاس الأرض المخمرة على سفح الأدغال . كانت كالملح، الملح الذي يلمع كـالندى الفضـي علـى الصخـور

العتيقة أو كملح البحر ، الملح الثقيل الحريف في أودية ماتحت البحار. لم يعد هناك ليلابي واحدة جالسة على شرفة منزل يوناني عتيق يعمه الخراب. تعددت ليلابي كبريق الضوء على الأمواج .

كانت ليلابي ترى بكل عيونها، من كل الجهات. كانت ترى أشياء لم تكن لتتخيلها أشياء صغيرة جداً، مخابئ حشرات، دهاليز الدود. كانت ترى أوراق نباتات كثيفة، جذوراً. كانت ترى أشياء كبيرة جداً، مارواء الغيوم ، النجوم خلف قبة السماء، المجموعات القطبية ، الأودية الكبيرة للبحر اللانهائية العمق. كانت ترى كل هذا في اللحظة ذاتها، كل نظرة كانت تستمر أشهراً، سنوات كانت ترى دون ان تفهم، لأن الذي كان يجوب الفضاء أمامها، حركة جسدها المنفصلة عنه.

كان ذلك كما لو أنها استطاعت، بعد الموت، معاينة القوانين التي تشكل العالم . كانت قوانين غريبة، لاتشبه إطلاقاً القوانين المكتوبة في الكتب، والتي نتعلمها عن ظهر قلب في المدرسة. كان هناك قانون الأفق الذي يجذب الجسد، قانون طويل جداً ورقيق جداً ، شعاع واحد قاس يوحد طبقتي السماء والبحر. هناك، كان كل شيء يولد، يتضاعف مشكلاً أسراب أرقام وإشارات، تحجب الشمس وتبتعد نحو المجهول. كان هناك قانون البحر ، دون بداية ولانهاية، حيث تتكسر أشعة الضوء. كان هناك قانون السماء ، قانون الريح ، قانون الشمس ، قوانين لايمكن فهمها ، لأن إشاراتها لاتنتمي إلى البشر.

فيما بعد ، عندما استيقظت ليلابي، حاولت تذكر الذي رأته. أرادت كتابة كل هذا للسيد فيليبي، ربما يستطيع أن يفهم معاني هذه

الأرقام والإشارات . إلا أنها لم تجد غير فتات عبارات، رددتها عدة مـرات بصوت عال:

"هنا حيث نشرب البحر "

"نقاط ارتكاز الأفق"

" عجلات (أو طرق) البحر"

هزت كتفيها، لأن هذا لم يكن ذا معنى.

غـادرت ليلابـي، بعـد ذلـك، مكانهـا، خرجـت مـن حديقـة المـنزل اليوناني ونزلت نحو البحر. عادت الريح بغتة، فأطارت شعرها وثيابها، كما لو أنها أرادت ان تعيد ترتيب كل شيء.

كـانت ليلابـي تحـب هـذه الريـح. أرادت ان تعطيهـا شيئاً مـا، لأن الريح، غالباً، تحتاج إلى أن تأكل، أوراق شجر، غبارا، قبعات الرجـال، أو قطرات الماء التي تنتزعها من البحر أو الغيوم.

كانت ليلابي تجلـس في تجويـف صخـرة ، بـالقرب مـن المـاء حيـث كانت الأمواج تأتي لتلامس قدميها. كانت الشـمس سـاطعة فـوق البحـر، كانت تبهرها بانعكاسها على جوانب الأمواج.

لم يكن هناك أحد غير الشمس والريح والبحر، أخـذت ليلابـي علبـة الرسائل من حقيبتها. كانت تسحبها رسالة، رسالة مبعدة الخيط المطـاطي ، كانت تقرأ عدة كلمات، عدة عبارات، دون تعيين. كـانت أحيانـاً لاتفهـم شيئاً، فتعيد القراءة بصوت عال ليكون ذلك أكثر صدقاً.

.." القماش الأحمر الذي يرفرف كالأعلام"..

"النرجس الأصفر على مكتبين بالقرب من نافذتي، هل ترينه ياأريل؟"

"أسمع صوتك تتكلمين في الهواء .."

".. أريل ، هواء أريل..

"من أجلك، من أجل أن تذكري دائماً"

كانت ليلابي تلقى الأوراق في الريح. كانت تطير بسرعة مع صوت تمزيقها ، تطير فوق البحر ، بترنح كالفراش في الزوبعة. أوراق رسائل متشحة بالزرقة ، تختفي فجأة في البحر. كان ممتعاً إلقاء هذه الأوراق في الريح، بعثرة هذه الكلمات، كانت ليلابي ترى الريح تأكلها ببهجة.

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

كانت ليلابي راغبة بإشعال نار. بحثت بين الصخور عن مكان لاتهب فيه الريح بقوة . وعلى بعد مسافة قصيرة وجدت الخليج الصغير ذا الميناء المهدم، لتستقر فيه.

كان مكاناً جيداً لإشعال النار. كانت الصخور البيضاء تحيط بالميناء، وهبات الريح لاتصل إلى هنا. في قاعدة الصخرة، كان تجويف جاف وحار، وسرعان ماارتفع اللهب، خفيفاً، فاقعاً، مع رجفة ناعمة. كانت ليلابي تلقي فيها دون توقف أوراقاً جديدة تشتعل بسرعة لأنها كانت جافة رقيقة، وسرعان ماتتلاشى.

شيء ممتع رؤية الأوراق الزرقاء تتلوى في النار، والكلمات تهرب متقهقرة إلى جهة مجهولة. خطر في بال ليلابي أن أباها يجب أن يكون هنا

لرؤية احتراق رسائله. لإنه لايكتب كلمات كي تبقى. قال ذلك لها ، ذات يوم، على الشاطئ، كان قد وضع رسالة في زجاجة قديمة زرقاء، ليرميها بعيداً في البحر. كلمات لأجلها فقط ، كي تقرأها وتسمع صخب صوته، والآن، تستطيع الكلمات أن تعود من المكان الذي جاءت منه، بسرعة، على هيئة ضوء ودخان، في الهواء ، وتصبح غير مرئية. ربما أحدهم، من الطرف الآخر للبحر ، يرى الدخان واللهب الذي يلمع كالمرآة، ويفهم.

تغذي ليلابي النار بأخشاب وبأغصان صغيرة وبالأشنيات الجافة من أجل أن يستمر اللهب. كان الهواء يفوح بكل أنواع الروائح، رائحة خفيفة ومحلاة قليلاً لورق الرسائل، الرائحة القوية للفحم والخشب، الدخان الثقيل للأشنيات. كانت ليلابي تنظر إلى الكلمات التي تغادر مسرعة، أسرع من الأفكار كالوميض. من وقت لآخر، كانت تتعرف عليها مشوهة وغريبة ، ملوية من النار، وكانت ليلابي تضحك.

فجأة، شعرت ليلابي بوجود أحد خلفها، فاستدارت. كان الفتى الصغير ذو النظارة ينظر إليها، منتصباً على صخرة فوقها. مازالت سنارته، في يده حذاؤه معقود حول عنقه.

سألها: لماذا تحرقين الورق؟"

ابتسمت ليلابي له .

قالت: "لأن ذلك ممتع .... انظر"..

وضعت في النار ورقة كبيرة زرقاء رسم عليها شجرة .

قال الفتى الصغير:" إنها تحترق جيداً.

"أترى، كانت راغبة في الإحتراق " تشرح ليلابي."كانت تنتظر هـذا من وقت طويل، كانت جافة كأوراق ميتة، لهذا السبب، تحترق جيداً".

وضـع الفتـى الصغـير ذو النظـارة صنارتـه وذهـب يحضـر الأغصـان الصغيرة من أجل النار. أمضيـا لحظـات ممتعـة في إحـراق كـل مايستطيعان احراقه. اسودت يـدا ليلابـي مـن الدخـان ووخزتهـا عيناهـا. تعـب الأثنـان وانهكا من انشغالهما بالنار. والآن ، بدت النار متعبـة، أيضـاً, لهبهـا أصبـح قصيراً، وانطفأت الأغصان الصغيرة والأوراق واحدة وراء واحدة.

قال الفتى الصغير وهو يمسح نظاراته: ستنطفئ النار".

"لأنه لم يعد هناك رسائل. هذا ماتريده".

أخرج الفتى الصغير من جيبه ورقة مثنية أربع ثنيات.

سألت ليلابي "ماهذه؟" أخذت الورقة وفتحتها. كانت رسمـاً لأمـرأة بوجه أسود. تعرفت ليلابي فيها على كنزتها الصوفية الخضراء.

"أهذا رسمي؟"

"رسمته لأجلك، قال الفتى الصغير. " لكن بإمكاننا إحراقه".

إلا أن ليلابي ثنت الرسم ونظرت إلى انطفاء النار.

سأل الفتى الصغير: " الا تريدين إحراقه الآن؟".

قالت ليلابي : "لا، ليس اليوم".

بعد انطفاء النار، انطفا الدخان، وهبت الريح على الرماد.

قالت ليلابي:" سأحرقه عندما أحبه كثيراً".

ظلا لوقت طويل جالسين على الرصيف، ينظـران إلى البحـر دون أن يتكلما، كانت الريح تمر على البحر ، مثيرة الرذاذ الذي كان يخز وجهيهما. كان ذلك كما لو أنهما جالسين علىمقدمـة قـارب ، في عـرض البحـر. لم يكن يسمع شيئاً آخر ، سوى صخب الأمواج وعريف الريح الممتد.

عندما بلغت الشمس كبد السماء في الظهيرة، نهض الفتى الصغير ذو النظارة والتقط سنارته وحذاءه.

قال :"أنا ذاهب "

"ألا تريد البقاء؟"

"لاأستطيع، علي أن أعود." نهضت ليلابي هي الأخرى .

سأل الفتى الصغير:" أستبقين هنا؟".

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

"لا، سأذهب هناك ، أبعد ".

صعدت على الصخور ، في أخر الرأس البحري.

"هناك، يوجد منزل آخر، إلا أنه أكبر ، يقـال إنـه مسـرح. : شـرح الفتى الصغير لليلابي ." يجب تسلق الصخور، وبعد ذلك يمكن الدخول مـن الأسفل".

" هل ذهبت إلى هناك "؟

نعم، غالباً . إنه جميل، إلا أنه يصعب الوصول إليه.

وضع الفتى الصغير حذاءه حول عنقه وابتعد بسرعة.

قالت ليلابي : " إلى اللقاء.."

قال الفتى الصغير:" مع السلامة.."

مشت ليلابي نحو الرأس . ركضت ، قافزة من صخرة إلى أخرى. لم يعد هناك طريق. يجب تسلق الصخور ، بالتشبث بجذور الخلنج والأعشاب. كانت بعيدة ضائعة وسط الصخور البيضاء، معلقة بين السماء والبحر. بالرغم من برودة الريح، كانت ليلابي تشعر بأشعة الشمس المحرقة، تنضح عرقاً تحت ثيابها. كانت حقيبتها تزعجها، لذلك قررت إخفاءها في مكان ما ، لأخذها فيما بعد. طمرتها في حفرة، في سفح شجرة صبارة كبيرة. أغلقت المخبأ بحجرين أو ثلاثة .

فرقها، الآن، كان يربض المنزل الاسمنتي الغريب الذي تكلم عنه الفتى الصغير . للوصول إليه، كان ينبغي صعود الركام. كانت الأنقاض البيضاء تلمع في ضوء الشمس. ترددت ليلابي للحظة، لأن كل شيء في هذا المكان يلتف بالغرابة والصمت. فوق البحر كان معلقاً بالجدار الصخري بجدرانه الأسمنتية العالية الخالية من النوافذ.

كان هناك طير يحلق فوق الأنقاض، امتلأت ليلابي فجأة بالرغبة بأن تكون في الأعلى. بدأت تتسلق الركام. كانت نتوءات الأحجار تكشط يديها وركبتيها ، تنزلق خلفها كتل جرفية صغيرة. عندما وصلت إلى الأعلى، استدارت لترى البحر، الشاسع ، الأزرق، البحر يملأ الفضاء إلى الأفق الكبير، الذي يبدو كسقف بلا نهاية، قبة عملاقة من معدن داكن، حيث تتحرك كل تجاعيد الأمواج. كانت السماء تشتعل فوقها، أما هي ،

فكانت ترى البقع والطرق المعتمة، غابات الأشنيات ، آثار الزبد. كانت الريح تكتسح البحر دون توقف ، تصقل سطحه.

فتحت ليلابي عينيها ونظرت إلى كل شيء، متشبثة بالصخور بأظافرها. البحر كان جميلاً جداً خيل إليها ، بأنه كان يجتاز رأسها وجسدها بسرعة ، بأنه كان يحمل إليها الاف الأفكار ، دفعة واحدة.

ببطء، وحذر ، اقتربت ليلابي من الأنقاض . كان الأمر ماقاله الفتى الصغير ذو النظارة، مسرح بجدارن كبيرة من الأسمنت المسلح . نمت النباتات بين الجدران العالية، عوسج وعرائش غطت ، تماماً، الأرض. على الجدران، كان هناك سقف خرساني ، مثقوب في بعض الأماكن . كانت الريح تندفع من الأبواب والنوافذ، من كل جهة من البناء، مع هبات قوية تدفع حديد التسليح الخرساني للسقف إلى الحركة. كانت الصفائح المعدنية تتلاطم مصدرة موسيقا غريبة ، فيما ليلابي ظلت ساكنة للإنصات إليها . كانت كصرخات خطاف البحر وكهدير الموج،موسيقا عجيبة، خيالية ، دون إيقاع، تجعل المرء يصاب بقشعريرة عادت ليلابي إلى المسير بمحاذاة الجدار الخارجي كان يوجد طريق ضيق يعبر بين العوسج، يقود إلى سلم هدم نصفه . صعدت ليلابي درجات السلم، ووصلت إلى منصه، تحت السقف يمكن رؤية البحر من خلال ثغر . جلست ليلابي في ذلك المكان، مقابل الأفق، تحت الشمس ، تتابع النظر الى البحر . ثم أغلقت عينيها .

فجأة اختلجت ليلابي ، لأنها قد شعرت بوصول شخص ما، لم تكن هناك أي ضجة سوى حركة الصفائح الحديدية للسقف بفعل الرياح، مع ذلك شعرت بالخطر. في الطرف الآخر من الأنقاض، على الطريق الذي يعبر العوسج، وصل شخص ما. كان رجلاً يرتدي سروالاً من كتان، بوجه

أسود من الشمس ، بشعر أشعث. يمشي دون أن يصدر أي ضجة ، متوقفاً من وقت إلى آخر ، كما لو أنه يبحث عن شيء ما. ظلت ليلابي ساكنة ملتصقة بالحائط، بقلب يخفق، راجية أن لايراها. دون أن تفهم لماذا، كانت تعلم أن الرجل يبحث عنها، حبست أنفاسها كيلا يسمعها. إلا أنه حينما اجتاز الرجل نصف الطريق ، رفع رأسه بهدوء ورأى الفتاة. كانت عيناه الخضراوان تلمعان بغرابة في وجهه الداكن. ودون أن يسرع، بدأ يمشي نحو السلم . إلا أن الوقت أصبح متأخراً للنزول، بقفزة واحدة، خرجت ليلابي من الثغر وتسلقت السقف. كانت الريح تهب بقوة لدرجة أنها كادت تقع. أسرعت بقدر ماتستطيع ، راكضة نحو الطرف الآخر للسقف، تسمع وقع قدميه بين أنقاض الصالة الكبرى. قلبها يخفق بقوة في صدرها. حين وصلت إلى نهاية السقف ، توقفت ، أمامها ، كانت تفصلها حفرة كبيرة عن جدار الجرف. أنصتت حولها. لم يكن هناك شيء سوى صخب الريح في الصفائح المعدنية للسقف، إلا أنها كانت تعرف أن الرجل المجهول لم يكن بعيداً، كان يركض في الطريق وسط العوسج ليدور حول الأنقاض ويجيء من الخلف. لذلك قفزت ليلابي . ساقطة على انحدار الجرف. التوى كاحلها الأيسر، وشعرت بالألم، صارخة فقط :" أي"..

انبثق الرجل أمامها ، دون أن تفهم من أين. كانت يداه مخدوشتين بالعوسج، يلهث قليلاً. ظل ساكناً أمامها، عيناه الخضراوان جامدتان كقطع صغيرة من الزجاج. أهو الذي كتب الرسائل بالطبشور، طوال الطريق على الصخور؟ أهو الذي دخل البيت اليوناني الجميل، ووسخ الجدران بالعبارات الفاحشة ؟ كان قريباً جداً منها لدرجة أنها شمت رائحته، رائحة عرق لاطعم لها، واخزة ، أشبعت ثيابه وشعره . فجأة ، خطا خطوة إلى الأمام ،

فم مفتـوح، عينـان ضيقتـان قليـلا. رغـم الألم في كاحلهـا، قفـزت ليلابـي وبدأت الـنزول مـن الجـرف . حـين وصلـت إلى أسـفل الجـرف ، توقفـت واستدارت . أمام الجدران البيضاء للأنقـاض، كـان الرجـل يقـف بذراعـين متباعدتين، كمن يحاول أن يحافظ على توازنه.

كانت الشمس قوية فـوق البحـر ، وبفضـل الريـح البـاردة، شـعرت ليلابي بأنها كانت تسترد قوتها . شعرت أيضاً بالأشمئزاز وبالغضب اللذيـن حلا شيئاً فشيئاً محل الخوف. وفجأة ، فهمت بأنه لاشيء يمكن أن يصيبها . كانت الريح ، البحر ، الشمس. تذكرت كـلام أبيهـا الـذي قـال لهـا يومـاً بخصـوص الريـح ، البحـر ، الشـمس ، عبـارة طويلـة تتحـدث عـن الحريـة والفضاء . شيئاً من هذا القبيل . وقفت ليلابـي على صخـرة تشـبه مقدمـة سفينة ، فوق البحر ، وأرجعت رأسها إلى الخلف ، كي تشعر بشكل أفضل بحرارة الضوء على جبهتها وجفنيها . كان والدهـا هـو الـذي علمهـا فعـل ذلك ، كي تسترد قواها، كان يسمي هذه الحركة :" شرب الشمس."

نظرت ليلابي إلى البحر الذي كان يتهادى أمامها ، ملاطما الصخور بهيجانـه وفقاعاتـه . تركـت جسـدها يسـقط في المـاء ، الـرأس أولا، ثـم غطست في الموجة. لفها الماء البارد ضاغطاً على طبلة الأذن وفتحتي أنفهـا، ورأت في عينها بريقا فاتنا. عندما صعدت إلى سطح المـاء. نفضـت شـعرها وأطلقت صرخة . بعيداً خلفها، كسـفينة ضخمـة رماديـة ، كـانت الأرض تهتز مثقلة بالحجارة والنباتات. في القمة ، كان المنزل الأبيض المتهـدم يشـبه ممراً مفتوحاً نحو السماء.

للحظة تركت ليلابي نفسها لحركة الموج البطيئـة ، كـانت ملابسـها ملتصقة بجسـدها كالأشنيات . ثـم بـدأت تسبح سباحة الكـرول لمسـافة

طويلة، نحو العمق إلى أن ابتعد الرأس وإلى أن تصبح الخط الشاحب لبنايات المدينة بالكاد مرئياً في الجو السديمي.

كل مايجري لايمكن أن يـدوم طويـلاً. كـانت ليلابـي تـدرك ذلـك . فكل هؤلاء الناس ، في المدرسة، في الشارع. كانوا يرون ويتحدثون كثيراً . هناك فتيات ، أوقفن ليلابي كي يقلن لها بأنهـا تبـالغ قليـلاً ، وبـأن مديـرة المدرسـة وكـل النـاس يعلمـون جيـداً بأنهـا لم تكـن مريضـة. بالإضافـة إلى الرسائل التي كانت، تطلب تفسيراً للأمر. فتحتها ليلابـي بجيبـة باسـم أمهـا، حتى إنها ، ذات يوم، اتصلت هاتفياً بمكتب مراقب المدرسة، مقلدة صـوت أمها كي تشرح بان ابنتها مريضة ، مريضة جداً، وبانهـا لاتسـتطيع العـودة إلى المدرسة .

كانت ليلابي تدرك أن كل هذا لايمكن أن يدوم . كتب السيد فيليبي لها رسالة ليست بالطويلـة جـداً، رسـالة غريبـة كـي يطلـب إليهـا العـودة. وضعت ليلابي الرسالة في جيب سترتها، كانت تحملها دائماً معهـا. أرادت أن تجيبه كي تشرح له، إلا أنهـا كـانت خائفـة مـن احتمـال قـراءة المديـرة للرسالة ، وبالتالي ستعلم بأنها لم تكن مريضة، وبأنها كانت تتنزه.

في الصباح ، حين خرجـت مـن الشـقة ، كـان الجـو رائعـاً . وأمهـا لاتزال نائمة ، بسبب الحبوب التي تتناولها كـل مسـاء منـذ الحـادث . حـين نزلت ليلابي إلى الشارع ، خطف الضوء بصرها .

السماء بيضـاء ، والبحـر يلمـع. كالعـادة، سـارت ليلابـي في طريـق المهربين . كانت الصخور البيضاء تبدو كصخور جليدية عائمة على المـاء . سارت ليلابي للحظة بمحـاذاة الشـاطئ ، منحنيـة قليـلاً إلى الأمـام في وجـه

الريح. دون أن تجرؤ في الوصول إلى المنصـة الأسمنتيـة بعـد الحصـن. كـانت تتمنى رؤية المنزل اليوناني ذي الأعمدة الستة، لتجلس وتترك خيالها يحلق في أعماق البحر . إلا أنها خـافت مـن لقـاء الرجـل ذا الشـعر الأشـعث الـذي يكتب على الجدران والصخور . لذلك ، جلست على صخرة علـى طـرف الطريق ، تحاول تخيل المنزل . كان صغيراً جاثماً قبالة الجرف، أبوابه مغلقـة . ربما من الآن وصـاعداً، لـن يدخلـه أحـد . فـوق الأعمـدة ، علـى تيجانهـا المثلثية، كان اسمه مضاء بأشعة الشمس.

XAPIEMA

كانت هذه الكلمة ، الكلمة الأكثر جمالاً في العالم .

مستندة إلى الصخرة ، نظرت ليلابي إلى البحـر ، مـدة طويلـة ، مـرة أخرى ، كأنها يجب أن لاتراه. كانت الأمواج المتراصة تتهادى بعيـداً حتـى الأفق. والضوء يومض فـوق ذراهـا ، كزجـاج مهـروس . والريـح المملحـة تهب . كان البحر يهدر بين فجوات الصخور ، وأغصـان الشـجر الصغـيرة تصـدر فحيحهـا. تـترك ليلابـي نفسـها مـرة أخـرى للنشـوة الغريبـة للبحـر والسماء الخاوية . في نحو الظهيرة ، تدير ظهرها للبحر، وتتبع الطريق الـذي يؤدي إلى مركز المدينة .

في الشوارع ، لم تعد الريح نفسها . كانت تدور حول نفسها ، تعبر بهبات ، تصفق أبواب النوافذ ، مثيرة غشاوة الغبار . كـان النـاس لايحبـون الريح، كانوا يجتازون الشوارع بعجلة ، ملتجئين إلى زوايا الجدران.

الريح والجفاف شحنا كل شيء بالكهربـاء. يتقـافز النـاس بعصبيـة ، يتشاتمون ، يتصادمون ، وعلى قارعة الطريق ، تتصادم ، أحيانـاً ، سيارتان فيفيض المكان بصوت اصطدام الحديد والزمامير.

مشت ليلابي في الشـوارع بخطـوات كبـيرة ، بعيـون نصـف مغلقـة، لتتجنب الغبار . حين وصلت إلى مركز المدينة كان رأسها يدور كما لو أن الدوار قد أصابها. الجموع تذهب وتجيء ، تدور كأوراق ميتـة . جماعـات الرجال والنساء تتجمع ثم تفترق، تتشكل مـن جديـد ، كـبرادة الحديـد في حقل مغناطيسي. إلى أين يذهبون ؟ ماذا يريدون ؟ منذ زمن طويـل ، لم تـر ليلابي هذا القدر من الوجوه، من العيون من الأيدي ، التي لم تدرك فهمها. الحركة البطيئة للجموع ، على الرصيف ، تأخذها ، تدفعها إلى الأمـام دون أن تدرك إلى أيـن تذهـب . يعـبر النـاس بقربهـا ، تشـتم أنفاسـهم ، تشـعر باحتكاك أيديهم . انحنى رجل إلى وجهها وتمتم بشيء ما، كان كمن يتكلم لغة مجهولة .

دون أن تتنبـه ، دخلـت ليلابي إلى مجمـع تجـاري ، ملـئ بـالأضواء والضجيج. شعرت كما لو ان الريح تهب ايضا في الداخـل في الممـرات ، على السلالم ، تلـف اليافطـات. كـانت مقـابض البـاب تفـرغ شـحنات كهربائية، قضبان النيون تتلألأ كبريق شاحب .

بحثت ليلابي عن مخرج المجمع التجاري . حـين عـبرت أمـام البـاب ، صدمت شيئاً ما وتمتمت :

"عفواً سيدتي "

إلا أن ذلك لم يكن سوى مانيكان بلاستيكي ، ترتدي قبعة مستديرة من نسيج قطني سميك أخضر . الذرعان متباعدتان تهتز قليلا ، وجه مدبب، لون شمعي شبيه بلون مديرة المدرسة. بسبب الأصطدام انزلق الشعر المستعار

الأسود للمانيكان على عينها ذات الأهداب الشبيهة بقوائم الحشرات ، وبدأت ليلابي تضحك وترتعش في آن .

شعرت بتعب شديد، ربما كان ذلك بسبب انها لم تأكل منذ العشية، فدخلت إلى مقهى . جلست في عمق الصالة حيث يوجد قليل من الظل . كان النادل واقفاً أمامها .

" أريج عجة"، قالت ليلابي .

نظر إليها النادل للحظة ، كما لو أنه لم يفهم ثم صرخ باتجاه طاولة الخدمة :

"عجة للأنسة "

ثم تابع النظر إليها .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

اخذت ليلابي ورقة من جيب سترتها وحاولت الكتابة . أرادت كتابة رسالة طويلة ، دون أن تعرف لمن ترسلها. أرادت في الوقت نفسه ، الكتابة لأبيها ، وللأخت لورانس ، وللسيد فيليبي، وللفتى ذي النظارة السوداء لتشكره على رسمه . إلا أنها لم تستطع . لذلك ، جعلكت الورقة وأخذت أخرى . وبدأت تكتب:

"سيدتي المديرة .

ارجو أن تعذري ابنتي لعدم استطاعتها العودة إلى المدرسة ، حالياً ، لأن حالتها الصحية تتطلب .."

توقفت ، تتطلب ماذا . لم تستطع تخيل أي شيء ، لتتابع رسالتها .

"عجة الأنسة"، صاح صوت النـادل . وضـع الصحـن علـى الطاولـة ناظراً إلى ليلابي بغرابة .

جعلكت ليلابـي الورقةالثانيـة وبـدأت تـأكل العجـة ، دون أن ترفـع رأسها . جعلها الطعام الساخن تشعر بالراحة ، وبعد قليل ستنهض وتتـابع المسير.

حين وصلت أمام بوابة المدرسة ، ترددت للحظات .

دخلت . أحاطها لغط الأطفال دفعة واحدة . مباشرة ، عرفـت كـل شجرة كستناء ، كل شجرة دلب . كانت الزوابع تحرك أغصانها النحيفة ، وكانت أوراقها تدور في الباحة . عرفـت أيضـا كـل قرميـدة ، كـل مقعـد بلاستيكي أزرق ، كل النوافذ بزجاجها الخشـن . ولكـي تتجنـب الأطفـال الذين كانوا يركضون ، جلست على مقعد في عمق الباحة . انتظـرت دون أن ينتبه إليها أحد .

خف الصخب . ودخل التلاميـذ إلى الصفـوف ، وأغلقـت الأبـواب واحدا وراء الآخر . لم يبق إلا الاشجار التي تهزها الريـح ، والغبـار وأوراق الأشجار الميتة التي كانت ترقص على هيئة دائرة وسط الباحة .

شعرت ليلابي بالبرد . نهضـت وبـدأت البحـث عـن السيد فيليبي. فتحت أبواب المبنى المسبق الصنع ، حيـث توجـد المخـابر . في كـل مـرة ، كانت تدهش بعبارة تبقى معلقة للحظة في الهـواء ، ثـم تذهـب حـين تغلـق الباب .

اجتازت ليلابي من جديد الباحة وقرعت الباب الزجاجي للبواب.

قالت :" أريد رؤية السيد فيليبي ".

نظر إليها الرجل مندهشاً .

قال :" لم يصل بعد" ، وفكر قليلاً ." أظن ان مديرة المدرسة تريدك. تعالي معي ".

تبعته ليلابي طائعة . وقف أمام باب مطلي بالورنيش وقرع . ثم فتح الباب مشيراً لليلابي بالدخول .

من خلف مكتبها ، نظرت المديرة إليها بعينين ثاقبتين .

"أدخلي واجلسي . إني أنصت إليك".

جلست ليلابي على الكرسي ونظرت إلى المكتب المطلي بالشمع . كان الصمت ينذر بانها تريد قول شيء ما .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

قالت :" أريد رؤية السيد فيليبي ... لقد كتب لي رسالة".

قاطعتها المديرة . صوتها كان بارداً قاسياً كنظرتها .

"أعلم بأنه كتب إليك . فعلت أنا ذلك أيضاً . ليس ذلك مهما ، المهم في الموضوع هو أنت . أين كنت؟ بالتأكيد هناك أشياء .. مهمة سترونها . إني أنصت إليك ياأنسة ".

تجنبت ليلابي نظرتها .

" أمي .. "، بدأت .

صرخت المديرة :

" والدتك ستعلم بكل هذا فيما بعد ، وبالطبع ،والدك أيضاً ".

ثم أظهرت ورقة ، عرفتها ليلابي بسرعة .

" وهذه الرسالة المزورة "...

لم تنكر ليلابي ، بل أنها لم تندهش أبداً .

كررت المديرة :" إني انصت إليك "،. كان يبدو أن لامبالاة ليلابي قد أخرجتها عن طورها . ربما كـان ذلـك خطـأ الريـح الـتي كهربـت كـل شيء.

"أين كنت خلال كل هذا الوقت ؟"

تكلمت ليلابي . تكلمت ببطء باحثة عـن كلماتهـا ، لأنهـا ، الآن فقدت عادة الكلام، فيما كانت تتكلـم ، كـانت تـرى أمامهـا ، في مكـان المديرة، المنزل ذا الأعمدة البيضاء ، الصخور ، الأسم اليوناني الجميل الـذي كان يلمع تحت الشمس . كانت تحـاول روايـة كـل هـذا للمديـرة، البحـر الأزرق بانعكاساته الشبيهة بالجواهر ، الصخب العميق للأمـواج ، الأفـق ، بخطه الأسود ، الريح المملحة ، حيث يحلق خطاف البحـر . كـانت المديـرة تنصت ، وجهها امتلأ للحظة بتعابـير الأنذهـال الشـديد . هكـذا ، كـانت تبدو كالمانيكان وبشعرها المستعار ، جهدت ليلابـي كثـيراً كـي لاتبتسـم ؟ حين توقفت عن الكلام سادت عدة لحظات من الصمـت . ثـم تغـير وجـه المديرة ، كما لو أنهـا كـانت تبحـث عـن صوتهـا . دهشـت ليلابـي لرنـة صوتها . لم يعد نفس الصوت ، أصبح خفيضاً وأكثر نعومة.

قالت المديرة : "انصتي ياطفلتي "،.

انحنت على مكتبها ، ناظرة إلى ليلابي . كانت يدها تحمل قلماً أسود محاطا بخط مذهب .

" طفلتي ، أنا مستعدة لنسيان كل هذا . تستطيعين العودة إلى المدرسة كالسابق . لكن يجب أن تقولي لي..."

ترددت .

" أنت تفهمين أني أريد مصلحتك . لذلك يجب أن تقولي كل الحقيقة ".

لم ترد ليلابي . لم تفهم ماالذي تريد المديرة قوله .

"تستطيعين التكلم دون خوف ، كل شيء سيبقى بيننا ".

بما أن ليلابي لم ترد ، قالت المديرة بسرعة ، بصوت منخفض :

" لديك صديق ، أليس كذلك ؟"

أرادت ليلابي أن تحتج ، إلا أن المديرة منعتها من الكلام .

"الإنكار غير مفيد ، العديد من رفاقك رأوك مع فتى ".

قالت ليلابي :هذا غير صحيح .." لم تصرخ ، إلا أن المديرة تصرفت كما لوأنها صرخت وقالت بصوت عال "أريد معرفة اسمه" .. .

قالت ليلابي: " ليس لي صديق". فهمت سبب تغير وجه المديرة ، لإنها كانت تكذب. شعرت بوجهها الذي اصبح كالحجر ، باردا ومصقولا ، نظرت مباشرة الى عيني المديرة كانت تكذب ، لم تعد ليلابي تخافها .

اضطربـت المديـرة ، وأدارت نظراتهـا ، قـالت في البدايـة ، بصـوت هادئ ، حنون .

" يجب أنت تقولي الحقيقة لي ، من أجلك ياصغيرتي ".

بعد ذلك ، أصبح صوتها قاسياً وخبيثاً .

" اريد معرفة اسم الفتى "..

شعرت ليلابي بالغضب يكبر في داخهـا . كـان بـارداً وثقيـلاً جـداً كالحجارة ، تموضع في رئتيها ، في حلقها، بدا قلبها يخفق بسرعة ، بالطريقة نفسها ، حين رأت العبارات الفاحشة على جدران المنزل اليوناني .

" لاأعرف أي فتى ، هذا غير صحيـح ، غـير صحيـح.." صرخـت ، وأرادت النهوض كي تغادر . إلا أن المديرة اشارت لها بالبقاء .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

"أبقي ابقي ، لاتغادري .." صوتها كان من جديد أكثر انخفاضاً، فيه قليـل مـن الارتعـاش . أقـول هـذا مـن أجـل مصلحتـك ، فقـط مـن أجـل مساعدتك ، يجب أن تفهمي ذلك"..

تركـت القلـم الأسـود الصغـير ذا الطـرف المذهـب وشـبكت يديهـا النحيفتين بعصبية كل منهما بـالأخرى . عـادت ليلابي للجلـوس و لم تعـد تتحـرك . كـانت بالكـاد تتنفـس ، ووجههـا أصبـح أبيـض ، كقنـاع مـن الحجارة . شعرت بالضعف ، ربما لإنها لم تـأكل وتنـم إلا قليـلاً ، في هـذه الأيام على شاطئ البحر.

قـالت المديـرة :" واجبي أن أحميـك ضـد أخطـار الحيـاة" "أنـت لاتستطيعين ان تدركي ذلك ، لازالت صغيرة . السيد فيليبي كلمني عنـد بعبارات ثناء ، أنت طالبة جيدة ولاأريد أن يهدم كل شيء بحادث عابر "..

كانت ليلابي تنصت إلى صوتها ، كما لو انه يجيء من بعيـد ، مـن فوق جدار مشوه من حركة الريـح . أرادت التكلـم ، لكنهـا لم تستطع أن تحرك شفتيها .

"أنت اجتزت فترة عصبية منذ ماحدث لأمك ، اقامتهـا في المشفى . أنت ترين أني أعرف كل هذا ، مما يساعدني على فهمـك ، إلا أنـه عليـك أن تساعديني أيضا ، عليك أن تبذلي الجهد "..

" أريد رؤية ... السيد فيليبي .." قالت ليلابي في النهاية .

قالت المديرة : " سترينه فيما بعد ، سترينه " . إلا أنه عليك ان تقـولي الحقيقة ، أين كنت؟"

" قلت لك ، كنت أنظر إلى البحر ، اختبئ بين الصخـور وأنظـر الى البحر "

"مع من"

" قلت لك إني كنت وحيدة ، وحيدة"..

"غير صحيح"

صرخت المديرة ، ثم تابعت مباشرة " إن لم تقولي مع من ، سـأكون مجبرة للكتابة لوالديك. لأبيك "..

بدأ قلب ليلابي يخفق بشدة .

"إن فعلت ذلك، فلن أعود أبداً الى هنا "

شعرت بقوة كلماتها ، فكررت ببطء دون ان تدير عينيها :

"إن فعلت ذلك ، فلن أعود إلىهنا ، ولا إلى أي مدرسة أخرى".

صمتت المديرة لحظة طويلة ، وامتـلأت الصالـة الكـبرى بـالصمت ، كالريح الباردة. ثم نهضت المديرة . نظرت إلى الفتاة بانتباه .

في النهاية قالت : يجب ألا توضعي في هذه الحال" ،" أنـت شـاحبة ، تعبة . سنتكلم في الأمر مرة أخرى ".

نظرت إلى ساعتها .

حصة السيد فيليبي ستبدأ خلال بضع دقائق . تستطيعين الذهاب ".

نهضت ليلابي ببطء . ومشـت نحـو البـاب الكبـير . استدارت قبـل الخروج ، وقالت :

"شكراً ياسيدتي "

كانت باحة المدرسة ممتلئة من جديـد بـالتلاميذ . كـانت الريـح تهـز أغصـان أشـجار الدلـب والكسـتناء ، وأصـوات الأطفـال تصـدر ضوضـاء تثملها. اجتازت ليلابي الباحة ببطء ، متجنبة جماعـات التلاميـذ والأطفـال المتراكضين . أشارت لهـا بضـع فتيـات ، مـن بعيـد ، دون أن يجـرؤن علـى الاقتراب ، أجابتهن ليلابي بابتسامة خفيفة .

حين وصلت أمام البنـاء المسبق الصنـع ، رأت هيكـل السـيد فيليـبي بالقرب من العمود B كعادته كان مرتدياً طقمـه الأزرق الرمـادي ، يدخـن

سيجارة ، نـاظراً إلى أمامـه . توقفـت ليلابـي . لمحهـا الأسـتاذ ، وجـاء إلى لقائها مشيراً لها بيده إشارات مفرحة .

"وبعد ؟ وبعد؟". قال. هذا كل مااستطاع قوله.

"أريد أن أسألك .." بدأت ليلابي ؟

:" عن ماذا ؟"

" عن البحر، عن الضوء، لدي الكثير من الأسئلة".

إلا أن ليلابي أدركت فجأة أنها نسيت أسئلتها. نظـر السـيد فيليـبي مبتسماً.

"هل سافرت؟"

قالت ليلابي :" نعم.."

"أكان سفراً ممتعاً "

..."نعم ..كان ذلك ممتعاً ".

دق الجرس فوق الباحة، في الأروحة .

"قال السيد فيليبي: "أنا سعيد جداً .." أطفأ سيجارته بكعبه .

قال: "ستروين لي كل شيء فيمابعد". كان بريق أخاذ يلمع في عينيـه تحت نظارته.

"لن تسافري بعد الآن ، اليس كذلك ؟"

قالت ليلابي : "لا".

□ ليـــلابي □

قال السيد فيليبي :" جيد يجب الذهاب ، الآن ، إلى الدرس". وكـــرر أيضاً :" أنا سعيد جداً ." استدار نحو الفتاة قبل ان يدخـــل إلى البنـــاء المسبق الصنع .

"ستسألينني كل ماتريدينه، بعد الدرس . إنـــي أحـــب البحـــر كثيراً ،. مثلك .

* * *

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

---

يعتبر لو كلوزيو من أهم الكتاب الفرنسيين المعاصرين ، تنزع كتاباته إلى التجريبية واستلهام الآخر. من أهم أعماله :"الحرب" "الربيع وفصول أخرى " السفر الى الجهـة الآخـرى " "صحـراء التـي استلهم فيها البيئة المغربية هذا النص من كتابه " موندو وقصص أخرى "

١ - جنبة صفراء الزهر من فصيلة القرنيات الفراشية

٢ - وردت الأغنية في النص بالأنكليزية .

# لغات الرجال، لغات النساء

بقلم إلزا غوميز ـ آمبير

ترجمة : ريم الأطرش

يبقى الاختلاف ثانوياً في لغتنا* فيما يخص الاستعمالات المذكرة والمؤنثة . ولكننا نجد بعض الأحاديث التقليدية التي كانت تجعل من هذا التمييز نقطة هامة في قواعد تلك الأحاديث ولفظها .

تقول الأغنية : عندما يلتقي فيكونت بآخر ...

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

في تبادل الأحاديث ، كل ما يميّز أوضاع المتحدثين مهم نسبياً ، ـ كالوسط الاجتماعي ومستوى الدراسة والسن والجنس ـ ، ويمكن للعديد من الأشكال اللغوية بيان ذلك . إذ تهتم اللغات بهذه العوامل الاجتماعية فتكترث لها وتعبّر عنها بمختلف الطرق : كعلم الأصوات القواعدي أو المختص بالمفردات .

تُطوِّر اللغاتُ طرقاً متخصصة في الكلام يمكن أن ننسبها بشكل دقيق نسبياً إلى طبقات من المتحدثين . هل هناك طرق خاصة بالنساء أو بالرجال في استخدام اللغة ؟ . في اللغة الفرنسية ، الاختلاف الجنسي بين التذكير والتأنيث ، موجود أحياناً ، ولكن على شكلٍ يحمل اتجاهاً يصعب عزله أو تأويله . و . هكذا نجد أن النساء تظهرْنَ في بعض الحالات تحافظات على أصول لفظ اللغة أكثر من الرجال(١) ، وفي البعض الآخر مجدِدات أكثر

منهم ؛ مثال ذلك ، حفاظهنّ على لفظ أزواج غير مستقرة من الأحرف الصوتية ( c'tc' / c'tait jcuuc Saulc / sol ... الخ ).

ولكننا نجد في ثقافات مختلفة عن ثقافتنا الفرنسية أمثلة أكثر وضوحاً. فوجود أشكال متخصصة جنسياً ـ في التذكير والتأنيث ـ والتي تدعى « لغة الرجال / ولغة النساء » أو فيما يتعلق بنموذج اللهجات مءخراً ، هناك لهجات متخصصة جنسياً أو ألفاظ حياتية متجددة أيضاً ؛ وجود كل ذلك إذاً أصبح متطوراً أكثر(٢). كما أصبحت ثلاث لغات مشهورة بسبب تطويرها لهذه الاختلافات بشكل كبير .

وصف إدوار سابير في عام ١٩٢٩ ، وهو عالم لغة مشهور ، ظاهرة الاختلافات الجنسية في لغة اليانا ، وهي لغة محكية منذ زمن بعيد ، يتكلّمها بعض هنود كاليفورنيا . كانت هذه اللغة قد طَوَّرَتْ صيغتين لغالبية الكلمات بالرغم من عدم وجود تصنيف قواعدي لذلك : تدعى الصيغة الأولى « المليئة » ويستخدمها الرجال ، وتدعى الثانية « المختصرة » وتحكيها النساء . تتأتّى غالبية الاختلافات من قاعدتين أساسيتين تؤثران على نهاية الكلمة ؛ القاعدة الأولى هي اشتقاق الشكل المؤنث من الشكل المذكر ، وتعمل القاعدة الثانية بشكل عكسي . وهكذا ، فبالنسبة للأسماء وللعديد من الأفعال المؤلفة من أكثر من مقطع واحد والمنتهية بحرف صوتي قصير أ ـ ي ـ و ( a - i - u )،فإنّ الشكل المؤنث يعمل على تخفيف الحرف الصوتي والحرف الصامت في المقطع الأخير من الكلمة ( هذا إن لم يكن هذا الحرف مُخفَفاً من قبل ) .

مثال : في كلمة Kiu : wi التي تعني ( طبيب )

و Kiu : wi-ya التي تعني ( طبيبة )

فإن المقطعين الأخيرين وهما wi و ya لا تلفظهما النساء ، فلا تظهر الأصوات . ثم بالنسبة لكل الأسماء ذات المقطع الواحد أو المنتهية بحرف صوتي طويل ( أ - ء - ي - أو - و ) ( a,e,i,o,u ) ، بمزيج من حرف صوتي ونصف حرف صامت أو بحرف صامت ، يضيف الرجل إليها المقطع نا . مثال : تقول النساء آو عن النار ؛ ويسميها الرجال آونا . وهناك عدد كبير أيضاً من أشكال الفعل المذكر مشتقة من أشكال مؤنثة . أما بالنسبة للمخاطب ، فالشكل الأساسي المذكر هو - نوما والشكل المؤنث هو - نو . تبقى هناك بعض الأشكال التي لا تتغيّر ومنها الأدوات الدالّة على التملّك والتي تعود على المتكلّم والمخاطب وعلى الغائب أيضاً .

إن الحالة الأكثر دلالة في هذا المجال هي عند وجود اختلاف واضح بين الجنسين . إنّ أن تأويل سابير لها كان موضع نقاش . فالقول بأن اللهجة الأنثوية « اختصار » لمثيلتها الذكرية المتصفة « بالمليئة » ليس مبرراً هاماً، وذلك لأن الحوار اللغوي يتم في الاتجاهين . فضلاً عن هذا ، يشير سابير نفسه إلى عدم المطابقة بين المفردتين « الذكورة » و «الأنوثة» وذلك بسبب استخدام النساء الأشكال المؤنثة ، وكذلك يستخدمها الرجال الذين يتحدثون الى النساء . واللهجة الأساسية المتخصصة جنسياً هي في الواقع الأنثوية ، إلاّ أن اعتبارات أخرى غير لغوية جعلت سابير يعتبر حديث النساء « مشتقاً » . لندع الآن هذه المشكلة .

هناك حالة ثانية كتب عنها علماء اللغة باهتمام كبير وهي حالة لغة كوآساتي في لويزيانا التي وصفتها ماري هاس في عام ١٩٤٤ ، واعتبرت هذه الحالة مثالاً يحتذى ، وذلك لأن الكاتبة استطاعت أن تعطي بعض الايضاحات حول كيفية تقدير مستخدمي هذه اللغة لخصائص لغتهم بأنفسهم . وبشكل عام فإن اللهجة المتخصصة جنسياً للغة الكوآساتي

مذكرة ، وتتشكل بإضافة حرف س <s> للشكل المؤنث . وتشرح ماري هاس بأن اللغة الأساسية مؤنثة والشكل المذكر مشتق عن المؤنث . وبرأيها، فإن وجهة النظر هذه مشتركة بين المتحدثين الذين يعتبرون الصيغ المؤنثة أشكالاً قديمة وأكثر « جمالاً » من الصيغ المذكرة . لقد أعيد النظر حالياً بهذا التحليل الخاص بإعادة التوازن إلى الرؤية المناسبة عامة للجنس المذكر والتي طوَّرها اللغويون . لقد عمل جوفري كمبال لدى قبيلة الكوآساتي وأعطى تأويلاً مختلفاً تماماً : فالأشكال المذكرة تُسْتَخْدَم حسب رأيه كعلامات في نهاية الجملة ويمكن استخدامها من قِبَل الجنسين . لقد انقضى استخدامها في عالم النسيان منذ أن قامت ماري هاس بتحقيقها ، ويبدو أنّ عدد الأشخاص الذين كانوا يستخدمون هذه الأشكال محدود و لم يعد باستطاعة الكوآستيين الحاليين تحديد أهمية استخدامها ؛ فقد تكون عبارة عن علامات تفيد الاحترام ؟ . لم يغلق النقاش بعد ، وفي حالة مراجعة الموضوع ، قد تفقد اللهجات المتخصصة جنسياً أحد ممثليها المشهورين .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الحالة الثالثة المعروفة ضمن اللهجات المتخصصة جنسياً هي لغة الكاريب في جزر الآنتيّ الصغرى ، التي ورثتها لغة بلاك ـ كاريب المحكية في بيليز في أميركا الوسطى . قام بالدراسة الأولى لها مبشر فرنسي في النصف الأول من القرن السابع عشر ، حيث وصف لغة تختلط فيها عائلتان لغويتان، أميركية وهندية هي ( الآراواك والكاريب ) ، ولكن بنسب مختلفة وحسب الأجناس . فيما بعد ، حُلِّلَ هذا الاختلاف كما لو أنه إشارة لوجود لغتين، الأولى مؤنثة والثانية مذكرة . ولكن من المحتمل أن يتعلق الأمر خاصة بنتاج من تاريخ خاص جداً . وفيما يلي أهم خطوط هذا التاريخ : وصل الهنود الإغنيزيون الذي يتكلمون لغة تنتمي إلى عائلة الآرواك ، إلى جزر الآنتي الصغرى خلال القرون الثلاثة الأولى من العهد

المسيحي . ومن ثم ، وقبل حلول القرن الخامس عشر بقليل ، وصل من الغويانا محاربو الكالينا وهم الذين يتكلمون لغة تنتمي إلى عائلة الكاريب اللغوية . ونتج عن ذلك إبادة الرجال وسبي النساء الإغنيزيات ؛ واستوطن رجال الكالينا في هذا البلد ، وأَجْبَروا النساء السبايا على تعلّم لغتهم كي يتمكن معهم بها . في هذا الاتصال بين اللغات ، كان لكل لغة أوراقها الرابحة التي ساعدتها على الحلول محلّ اللغة الأخرى : إذ منح ابن السبيّة الإغنيزية وضعية الفرد الحر الذي خلّد بدوره الوضع المسيطِر للطائفة الكاريبية ، وكان ذلك لصالح الكالينا . أما بالنسبة للغة النساء اللواتي تربين الأطفال ، فهي تطبع بطابعها الخاص مسألة الحفاظ على قواعد الآرواك . ومن جيل إلى آخر ، تضيع لغة الكالينا ، إلا أن بعض آثارها الهامة ما زالت باقية لدى الرجال(٣) .

يضاف إلى تلك الحالات الهامة ، حالات أخرى أقل أهمية ، سواء تمّ ذلك عن طريق عدد القواعد الثانوية التي تثقل كاهل اللغات في هذه الحالات ، أو عن طريق وحدات اللغة التي تتعرّض لها تلك الحالات . إليكم بعض الأمثلة عنها .

ففي علم الأصوات ، هناك قواعد تعمل من أجل توجيه الحديث أو الخطاب وبذلك تجعل الاختلاف فيه موجوداً في كل مكان . ويذكّر التحويل البسيط نسبياً أحياناً بعمليات خلق اللغات الشعبية المقلوبة واللغات الخاصة بمهن معينة . في بعض اللهجات في الإسكيمو ، تخنّ النساء في لفظ الأحرف الصامتة الواقعة في نهاية الكلمة ؛ فيلفظن ( م ـ ن ـ نغ ـ نك ) { m - n - ng - nk } في حين أن الرجال يلفظون على الشكل التالي [ ب ـ ت ـ ك ـ كو ] [ P - T - K - q ] ويلفظ الرجال الهنود في قبيلة ( البطن الكبير ) { Gros vemtre } في مونتانا الحرف الصامت ك K من سقف

حلوقهم . أما رجال كاراجا من البرازيل الوسطى والذين درسهم دكتور لي فورتون، فيحذفون الحرف الصامت ك K بوضوح ويحوّلون المقطعين ن + و N+O إلى و O بخنة .

في لغة الكاراجا ، عندما تقول النساء : كوروبي كوتو ريديريه بيكو ـ تكسي كيوانو ريتوكيمي ، يقول الرجل : أوروبي أوتو ريديريه بيو ـ تكسي إيوا ريتوكيمي < وتعني هذه الجملة > : « وضع القرد السلحفاة على الشجرة لتأكل ثمر الكيوانو » .

في مجال المفردات ، يؤثّر الجنس غالباً على تسميات القربى ( انظر مثال الكوكاما في الأسفل ) ، وعلى أدوات التعجّب ؛ ويؤثّر أيضاً في العديد من اللغات بخاصة ، على سجّل الشتائم والسباب الذي يختلف تبعاً لجنس المتحدِّث والمستمع . فعلى سبيل المثال ، في شمال الهند ، يتبادل الرجال الشتائم بإثارة مسألة عفاف الأم أو الأخت أو الفتاة ، في حين تتبادل النساء الإتهامات بممارسة الجنس مع الأب أو الأخ أو الإبن كما وتتبادلن لعنات العقم والترمّل .

في مجال القواعد ، تشكّل الضمائر الشخصية ( أي ضمير المتكلّم والمخاطب) أرضاً خصبة للاختلافات بين الجنسين . إذ تختلف الضمائر تبعاً للجنس في لغات عديدة كالعبرية ولغة الكاسي في الهند والتاي واللغة اليابانية . وفي لغة الكوكاما (٤) ، وهي لغة في البيرو الأعلى ، يبدأ الاختلاف الجنسي من الضمير « أنا » ويظهر في عدة مجالات ، هي : الشخصي المتكلم ومحيطه ، وتحديده الخاص ( a ) ، وعلاقاته بالأقارب ، ( b ) واسماء الشارة ( c ) ، والغائب والتعبير عن الجمع ( d ) ( انظر الجدول) .

وفي موضع آخر في القواعد ، نتعرف على حالة لغة التاي التي تدخل تأثيرات توكيدية ، تعبر عنها النساء عن طريق تكرار الفعل ، بينما يضيف الرجال إليه أداة هي ( ماك ) . واخيراً ، في اللغة اليابانية ، فإن استخدام الأداة ( ني - ) في نهاية الجملة هو استخدام خاص بالنساء على ما يبدو. في كل هذه الحالات مع ذلك ، لامجال للحديث عن لغتين مختلفتين : فهناك فروقات محددة فقط بالنسبة للشكل الأساسي وهي تلك التي أدخلت على الجنس المذكر أو المؤنث ونسبت إليهما . يبدو أن تعديل اللغات المخصص لاظهار الاختلافات الجنسية بين المتحدثين عمداً ، لا يمكن أن يتم إلا بشكل ضيق وعلى مستوى إجمالي وسطي جداً ، وذلك بالنسبة لعلم الأصوات والقواعد . وهذا ما تشير إليه الأمثلة المتاحة لنا ، التي تبين أسلوبين هما : إمكانية تعديل حرف صامت واحد أو عدة حروف صامتة أو أحرف صوتية في كل مكان من الجملة ، أو بالأحرى إمكانية تعديل نهاية الكلمات أو الجمل فقط . وفي لغة الكيليت ، وهي لغة يتكلمها السكان الأصليون في الولايات المتحدة وقد وصفها ل. فراشتنبيرغ ، فإن الرجال والنساء ، وهم يتحدثون إلى رجال ، يضيفون ( تكا ) إلى نهاية كل جملة ، بينما حين يتحدث الرجال إلى النساء ، يضيفون ( دا ) ويضعون في بداية الكلمة بادئة هي ( تكس ) . نعزو هذا الشكل إلى الاتجاه العام في اللغات لاستخدام اللواحق بأسهل من استخدام البوادي .

بالرغم من أن لغة اليانا تستخدم التقنيات ذاتها ، إلاّ أنها تبقى لغزاً وذلك عبر القدرة العامة لنهج الاختلافات فيها ، أما بالنسبة لتاريخ تطور تلك التقنيات ، فيشير سابير إلى أنها تبدو مشتقة من منبعين مختلفين : ففي أندر الحالات وأقلّها ، نحن بصدد أدوات مميّزة للجنس ، وفي أغلب الحالات تكون الأشكال المؤنثة عبارة عن أشكال لا جنس لها في البداية ،

ولكنها أشكال مختصرة ومقترحة من الاختصار الصوتي والشكلي للّغة . وفي حالة الكوكاما ، فقد أثرنا كأساس لها احتمال سبي النساء خلال حملات حربية، وهذا ما سُجّل لصالح الكاريب .

بشكل عام ، إن تقنين التعابير الخاصة نادر حتى في المجتمعات التي تتحدد فيها أدوار الرجال والنساء بشكل دقيق ( كألاّ تلفظ النساء إلاّ ab وكألاّ يلفظ الرجال إلاّ ب ـ b مثلا ) . وبشكل طوعي ، وعلى مستوى المفردات ، نحدد الحديث المؤلّف من التعجب الدال على الجنس ، أو من الشتائم الجنسية . إنه الفضاء المفتوح ، تعريفاً ، على التعابير التي تكثر فيها القوالب ذات الجنس . في الأساس ، ليست العمليات اللغو التي تعبّر عن هذه الاختلافات عمليات متجنسة ، وهي تُسَجّل ضمن التطور العام للّغات، هذا التطور الذي غالباً ما تأثّر هو نفسه بالاتصالات والاحتكاك بين اللّغات . على سبيل المثال ، يوجد في اللغة اليابانية عدة صيغ لبعض الضمائر الشخصية . فمن أجل لفظ كلمة « أنا » ، هناك صيغة غير متميّزة وهي ( واتا ( كو ) شي ) ، وتصبح تفضيلاً بين النساء ( آتاشي ) والشكل المذكر منها هو ( بوكو ) . في الأصل ، معنى ( واتا ( كو ) شي) هو « الخاص » ، بعكس « العام » ، بينما ( بوكو ) كلمة أُخذَت عن الصينية ، حيث كانت تعني « خادم » . وأُدخلت هذه الكلمة إلى اللغة اليابانية ، للتعبير عن شكل من أشكال التهذيب ، واستخدمها الشباب الدارسون لعصر الميجي . ومن هنا ، جاء استخدامها بشكل أساسي من قبَل الذكور، ولم يُبدَأ بتأنيث هذا الاستخدام إلاّ عندما بدأت النساء بالوصول إلى الدراسات الجامعية . ولكن ، فضلاً عن ذلك ، فإن كلمة ( بوكو ) غير مستخدمة لدى الرجل إلاّ حين يتحدث مع آخر من نفس رتبته أو أقلّ منه شأناً ، كما تستعملها العائلات عندما يتحدث الأب والأم إلى أطفالها الذكور .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وتحمل الصيغ ذات الجنس أيضاً على كاهلها حملاً رمزياً معبّراً عن استعمالات اجتماعية . تُطبّق هذه القاعدة على المراقبين اللغويين أوغيرهم وعلى مستخدِمي اللغات على السواء . وكما لدينا العادة في علم اللغة أن نحدد صيغة أولية وصيغة مشتقة منها ، فقد رغبنا أيضاً بإيجاد جنس «أساسي» . وهكذا ، فلم نتقبّل إلا فيما ندر مسألة أنه يمكن وضع متحدثي اللهجات المتخصصة جنسياً ودارسيها على قدم المساواة بين بعضهم البعض، باعتبار أن الاتجاه العام في هذا الموضوع يميل إلى الاعتقاد بأن حديث النساء « اشتقاق » من حديث الرجال ، واعتبار ذلك بالأحرى نوعاً من « التكلّف » النسائي . وفي الحقيقة ، لا يبدو أن هناك قاعدة شمولية في هذا الموضوع . فتتميز النساء أحياناً بإضافة الخنّة إلى صيغة الأساس ( كالإسكيمو ) ونجد الرجال أحياناً هم الذين يفعلون ذلك (بطريقة لفظ الحرف من سقف الحلق كما عند قبيلة البطن الكبير Gros ventre ) . وفي لغة الكاراجا ، نجد أن الصيغة المذكرة هي التي يجب اشتقاقها من المؤنثة . وتعمل لغة اليانا في الاتجاهين : فتكون الصيغة المذكرة أحياناً هي الأساس الذي تقوم عليه التخفيفات اللفظية ، وتُشْتَق الصيغة المذكرة أحياناً من الصيغة المؤنثة بإضافة مقطع إليها . إضافة إلى ذلك ، فمن الواضح أنه يمكن للتجديدات اللغوية أن تكون مذكرة أو مؤنثة وذلك حسب الحالات .

أخيراً يجب أن نتذكر أن اختلافات الأوضاع بين الرجال والنساء في مجتمع ما ، يمكن أن تظهر من خلال اللغة ، دون أي اعتبار لمتحدثي اللهجات المتخصصة جنسياً ، كما في المثال التالي حيث نجد أن لغة الأم منفية تماماً .

ففي شمال غرب الحوض الأمازوني ، تعيش مجموعات من التجمعات البشرية المسماة توكانو الشرقية ، وتتحدث لغات مختلفة ولكنها من عائلة واحدة من وجهة نظر لغوية . وكل فرد ، رجلاً كان أم امرأة ، عليه أن يتحدث لغة أبيه وذلك ليحدّد انتماءه إلى هذا التجمع أو ذاك في كل مرة يتحدث فيها . ومن جهة أخرى ، لا يتم الزواج إلاّ من شريك أو شريكة حياة تتكلم لغة أبيها المختلفة عن لغة زوجها . فلا يتحدث الأزواج والزوجات مع بعضهم إذاً باللغة ذاتها ؛ وفي العائلة ÷ هناك لغة منسوبة إلى الأب كما أن هناك لغة الأب بالرغم من أنهم يفهمون اللغتين . هذا الوضع قائم نتيجة تطبيق قواعد الزواج ، ولم تطوَّر ، في أي حال من الأحوال ، أي سجلات أو لغات مختلفة تعتمد على التضاد بين المذكر والمؤنث . بالإضافة إلى ذلك ، ليست الاختلافات في اللغة بين الرجال والنساء تعبيراً بالضرورة عن الاختلاف الجنسي .

* * *

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

## ( تعليقات )

يبدو أن الاختلاف الجنسي بين المتحدثين يشكّل جزءاً من منظومة العديد من لغات القارة الأميركية ، كالاختلاف بين أوضاع الجنسين .

* * *

كانت لغة اليانا ، وهي إحدى اللغات الهندية المستخدمة سابقاً في كاليفورنيا ، تتضمن صيغتين متخصصتين ، الأولى مذكرة والثانية مؤنثة ، كان إيشي ، وهو آخر ممثّل لهذه الجماعة من الناس ، يزوّد أ، سابير بالمعلومات حول هذه اللغة ، وقد ساعد بذلك على إعداد دراسة شاملة لهذه اللغة .

* * *

تعلّق ظهور لغات (( متجنسة )) ، في عدد من الحالات ، بتاريخ التمازج . وهكذا فقد أدّى غزو الآنيّ الصغرى الذي قام به محاربو الكاريب إلى فروق واختلافات في اللغات المذكرة والمؤنثة ، كما نجدها تُمارس الآن لدى مجموعة البلاك كاريب من بيليز .

* * *

في اللغات الأوروبية الحالية ، لا يخضع الفرق الجنسي بين المتحدثين لأي نظام ، وهناك إفراط في استخدام إشارات اختيارية ومتبادلة بين الطرفين ، ولكن غالباً ما لا تكون تلك الإشارات لغوية .

* * *

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

## لغات الرجال والنساء

ظاهرياً ، لا يوجد علاقة بسيطة بين التصرفات والسلوك ، والأفكار الاجتماعية وبين اللغات . فهناك مجتمعات قريبة جداً من بعضها ـ كاليباغوا مثلاً والكوكاما في البيرو ـ يمكن ألاّ تقدّم أبداً التقنيات ذاتها بالنسبة للفروق الجنسية . وبالعكس ، يمكن لنفس الخصائص أن تظهر في لغات لا علاقة لبعضها ببعضها الآخر . فلغة التاي كالمبرية ، يختلف فيها ضمير ((أنا )) حسب جنس المتحدث . أما بالنسبة لنساء الإسكيمو ، فهن تضفن الخنة في بعض اللهجات إلى الأحرف الصامتة في نهاية الكلمة.

* * *

غالباً ما اعتبرت الأشكال المختلفة للّغات ، إما (( تكلّفاً )) نسائياً ، أو على العكس ، محافظة على الأصول من قِبَل النساء . وغالباً ما تعكس أفكار اللغويين أفكار الناس الذين يدرسونهم ؛ ففي العديد من المجتمعات التقليدية ـ تعتبر مكانة المرأة ، الثانية ؛ ونادراً ما يوضع دورها الفاعل في مجال المنافسة مع دور الرجل .

* * *

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

# من قصص الشعوب*

## أربع قصص من ألمانيا ، اسبانيا ، اسكندنافيا ، انكلترا

*تقديم وترجمة : عطارد عزيز حيدر*

يرتبط الحديث عن الحكايات الشعبية دوماً بأسئلة تدور حول زمن كتابة هذه الحكايات وأماكن نشأتها الأولى وكاتبها الحقيقي ، لكن ثمة سؤال آخر لم يسأله أحد وهو : متى تحولت هذه الحكايات الى قصص للأطفال ، وفي أية مرحلة من التاريخ كف الأنسان عن صياغة هذه الحكايات لنفسه وسلمها للجدات .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

لقد تحولت هذه الحكايات الشعبية الى قصص أطفال نموذجية بما تحويه من شخصيات نمطية وفصل حاد بين مفهومي الخير والشر ، وحض على القيم المثالية مثل فعل الخير والقناعة والتواضع ، الى آخر ما هنالك من حبكة بسيطة عناصرها الحيوانات والسحر والأماكن الخيالية والمصادفات السعيدة .

لقد كتبت[1] هذه الحكايات للكبار في الأصل ونشأت عن ذات الأرضية والدوافع التي نشأ عنها الأدب بأنواعه وأجناسه طوال القرون

---

* مأخوذة من كتاب ( حكايا الأرض السحرية ) ، لمجموعة من المؤلفين ، اعتماداً على النصوص الأصلية التي تم جمعها وتنسيقها من قبل الأخوين غريم .

لكنها مازالت تحمل بصمات المخيلة الانسانية البكر والصفاء الذهني الأول وصورة بدايات العالم قبل أن تغيره الصراعات والمدنيات والآلة حيث كان الانسان أكثر اندماجا بالطبيعة فيما كانت الطبيعة أكثر حناناً وتعاطفاً.

تلك الصور القديمة ذات الألوان الصارخة قد بهتت في بصائرنا و لم تعد توجد إلا في العقل الطفل ، ولكن من المكن والممتع بالنسبة لنا قراءتها والبحث عن المزيد منها بما فيها قصصنا الشعبية العربية التي نعرف جميعاً مدى غناها وتنوعها وفرادتها وسيكون من المثير لدهشتنا أن نكتشف أنها مفتاح سحري للتخييل والاستيهام وربما للإلهام أيضاً .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

* * *

## قصة من ألمانيا

# هـانـزو الأرنب البـري

وقع الشاب الصغير هانز الذي كان يعيش في مدينـة ألمانيـة بجنـون في حب غريتشن ابنة التاجر الثري ، لكن هذا الحب لم يدخل السعادة أبـداً إلى قلب هانز لأن أسرتها لم ترحب به . وأخيراً فاض الشوق بهانز فقـرر رؤيـة حبيبته وذهب باتجاهها .

كان الأب والأم والأخوان يحرسون البيت دوماً من كل منـافذه كـي لا يدخل ليرى غريتشن أما الفتاة المسكينة فقد حبست في غرفـة في الداخـل و لم يسمح لها بالخروج للقاء هانز .

عندما ذهب الثعلب أخبر هانز الأرنب البري عن مشكلته الخاصة :قال له الأرنب : يجب أن تكون أشجع من ذلك يا هانز ، لقد كنت شجاعاً بمـا فيه الكفاية لإنقاذي من الثعلب ولهـذا فـإن عليـك أن تمتلـك الجـرأة وتكلـم والدها.

بعد التشجيع أخذ هانز نفسـاً عميقـاً ومشـى إلى بيـت التـاجر الغـني ضحك التاجر قائلاً : حسـناً ، إذا كنـت تسـتطيع الوصـول لابنـتي يمكنـك أخذها .

لقد كان الكلام أسهل من الفعل لأن الأب كان واقفاً يحرس أحد بابي البيت بينما وقفت الأم تحرس الباب الآخر وكان كلاهما ينظران بصرامة إلى هانز كما لو كانا يشجعانه على أن يقترب خطوة ويشق طريقه رغماً عنهما عابراً إياهما .

وضحك الأب : اقترب أيها الشاب ، ماذا تنتظر ، عليك أن تدخل فقط وتصل إلى ابنتي كما تعرف . فكر هانز أن يجرب طريقاً آخر للدخول إلى البيت لأنه يستطيع المرور عابراً الأبوين وأسرع يدور إلى جانب البيت وهناك رأى الأخوين يقفان حارسين نافذة غريتشن الخارجية ، أما الفتاة المسكينة فقد كانت سجينة في الداخل ووقع هانز في الحزن والحيرة بسبب ذلك .

لكن الأرنب البري الماكر أتى ليشارك في اللعبة وركض مجتازاً الأم التي صرخت : « أرنب بري سمين ورائع من أجل العشاء » ورفعت ذيل تنورتها وانطلقت لتلحق به .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

جلبت صرختها الفرحة الأب إلى المشهد وسأل : ما هذا يا زوجتي لماذا تركضين ؟ كانت تلهث وهي تجيبه قائلة : إنني أطارد أرنباً برياً ضخماً رائعاً،إنه جيد من أجل عشائنا إذا استطعنا الإمساك به ولهذا إياك أن توقفني.

صرخ الأب : أوقفك ، لماذا هذا آخر ما يمكن أن أفعله يا امرأتي الطيبة ، إنني مغرم بأرنب مطبوخ بشكل جيد على العشاء ولهذا سأنضم إليك وأساعدك للأمساك به . وهكذا ركض التاجر لاحقاً بزوجته .

والآن .. كان ذلك الأرنب يبتعد مسرعاً و لم يستطع أي من الأبوين الإمساك به وصرخا على الأخوين الذين يحرسان نافذة غريتشن الخارجية: « ساعدانا » .

لمح الأخوان الأرنب وفي الحال تركا موقعهما عند النافذة وصرخا راكضين : هيا سيكون هناك أرنب لذيذ على العشاء .

ولكن الأرنب تركهم يطاردونه ويطاردونه حول البيت إلى أن أنهكهم جميعاً وشعروا بالدوار وارتموا مرهقين على الأرض تماماً مثل الأرنب الذي صرخ في الخارج : كل شيء بات واضحاً الآن يا هانز .

وبهذه الطريقة كان هانز قادراً على دخول البيت والإمساك باليد الجميلة لغريتشن الحبيبة وهمس في أذنها : أنت لي الآن ولن يستطيع والدك منع زواجنا ، وهذا ما حصل فعلاً .. شكراً لك أيها الأرنب البري .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

## قصة من اسبانيا

# السمكة الحمراء السحرية

كان بدرو صياد سمك يعيش في قرية صغيرة تقع على أحد الشواطىء الإسبانية ، وكان يملك مع زوجته كوخاً صغيراً ملاصقاً للبحر ، لم يكن المكان مرضياً جداً ليعاش فيه ، وكانت زوجة بدرو تتذمر فيه طوال الوقت.

« أي مكان رهيب هذا الذي يجب أن نعيش فيه » هكذا كانت تشكو دوماً « يجب أن تصطاد المزيد من السمك لتبيعه في السوق كي نكون في يوم ما قادرين على الانتقال من هذا الكوخ الخشبي الصغير إلى بيت حجري فسيح وجميل .. أنا متأكدة من أن بإمكاننا ذلك لو لم تكن كسولاً جداً » .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ويتنهد بدرو .. لأنه لم يكن أبداً كسولاً جداً .. وحقيقة الأمر أنه لم يكن هناك أبداً الكثير من السمك ليقوم باصطياده ، كان يلقي بشبكته في البحر منذ الصباح الباكر وحتى وقت متأخر من الليل ، إلى أن تؤلمه ذراعاه.

في أحد الأيام ، وبعد أن كانت زوجته قد شكت بمرارة أكثر من المعتاد كان بدرو في قمة السعادة عندما شعر بوجود شيء ما في شبكته . كانت تلك سمكة حمراء كبيرة ، سمكة حمراء كبيرة فعلاً ، وفي الواقع كان

بدرو على وشك الإمساك بها عندما ـ ولد هشته البالغة ـ سمع السمكة الحمراء تكلمه :

« ارحمني أيها الصياد بدرو .. إذ تركتني أذهب .. أعدك أنني بالمقابل سأعطيك مكافأة ضخمة لأنني سمكة سحرية حمراء » .

تردد بدرو . لم يكن يريد التخلي عن غلته الرائعة ، ولكن السمكة الحمراء ناشدته كثيراً ليطلق سراحها ، فرماها خارج الشبكة ، وتركها تسقط عائدة الى البحر .

« شكراً يا بدرو » نادت السمكة الحمراء بينما كانت تسبح مبتعدة عن ناظريه ، لا تنس ، إذا احتجت شيئاً نادني فقط .

عاد بدرو إلى بيته وهو غارق في تفكير عميق ليخبر زوجته عن الحدث الغريب .. قص عليها الحكاية منذ بدايتها ، وعندما وصل الى الفقرة التي تعده فيها السمكة بالجائزة صرخت زوجته في وجهه:«إنك رجل أحمق» وزعقت « عد إلى شاطىء البحر حالاً واطلب من السمكة كوخاً حجرياً بدل هذا الكوخ الخشبي البائس » .

وهكذا عاد بدرو ونادى السمكة .

قالت له : « ليس هذا بالشيء الكبير لتتمناه ، اذهب الى بيتك وسترى بعض قوتي السحرية».

عاد للبيت بسرعة ، وأصيب بالذهول وانتابه الفرح وهو يرى زوجته على باب بيت حجري جميل ، كانت تبدو مسرورة ، ولكن ذلك لم يدم طويلاً فما كادت تمر بضعة أيام حتى كانت الزوجة تتذمر من جديد .

« هذا لا يكفي أبداً » ورفعت أنفها بحركة متعالية « إنني أريد قلعة أعيش بها وحشداً من الخدم ينتظرون أوامري ، اذهب حالاً إلى السمكة الحمراء وأخبرها ما قلته لك » .

وعاد بدرو المسكين إلى شاطىء البحر حزيناً لأنه أحس أن زوجته جشعة جداً ، نادى السمكة الحمراء ، وشرح لها أن زوجته لم تكتف ولم تحس بالرضا وأنها تريد قلعة رائعة .

« سوف تتحقق أمنيتك » قالت السمكة وهي تلوح بإحدى زعانفها «والآن .. عد إلى بيتك وانظر ما حدث !»

عندما عاد بدرو وقف فقط وحدق بإعجاب ودهشة ثمة كانت زوجته جالسة إلى مائدة في حديقة قلعة رائعة بينما وقف خادمان يقدمان لها الشاي والكعك .

وفكر بدرور : « لن أسمع شكواها بعد الآن »

ولكن يا للأسف ، لقد كان على خطأ فمنذ اليوم التالي كانت زوجته قد ملت من القلعة وأجبرت بدرو على الذهاب إلى السمكة الحمراء السحرية مع أمر بجعلها ملكة القصر الملكي.

« حسناً » وافقت السمكة « سيتحقق هذا »

وعند العودة وجد بدرو مكان القلعة قصراً ملكياً جميلاً ، وفي قاعة فسيحة وجد زوجته تجلس على عرش ذهبي كأنها ملكة .

« آه .. وأخيراً ستكون سعيدة جداً » .

هكذا فكر الصياد ولكنه كان مخطئاً .

في وقت الشاي ، كانت الزوجة التي لا ترضى أبداً تتذمر من جديد، « لا أريد أن أكون مجرد ملكة » صرّت على أسنانها « أريد أن أكون إمبراطورة العالم كله » .

وهكذا كان على بدرو أن يذهب وينادي السمكة مرة أخرى ليخبرها أن زوجته تريد أن تصبح إمبراطورة العالم كله .

« حسناً » قالت السمكة « سوف تتحقق أمنيتها »

عندما عاد بدرو هذه المرة أصيب بالذهول لرؤية قصر ضخم مبني من الرخام الأبيض بسطح من الذهب الخالص الصلب ، وفي إحدى الردهات الواسعة رأى الصياد الفقير زوجته تجلس على عرش ذهبي ضخم مرتدية ثوباً مغطى بالماس واللؤلؤ وكانت تبدو في غاية السعادة .

ولكن ، في الصباح التالي ، عندما نظرت إمبراطورة العالم من نافذة القصر بدأت بالتذمر « ما هذا النهار الكئيب » قالت ، « إن السماء تغص بالغيوم السوداء البشعة ، وهذا يجعلني أشعر بالتعاسة ، اذهب إلى السمكة حالاً وأخبرها أنني أريد أن أكون أهم شخص في السماء كي يكون بإمكاني أن أجعل الشمس تشرق وقتما أريد » . وقبل أن تنهي كلامها ، هبت عاصفة وحشية في الخارج ، وهطل المطر والبرَد بغزارة من سماء سوداء مليئة بالغيوم الراعدة . انحنت الأشجار تحت وطأة عاصفة هوجاء وحشية . شق بدرو طريقه إلى البحر خائفاً من الرعد والبرق . صرخ منادياً على السمكة وعندما أتت خارجة من البحر الغاضب أخبرها آخر أمنيات زوجته « اذهب وستجد أنها قد تلقت مكافأتها المناسبة لأنها تمنت شيئاً كهذا » .

هذا ما قالته له السمكة الحرية الحمراء ، ومع حفيف ذيلها استدارت متجهة بعيداً في البحر .

عاد بدرو متمهلاً إلى بيته . كان القصر قد تلاشى ، وكانت زوجته في ثيابها الممزقة تجلس على حجر أمام كوخهما الخشبي القديم .

لقد عادت إلى حيث بدأت. كل ذلك كان بسبب نهمها وجشعها ، ولكن، على الأقل ، كان سحر السمكة الحمراء قد قدم لبدرو الكثير من الخير ، فمنذ ذلك اليوم لم تعد زوجته إلى التذمر أبداً .

* * *

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

قصة من اسكندنافيا

# الطـــائر الذهبـــي

في قديم الزمان عـاش ملـك ، كـان لديـه بسـتان فاكهـة في أراضـي القصر، وفي هذا البستان كانت تنتصب شجرة تثمـر تفاحـاً ذهبيـاً . وكـان يتم عد التفاحات كل يوم . وفي أحد الأيام تم اكتشـاف أن تفاحـة واحـدة قد فقدت عن الشجرة .

جعل هذا الأمر الملك غاضباً جداً فأصدر أمره أن تراقب الشـجرة في الليل لاكتشاف اللص الذي أخذ التفاحة الذهبية . ولم يكـن الملـك يثـق إلا بأولاده.

في اليوم الأول ذهب ابنه الأكبر إلى بستان الفاكهة ليقوم بالحراسة .. لم يعرف ما حدث لأنه حوالي منتصف الليل استغرق في النوم ، وفي الصباح كانت هناك تفاحة ذهبية أخرى قد اختفت عن الشجرة .

في الليلة التالية ظل الإبن الثاني للملك ساهراً يراقب ولكنـه لم يفلـح في كشف السر لأنـه استغرق أيضـاً في النـوم ، وفي الصبـاح كـانت هنـاك تفاحة ذهبية ثالثة قد قطفت .

وجاء الآن دور الولد الثالث والأصغر والذي كان يدعـى ( بيـتر ) . استلقى بيـتر تحـت الشـجرة وظـل يراقـب دون أن يغمـض لـه جفـن وبعـد منتصف .

الليل تماماً سمع حفيفاً في أوراق الشجرة فقفز وهو يصرخ عالياً ، وحالما فعل ذلك رفرف طائر ذهبي كبير خارجاً من الأغصان برغب شديد إلى حد أنه ترك وراءه ثلاثة من ريشاته الطويلة .

أخذها بيتر إلى أبيه ونظر الملك إليها : كل واحدة من هذه الريشات تساوي ثروة صغيرة ، قال : « إذا كان الأمر كذلك ، فكم يساوي الطائر برمته، يجب أن أحصل عليه » .

وهكذا ، أرسل الملك ابنه الأكبر مع طعام يكفي لرحلة طويلة من أجل البحث عن الطائر الذهبي .. لم يعثر له على أثر ، وعند حلول المساء شعر بالسعادة لأنه سيجلس لأخذ قسط من الراحة وتناول قليلاً من الطعام، في هذه اللحظة خرجت من الأشجار دبة ضخمة تمشي متثاقلة .

« إنني جائعة جداً » قالت الدبة أعطني قليلاً من الطعام » . أبعدها الأمير بازدراء لا تقتربي مني أيتها الوحشة القبيحة ، ليس لدي طعام أتقاسمه مع أمثالك » .

ألقت الدبة نظرة حزينة واستدارت، مبتعدة وهي تقول : « ولكنك قد تندم على بخلك » .

لم يفكر الإبن الأكبر كثيراً بها إلى أن قام ليتابع طريقه وانقض عليه فجأة قاطعاً طريق ، قبضا عليه وأخذا نقوده ثم نظرا إليه قائلين : « إنه مناسب جداً للانضمام إلى عصابتنا من قطاع الطرق ، سنأخذه معنا » .

وحدث أن مر شهر كامل دون أن يكون هناك ما ينبيء بعودة الابن الأكبر إلى القصر .

« لن يعود الآن أبداً » قال الملك :

وهكذا فقد أخبر ابنه الثاني كي يستعد لرحلة طويلة للبحث عن الطائر الذهبي ، وهذا ما فعله الابن الثاني ، ولكنه في مساء أول يوم من البحث.

جلس ليرتاح قليلاً ويتناول عشاءه فاقتربت منه الدبة وهي تقول : « رجوك اترك لي شيئاً لآكله أيها الأمير الجميل ، إنني جائعة جداً » .

ومثل الأخ الآخر ، كان الأمير شرهاً جداً ، وأكثر غروراً من أن يتقاسم طعامه مع دبة فرد بحدة : « ابتعدي أيتها الحيوانة الغبية لن أتكلم مع أمثالك » .

استدارت الدبة مبتعدة وهي ما زالت جائعة ، وقالت : « ستعيش لتندم على ذلك » .

وثانية ، ما كادت الدبة تذهب حتى أتى قاطعا الطريق يزحفان نحوه. قبضا على الابن الثاني وأخذاه لينضم للعصابة .

مر شهران وفقد الملك كل أمل « ابني الثاني قد ذهب » وتنهد ، والآن يبق لي سوى ولد واحد » .

ولم يكن بيتر الأصغر خائفاً من تجريب حظه ، وكان سعيداً عندما أعطاه والده جواداً رائعاً ليمتطيه وطعاماً ليأكله في الرحلة ، وحذره الملك : « يجب أن تعود يا ولدي .. حتى من دون الطائر الذهبي».

لم يمض وقت طويل حتى نزل بيتر عن حصانه من أجل وجبة العشاء وقابل الدبة التي سألته شيئا تأكله .

« بكل سرور » أجاب بيتر «ستقاسميني عشائي ، ولكن لا تؤخريني كثيراً لأنني يجب أن أمضي على الفور في طريق البحث عن الطائر الذهبي،

تناولت الدبة الممتنة وجبة جيدة ثم نظرت إلى جواد بيتر وقالت : « هل يمكنني أن أمتطي قليلاً هذا الحيوان الجميل ؟ » تردد بيتر قليلاً ثم أومىء برأسه موافقاً : « حسناً ولكن عليك أن تركبي ورائي » .

وعندما اعتلى بيتر ظهر الجواد مستعداً للذهاب اندفعت الدبة بشكل أهوج إلى ظهر الجواد وراء بيتر . تأوه الجواد : اه ، ما هذا الثقل ؟ »

ولكن، بعد دقيقة كان الجواد يرمح كالريح . « إنني لا أحس بأي ثقل على ظهري الآن .. » قال الجواد محمحماً.

كان بيتر مذهولاً للأمر ، إلى أن ألقى نظرة نحو الوراء ، ولدهشته البالغة لم ير الدبة بل فتاة شابة جميلة تركب وراءه ..

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وشهق : « من أنتِ ؟ » .

ردت : أنا أميرة الطائر الذهبي ، عندما ألقى عليّ السحر الشرير تحولت إلى دبة .. ولم يستطع تحطيم السحر إلا أمير مثلك إذ يعطيني ما أطلبه منه ».

« أميرة الطائر الذهبي » ردد بيتر « إذاً فلا بد أنك تعرفين الطائر الذهبي الذي أتى ليسرق التفاحات الذهبية من بستان أبي الملكي » « نعم» ابتسمت الفتاة « لقد كانت هذه هي الطريقة الوحيدة التي أستطيع بواسطتها جلب أولاد الملك الثلاثة لأنني بهذا أستطيع أن أطلب منهم بعض الطعام لأن مفتاح السحر الشرير الذي ألقي عليّ هو أن يعطيني أمير شيئاً أطلبه منه ، وقد كنت الوحيد الذي أمكنه بلطفه أن يوافق » .

وسأل بيتر « ماذا عن أخويَّ »

قالت الفتاة الجميلة « إنهما على قيد الحياة وحالتهما جيدة ، صحيح أنهما قد مرا بوقت عصيب مع عصابة قطاع الطرق الذين جعلوهما خدما، لكن تلك كانت مكافأتهما العادلة لأنهما كانا أبخل من أن يطعماني ، على كل حال إنهما سيعودان إلى القصر حالاً ولن يحدث شيء آخر في مغامراتهما ».

قادت الأميرة بيتر إلى كهف عميق في الغابة ، وهناك في قفص ذهبي كان الطائر الذهبي الجميل يرفرف بجناحيه .

قال الأمير بيتر : « سآخذه إلى القصر ولكن كي أريه لأبي فقط ، إنه طائرك أيتها الأميرة وسيبقى دوماً كذلك » .

كان الملك في غاية السرور لرؤية ولديه يعودان سالمين ، وفي النهاية عندما تزوج بيتر الأميرة .. غنى الطائر الذهبي أغنية فرح رائعة في حفلة العرس .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

* * *

قصة من انكلترا

# قصـــر الجـــواهـــر

عاش الأخوان ألفريد وجون دائماً حياة رخاء لكنهما في أحـد الأيـام تلقيا الخبر الحزين عن وفاة والدهما الذي كان قد أنفق كل أمواله عليهما .

تنهد ألفريد قائلاً : لقد كـان أبونـا المسكين يرعانـا دائمـاً ، ولكننـا نستطيع في الحال إيجاد عمل لنا يا جون .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

سألا عن عمل في محل الحداد وقالا له : سنعمل بجد ، سـألهما : هـل تعرفان أي شيء عن هذا العمل ، هل تستطيعان صنع حدوة فرس ، وعندما أجابا أنهما لا يعرفان أي شيء ضحك فقط وأبعدهمـا وكأنهمـا لا ينفعـان لأي شيء .

واحسرتاه لقد حدث الشيء نفسـه عندمـا سـألا مزارعـاً عـن عمـل وكـان لا بـد لهمـا مـن الاعـتراف بأنهمـا لا يعرفـان شـيئاً عـــن المحـاصيل والحيوانات ولهذا قال لهما المزارع : ابتعدا ولا تضيعا وقتي .

بعد ذلك حاولا العمل عند الخباز ، سألهما هل تستطيعان خبز أرغفة شهية كهذه ؟ هزا رأسهما بعلامة النفي ولهذا لم يستطع الخبـاز فعـل شـيء سوى أن يطلب منهما الذهاب لمكان آخر .

كان ألفريد وجون يجران أقدامهما متعبين وحزينين ، وتنهد جون قائلاً: لا بد أن يكون هناك يا يمكننا عمله ، وفجأة شاهدا أمامهما قصراً منيفاً ، كان البناء غريب الشكل وذو جدران مصنوعة من الفولاذ الصقيل.

حالما اقتربا منه انزلق باب ثقيل منفتحاً ليسمح لهما بالدخول ، ابتسم ألفريد قائلاً : يوجد هنا من يرحب بنا على الأقل ، ونحن نحتاج لبعض الراحة والطعام .

أي منظر هذا الذي واجه أنظارهما المحدقة عندما دخلا ، لقد كان هناك على الأرض جرار من الجواهر البراقة ، ناديا ولكنهما لم يتلقيا أية إجابة ، قال جون : إن القصر فارغ فلنتقدم بعض المساعدة لنفسينا .

ملآ جيوبهما وكيسهما بالجواهر ثم حاولا مغادرة القصر لكن الباب كان مغلقاً بإحكام و لم يكن هناك مقبض أو ثقب مفتاح فيه ، لقد حوصرا.

فتشا وهما خائفين قليلاً عن طريق آخر للخروج ، ولكن لم يكن هناك أي طريق . إنه قصر غريب ورهيب ، هذا ما قاله ألفريد وتابع : ما الذي سيحدث أكثر من هذا ، إنني متعب وجائع .

قال جون : هذه الجواهر لا تنفعنا أبداً ، إنني مستعد وبكل سرور لمبادلتها بكسرة خبز في هذه اللحظة ، دعنا نعدها إلى الجرار . وهكذا فعلا.

وحالما تم ذلك حدث شيء سحري ومدهش ، لقد انزلق الباب الفولاذي السميك منفتحا ، وكانا مسرورين لرؤية العالم في الخارج، قال جون : فلنخرج ثانية

أسرع الأخوان باتجاه البلدة فرحين لأنهما استطاعا الخروج من قصر الجواهر ، وفي طريقهما قابلا عجوزاً غريباً وأخبراه بما حدث لهما ، رفع

ناظريه إليهما وابتسم قائلاً : وإذاً فقد أعدتما الجواهر أليس كذلك ، وأردف ضاحكاً : لأنكما كنتما شريفين وغير شرهين ، سأعطي لكل منكما كيساً .

شكر ألفريد وجون الرجل العجوز ، وتوقعا أن الكيسين البالين فارغان وأنهما لا يمكن أن يحويا شيئاً ذو قيمة ، ولكنهما عندما فتحا الكيسين أخيراً وجدا كل واحد محتوياً على ماسة كبيرة براقة تساوي ثروة .

وهكذا باع الأخوان الماسات بكثير من المال وزعا بعضه على الفقراء في البلدة واشتريا بما تبقى مزرعة كبيرة ووجدا نفسيهما سعيدين بالعمل فيها بكل جد ونشاط .

* * *

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com